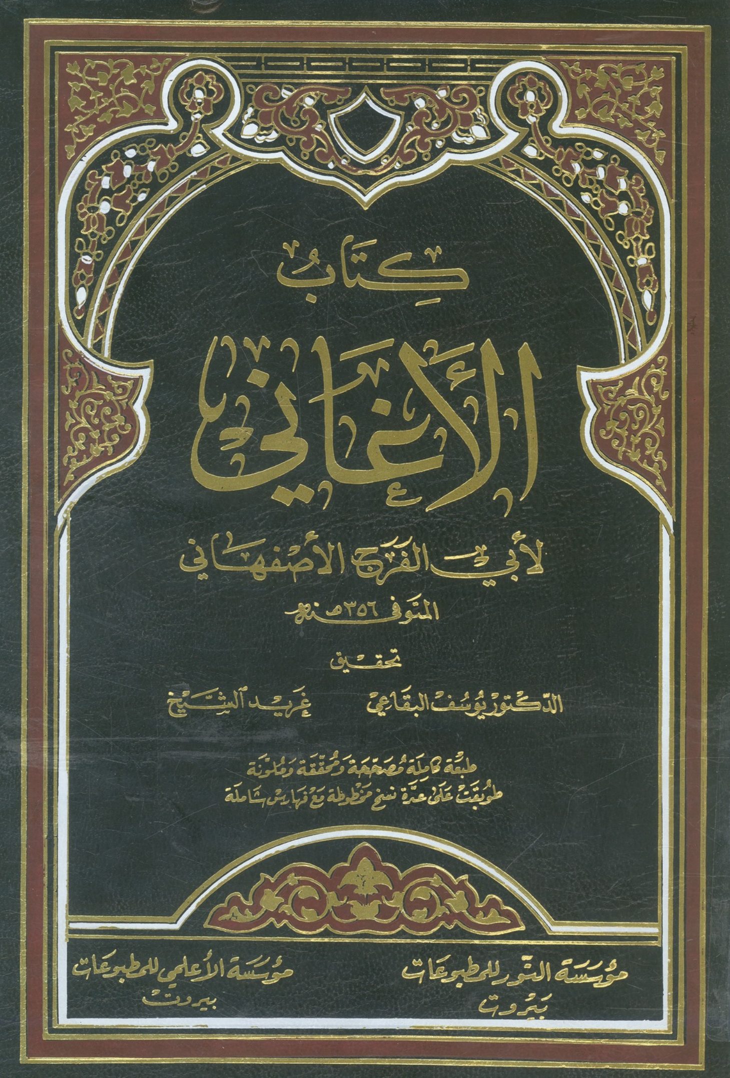
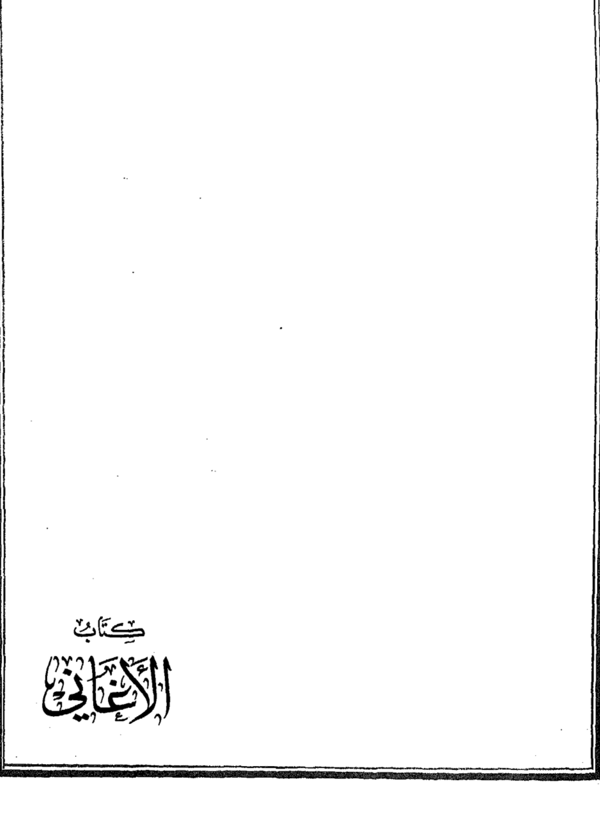
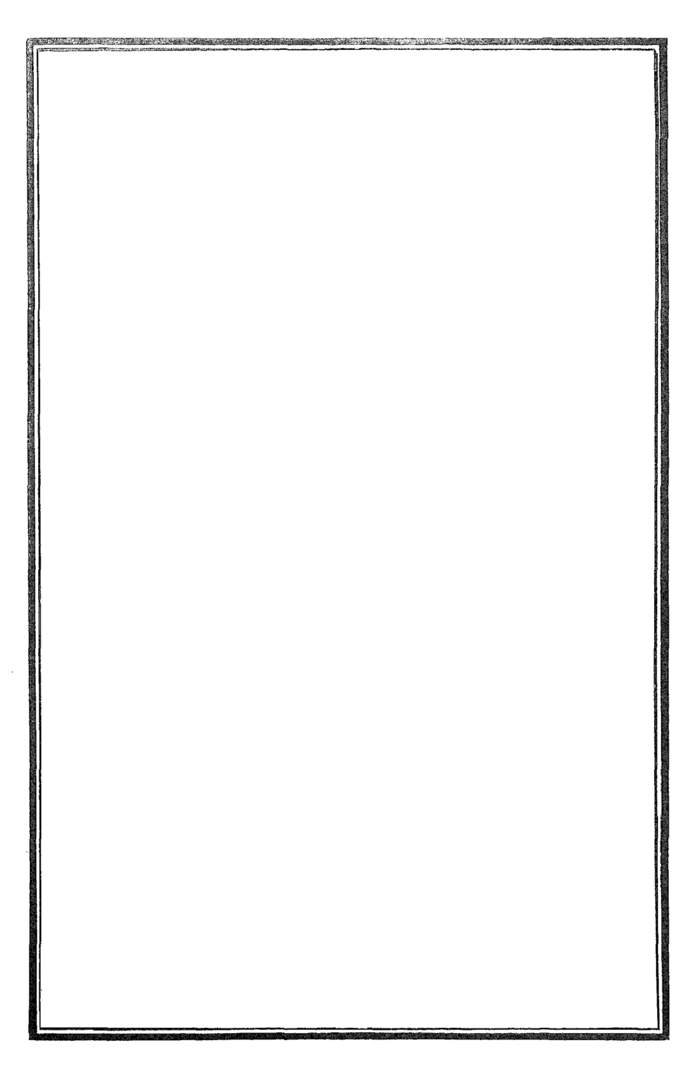


كتاب
الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
المتوفى ٣٥٦ هـ
تحقيق
الدكتور يوسف البقاعي
غريد الشيخ
طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت
مؤسسة النور للمطبوعات
بيروت


كتاب
الأغاني



كتاب

الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى ٣٥٦ هـ

تحقيق

الدكتور يوسف البقاعي غريد الشيخ

طبعة كاملة مصححة ومحققة وملونة
طوبقت على عدة نسخ مخطوطة مع فهارس شاملة

الجزء التاسع عشر

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة.
ملك الأعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ذكر أبي محجن ونسبه

[توفي نحو سنة ٣٠ هـ/ نحو سنة ٦٥٠ م]

[اسمه ونسبه وبعض صفاته]

أَبو مِحْجَن عبدُ اللَّه بنُ حبيب بنِ عَمْرو بنِ عُمَيْر بنِ عَوْف بنِ عُقْدة بن عَنَزة بن عَوْف بن قَسِيّ وهو ثقِيف، وقد مضى نسبه في عِدَّة مواضع. وأبو مِحْجَن من المُخَضْرَمين الَّذِين أَدرَكُوا الجاهلية والإسلام، وهو شاعر فارس شُجاع معدود في أُولي البَأْسِ والنَّجْدَة، وكان من المُعاقِرِين للخَمْر المَحْدُودين[١] في شُرْبها.

[نفيه إلى حضوضى وفراره إلى القادسية]

أخبرني عليُّ بنُ سُلَيمان الأخفش قال: حدّثنا محمدُ بنُ الحَسَن الأحوَل، عن ابن الأعرابيِّ، عن المُفَضَّل قال: لَمَّا كَثُرَ شُربُ أبي مِحْجَن الخَمْر، وأقامَ عُمَر بنُ الخَطَّاب رَضِي الله عنه عليه الحَدَّ مِراراً وهو لا يَنْتَهي، نَفاه إلى جزيرة في البَحْر يقال لها حَضَوْضَى[٢]، وبعث معه حَرَسِيّاً[٣] يُقال له ابنُ جَهْراء، فَهَرب منه على ساحل البَحْر، ولحق بسَعْد بن أبي وَقّاص، وقال في ذلك يَذْكُر هَرَبه من ابنِ جَهْرَاء: [البسيط]

الحَمْدُ لِلَّهِ نَجَّانِي وخَلَّصَنِي ... مِنْ ابن جَهْراءَ والبُوصِيُّ قَدْ حُبِسَا[٤]

---

(١) المحدود في شرب الخمر: الذي ضرب الحد عقوبة على شربها.

(٢) حَضَوْضَى: جبل في المغرب كانت العرب في الجاهلية تنفي إليه خلعاءها. وقيل: حضوض، من غير ألف، جزيرة في البحر. (معجم البلدان ٢/ ٢٧٢).

(٣) الحرسيّ: أحد حرس السلطان.

(٤) البوصي: ضرب من السفن (فارسي معرب).

مَنْ يَجْشَمِ البَحْرَ والبُوصِيُّ مَرْكَبُهُ إلى حَضَوْضَى فَبِئْسَ المَرْكَبُ الْتَمَسا
أبلغْ لَدَيْكَ أَبَا حَفْص مُغَلْغَلَةً عبدَ الإلَه إذا مَا غَارَ أو جَلَسا[١]
أَنِّي أَكُرُّ على الأُولَى إذا فَزِعُوا يَوْماً وأَحْبِسُ تَحْتَ الرَّايةِ الفَرَسَا[٢]
أَغشَى الهِيَاجَ وتَغْشانِي مُضَاعَفَةٌ مِنَ الحَدِيدِ إذا ما بَعْضُهُمْ خَنَسَا[٣]

هذه روايةُ ابنِ الإعرابيّ عن المفَضّل، قال ابنُ الأعرابيّ: وحدّثني ابنُ دأب بسبب نَفْي عُمَر إيّاه، فذكر أنّ أبا مِحْجَن هَوِيَ امرأةً من الأنصار يقال لها شَمُوس، فحاول النَّظر إليها بكلّ حِيلة، فلم يَقْدر عليها، فآجَر نفسَه من عامل يعمل في حائط إلى جانب منزلها، فأشرف من كُوَّة في البُسْتان، فرآها فأَنْشأَ يَقُولُ: [الكامل]

ولَقَدْ نَظَرْتُ إلى الشَّمُوسِ ودُونَها حَرَجٌ مِنَ الرَّحْمٰن غَيْرُ قَلِيلِ
قَدْ كُنْتُ أحْسَبُنِي كَأَغْنَى وَاحِدٍ وَرَدَ المَدِينَةَ عَنْ زِرَاعَةِ فُولِ

فاستَعْدَى زوجُها عليه عُمَر بنَ الخَطّاب، فنفاه إلى حَضَوْضَى، وبَعَث معه رجلاً يقال له ابنُ جَهْرَاء قد كان أبو بكر رضي الله عنه يَسْتعين به، قال له عُمَر: لا تدَع أبا مِحْجَن يُخرج معه سَيْفاً، فعَمد أبو مِحْجَن إلى سيفه فجعل نصلَه في غِرارة وجعل جَفْنه في غِرارة أُخرى، فيهما دَقيق له. فلما انتهى به إلى السّاحل وقَرُب البُوصيّ اشترى أبو مِحْجِن شاةً وقال لابن جهْراء: هلمَّ نَتغدّ ووثب إلى الغِرارة كأنّه يُخرج منها دقيقاً فأَخذ السيفَ، فلما رآه ابنُ جهراء والسيفُ في يده خرج يعدو حتى ركب بَعيرَه راجعاً إلى عُمَر، فأخبره الخبر.

وأقبل أبو مِحْجن إلى سَعْد بن أبي وَقّاص وهو يُقاتل العَجَم يوم القادسيَّة، وبلغ عُمرَ خبرُه، فكتب إلى سعد بِحَبْسه، فحَبَسَه، فلما كان يوم أرْماث[٤]؛ والتحم القِتالُ سأل أبو مِحْجَن امرأةَ سَعْد أن تُعطِيَه فرس سعد وتحلَّ قيده ليُقاتِل المشركين، فإن استُشْهِد فلا تَبِعة عليه، وإن سَلِم عاد حتى يَضع رِجلَه في القيْد، فأَعطته الفرسَ، وخلّت سبيله، وعاهدها على الوفاء، فقاتل فأبلى بَلاءً حَسَناً إلى الليل، ثم عاد إلى حَبْسه.

---

(١) مغلغلة: رسالة.
(٢) الأولى: الذين.
(٣) خنس: تأخر، تخلف.
(٤) يوم أرماث: أول يوم من أيام القادسية، وهي المعركة التي انتصر فيها المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص على الفرس.

حدّثني بهذا الحديث عمّي عن الخرّاز، عن المدائنيّ، عن إبراهيم بنِ حَكِيم، عن عاصِم بنِ عُروَة: أنّ عُمر بن الخَطّابِ رضي الله عنه غَرّب رجلاً من ثَقيف وهو أبو محجن، وكان يُدمِن الخمر وأمرَ ابن جَهْراء النَّصريَّ ورجلاً آخر أن يحملاه في البَحْر، وذكر الخَبَر مثل الذي قبله، وزاد فيه: وقال أبو مِحْجَن أيضاً:

صوت

[المديد]

صَـاحِـبَـا سَـوْءٍ صَـحِـبْـتُـهُـمَـا ... صَـاحَـبَـانِـي يَـوْمَ أرْتَـحِـلُ

وَيَـقُـولانِ: ارْتَـحِـلْ مَـعَـنَـا ... فَـأُنَـادِي: إنَّـنِـي ثَـمِـلُ

إنّـنِـي بَـاكَـرْتُ مُـتْـرَعَـةً ... مُـزّةً رَاوُوقُـهَـا خَـضِـلُ

الغناء في البيتين الأخيرين لنَشْو خفيف رمل وأوله:

ويـقُـولان اصْـطَـبِـحْ مَـعَـنَـا

قال الأصبهانيّ: وهذه القصة كانت لأبي مِحْجَن في يوم من أيّام حَرْب القادسية يُقال له: يوم أرْماث، وكانت أيّامُها المَشْهُورة يومَ أغْواث[1]، ويوم أرْماث ويوم الكتائب وخَبرُها يَطُول جِدّاً؛ وليس في كلِّها كان لأبي مِحْجَن خَبَرٌ، وإنما ذكرنا ها هنا خَبَرَه، فذَكرنا منها ما كان اتّصالُه بخبر أبي مِحْجَن.

حدّثنا بذلكَ محمدُ بنُ جَرير الطَّبريّ قال: كَتَب إليّ السّريُّ بنُ يَحْيى، يذكر عن شُعيب، عن سَيف، عن محمد بن طلحة وزيادٍ وابن مخراق، عن رجل من طيىء قال: لَمَّا كانَ يَومُ الكتائب اقتتلَ المسلمون والفُرس مُنْذ أصبحُوا إلى أن انتصف النّهار، فلما غابَت الشّمس تزاحف النّاسُ فاقتتلوا حتى انتصف اللّيلُ؛ وهذه اللَّيلة التي كان في صَبيحتها يوم أرماث، وقد كان المسلمون يوم أغْواث أشرفوا على الظّفر وقَتلوا عامّة أعلام الفُرْس، وجالت خَيلُهم في القَلْب، فلولا أنّ رَجْلَهُمْ[2] ثَبتُوا حتى كرَّت الخيْلُ لكان رئيسُهم قد أُخِذ؛ لأنه كان يَنْزل عن فَرسِه؛ ويجْلِس على سريره، ويأمُر النّاسَ بالقتال؛ قالوا: فلمّا انتصَفَ اللَّيلُ تحاجز النّاس، وبات المسلمون يَنْتمون منذ لدن أمْسَوْا. وسمع ذلك سعد فاستَلقى لينام،

(١) يوم أغواث: هو اليوم الثاني من أيام القادسية بين المسلمين والفرس.

(٢) الرَّجْل: جمع راجل وهو الذي ليس معه فرس يركبها أو دابّة.

وقال لبعض من عنده: إن تمّ الناسُ على الانتماء فلا تُوقِظْني فإنهم أقوياء على عَدُوّهم؛ وإن سَكتوا وسَكت العدو فلا تُنبِّهني فإنهم على السواء؛ وإن سمعتَ العدُوّ يتمون وهؤلاء سُكوتٌ فأنْبِهني فإن انْتِماء العَدُوّ من السُّوء.

قالوا: ولما اشتَدَّ القِتال في تلك الليلة، وكان أبو مِحْجَن قد حبسه سعد بكتاب عُمَر، وقيّده فهو في القصر، صعد أبو محجن إلى سعد يَسْتَعْفِيه ويَستقِيله، فَزَبَره[١] وردَّه، فنزل فأتى سَلْمى بِنتَ أبي حَفْصة[٢] فقال: يا بنت آلِ أبي حَفْصة، هل لكِ إلى خَيْر؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تُخلِّين عنّي وتُعِيرينَني البَلْقَاء، فلِلّه عليّ إن سلّمنِي الله أن أرجِعَ إلى حضرتك حتى تَضعِي رِجليَّ في قَيْدي. فقالت: وما أنا وذاكَ؟ فرجَع يَرسُفُ[٣] في قُيوده ويقول: [الطويل]

كَفَى حَزناً أن تَرْدِيَ الخَيْلُ بالقَنَا ... وأُتـرَكَ مَشْدُوداً علـيَّ وِثـاقِيَـا[٤]
إذا قُمْتُ عَنَّانِي الحَدِيدُ وغُلِّقَت ... مَصارِيعُ منْ دُونِي تُصِمُّ المُنادِيا[٥]
وَقَدْ كُنتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وإخْوةٍ ... فَقَدْ تَركُونِي واحداً لا أخَا لِيا
وَقَدْ شَفَّ جِسْمِي أنّنِي كلَّ شَارِقٍ ... أُعَالِجُ كَبْلاً مُصْمَتاً قَدْ بَرانِيَا
فلِلّه دَرّي يَوْمَ أُتْرَكُ مُوثَقاً ... وتَذْهَلُ عنّي أُسْرَتِي ورِجالِيا
حَبِيساً عن الحَرْبِ العَوانِ وَقَدَ بَدَتْ ... وَإِعْمَالُ غَيْرِي يوم ذَاكَ العَوَالِيَا
ولِلّهِ عَهْدٌ لا أَخِيسُ بعَهْدِهِ ... لئِن فُرِجَت ألاّ أَزُورَ الحوانِيَا[٦]

فقالت له سَلْمى: إني قد استَخَرْتُ الله ورضيتُ بِعَهْدك فأطلَقته وقالت: أمّا الفَرَسُ فلا أُعِيرها، ورجَعَت إلى بيتها، فاقْتادها أبو مِحْجَن وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندَق، فركبها ثم دَبَّ عليها، حتى إذا كان بحِيال المَيْمَنَة، وأضاء النَّهار، وتصافّ النّاس، كَبَّر، ثم حَمَل على مَيْسَرة القَوْم فَلَعِب برُمحه وسِلاحه بين الصَّفّين، ثم رجَعَ من خلف المسلمين إلى القَلْب فبَدَر أمامَ الناس، فحمل على القَوْم فلعب بين الصَّفّين برُمحه وسلاحه، وكان يقصفُ الناسَ لَيْلَتئذ

(١) زبره: نهاه، منعه، انتهره.
(٢) سلمى بنت أبي حفصة: زوجة سعد بن أبي وقاص، وكانت قبله زوجة المثنى بن حارثة الشيباني.
(٣) يرسف في قيوده: يمشي جارّاً قيوده.
(٤) تردي: تعدو.
(٥) عناني الحديد: أضناني.
(٦) خاس بعهده: نقضه. والحواني: جمع حانة، وهي الخمّارة.

قصفاً مُنكَراً؛ فعجب الناسُ منه وهم لا يعرِفُونه ولم يَرَوْه بالأمس، فقال بعضُ القوم: هذا من أوائل أصحاب هِشام بن عُتبة أو هشامٌ بِنفْسه. وقال قوم: إن كان الخضر يَشْهد الحُروبَ فهو صاحبُ البَلْقاء. وقال آخرون: لَولا أنّ الملائكة لا تُباشر القِتال ظاهِراً لقُلنا هذا ملاكٌ بيننا؛ وجعل سَعد يقول ـ وهو مشرف ينظر إليه ـ: الطَّعنُ طَعنُ أبي مِحْجن، والضَّبرُ ضَبرُ[1] البَلْقاء. ولولا مَحْبس أبي مِحْجن لقُلتُ: هذا أبو محجن وهذه البَلْقاء، فلم يزل يُقاتِل حتى انتصف الليل، فتحاجَز أهلُ العسكَرين وأقبَل أبو مِحْجن حتى دَخَلَ القصر، وَوضع عن نفسه ودَابّته، وأعاد رجْلَيه في القَيد، وأنشأ يقول: [الوافر]

لَقَدْ عَلِمتْ ثَقِيفٌ غَيْرَ فَخْرٍ ... بِأنّا نَحْنُ أكْرَمُهُمْ سُيُوفَا
وأكْثَرُهُم دُروعاً سَابِغاتٍ ... وأصبَرُهُمْ إذا كَرِهُوا الوُقوفَا[2]
وأنّا رِفْدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ ... فَإن جَحَدُوا فَسَلْ بِهِمُ عَرِيفَا
ولَيلَةَ قَادِسٍ لَمْ يَشْعُرُوا بِي ... وَلَمْ أكْرَهْ بِمَخْرجِيَ الزُّحوفَا
فَإن أُحبَسْ فَقَدْ عَرَفُوا بَلائِي ... وإن أُطلَقْ أُجرِّعْهُمْ حُتُوفَا[3]

فقالت له سَلْمى: يا أبا مِحْجن؛ في أيّ شيء حَبَسَك هذا الرّجل؟ فقال: أمَا والله ما حبَسني بحرام أكلتُه ولا شَرِبتُه، ولكني كنتُ صاحبَ شراب في الجاهِلية وأنا امرؤٌ شاعِر يدبُّ الشِّعر على لِساني فينفُثُه أحياناً، فحَبَسني لأني قلتُ: [الطويل]

إذا مِتُّ فادْفِنّي إلى أصْلِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّي عِظامِي بَعْدَ مَوْتِي عُروقُها
ولا تَدْفِنَنِّي في الفَلاة فإنَّنِي ... أخافُ إذا ما مِتُّ ألاّ أذُوقُها
لِيُروَى بِخَمْرِ الحُصِّ لَحْمِي فإنَّني ... أسِيرٌ لها مِنْ بَعْدِ ما قَدْ أسُوقُها[4]

[إطلاق سعد أبا محجن]

قال: وكانت سَلْمى قد رأت في المسلمين جَوْلَةً، وَسَعد بنُ أبي وَقّاص في القَصر لِعِلَّة كانت به، لم يقدِر معها على حُضورِ الحَرْب، وكانت قبلَه عند المثَنَّى ابنِ حارثة الشَّيْبانِيّ! فلما قُتِل خَلَف عليها سَعْد، فلما رأت شِدَّةَ البَأس صاحت:

(١) الضبر: نوع من العدو.
(٢) الدرع السابغة: الواسعة.
(٣) أُجَرِّعهم الحتوف: أسقيهم الموت.
(٤) الحصّ: موضع بنواحي حمص، تنسب إليه الخمر، (معجم البلدان ٢/ ٢٦٣).

وامُثَنَّياه ولا مُثنًى لي اليوم، فَلَطَمها سَعد، فقالت: أُفٍّ لك أَجُبْناً وغَيْرَة؟ وكانت مُغاضِبة لِسَعد عشيَّةَ أَرْماثٍ وليلة الهَدْأة وليلَةَ السَّواد، حتى إذا أصبحتْ أتتْه وصالَحتْه، وأخبرته خَبَرَ أَبي مِحْجن، فدَعا به وأطْلَقه وقال: اذْهَب فَلسْتُ مُؤاخذَك بشيء تقولُه حتى تَفْعَله، قال: لا جَرَم[1] واللّهِ إني لا أَجَبْتُ لِساني إلى صِفَة قَبيح أبداً.

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهَريُّ، وحبيبُ بنُ نَصْر المُهَلّبيّ قالا: حدّثنا عُمَر بنُ شَبَّة قال: حدّثنا محمد بنُ حاتِم قال: حدّثنا محمد بنُ حازم قال: حدّثنا عَمْرو بنُ المهاجِر، عن إبراهيم بنِ محمد بن سعد، عن أبيه، وأخبَرَني عليُّ بنُ سليمان الأخْفَش قال: حدّثنا محمد بنُ الحسن بنِ دينار مَوْلَى بني هاشم، عن ابنِ الأعرابيّ عن المفضَّل، وروايتُه أتمّ، قالوا: كان أبو مِحجن الثَّقَفِيّ فيمن خَرَجَ مع سعد بن أبي وَقَّاص لحَرْب الأعاجم؛ فكان سعد يُؤتى به شارباً فيتهدّدهُ فيقول له: لستُ تارِكَها إلا للّهِ عزَّ وجَلَّ؛ فأمّا لِقَولِك فلا. قالوا: فأُتِيَ به يوم القادسيَّة وقد شَرِب الخمرَ؛ فأُمِر به إلى القَيْد، وكانت بِسَعْد جراحة فلم يَخْرُج يومئذ إلى النَّاس؛ فاستَعمل على الخَيْل خالِدَ بنَ عُرْفُطَة، فلما التَقى الناسُ قال أبو مِحْجَن: [الطويل]

كَفَى حَزَناً أن تَرْدِيَ الخَيْلُ بالقَنَا ... وأُتْرَكَ مَشْدُوداً عليّ وِثاقِيَا

وذَكَرَ الأبيات وسائِرَ خَبَره مثل ما ذكره محمد بنُ جرير، وزاد فيه: فجاءت زَبْراءُ امرأةُ سَعد - هكذا قال، والصَّحيح أنها سَلْمى - فأخبرت سعداً بخَبره؛ فقال سعد: أمَا واللّه لا أضْرِب اليَوْم رَجُلاً أَبْلَى اللّه المُسْلمين على يده ما أبلاهم، فَخلّى سبيلَه، فقال أبو مِحْجَن: قد كنتُ أشرَبُها إذ كان الحدُّ يُقام عليّ وأطَّهَّر منها، فأما إذ بَهْرَجْتَني[2] فلا واللّهِ لا أَشْرَبُها أبداً. وقال ابنُ الأعرابيّ في خبره: وقال أبو مِحْجَن في ذلك: [البسيط]

إن كانت الخمرُ قد عزَّت وقد مُنِعَتْ ... وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ

فقد أُباكِرُها صِرْفاً وأمزُجُها ... رِيّاً وأطرب أحياناً وأَمْتزِجُ

وقد تَقومُ على رأسِي مُنَعَّمَةٌ ... خَوْدٌ إذا رَفَعَتْ في صَوْتها غُنُجُ[3]

(١) لا جَرَمَ: حقاً. (وانظر لسان العرب مادة جرم).

(٢) بهرجه: أهدره بإسقاط الحدّ عنه.

(٣) الغنج: الدلال.

تُرَفِّعُ الصَّوْتَ أحْياناً وتخفِضُه كما يَطِنُّ ذُبابُ الرَّوْضَةِ الهَزِجُ

أخبرني الجوْهَريُّ والمُهَلَّبِيّ قالا: حدّثنا عُمَرُ بنُ شَبَّة قال: لَمَّا انصرَف أبو مِحْجَن لِيَعُودَ إلى محبسه رَأتْه امرأة فظنَّته مُنْهزماً؛ فأنشأت تُعَيِّره بفِراره: [الكامل]

مَنْ فارِسٌ كَرِهَ الطِّعانَ يُعِيرُني رُمْحاً إذا نَزَلُوا بِمَرْجِ الصُّفَّرِ

فقال لها أبو محجن: [الكامل]

إن الكِرامَ على الجِيادِ مَبِيتُهم فَدَعِي الرِّمَاحَ لأهْلِها وتَعَطَّرِي

[رثاؤه أبا عبيد بن مسعود الذي قتله فيل الفرس]

وذكر السَّرِيّ، عن شُعَيْب، عن سيف في خَبَره، ووافَقَتْه رواية ابنِ الأعرابي عن المُفَضَّل أنَّ الناس لمَّا التَقَوْا مع العجم يوم قَسِّ النَّاطِف[١]، كان مع الأعْجام فِيلٌ يَكُرُّ عليهم؛ فلا تَقوم له الخَيْل؛ فقال أبو عُبَيْد بنُ مَسْعود: هل له مَقْتل؟ فقيل له: نَعَمْ؛ خُرْطُومه إلا أنَّه لا يُفلِت منه مَنْ ضَرَبه؛ قال: فأنا أَهَب نَفسِي للَّهِ، وكمن له حتى إذا أقْبَل وَثَبَ إليه فضَرَب خُرْطُومه بالسَّيف؛ فَرَمى به، ثم شَدّ عليه الفِيلُ فَقَتَلَه، ثم اسْتَدَار فَطحَن الأعاجِمَ وانْهَزَمُوا، فقال أبو مِحْجَن الثَّقفيّ يَرْثي أبا عُبَيْد: [الطويل]

أنَّى تَسَدَّت نَحْوَنا أُمُّ يُوسُفٍ ومِنْ دُونِ مَسْرَاها فَيَافٍ مَجَاهِلُ[٢]
إلى فِتْيَةٍ بالطَّفِّ نِيلَت سَرَاتُهم وغُودِرَ أفراسٌ لَهُمْ وَرَوَاحِلُ[٣]
وأَضْحَى أبو جَبْرٍ خلاءً بيُوتُه وقد كانَ يَغْشاها الضِّعافُ الأرامِلُ
وأَضْحَى بَنُو عَمْرٍو لَدَى الجِسْر منهمُ إلى جانبِ الأبْيَاتِ جُودٌ ونائِلُ
وما لُمْتُ نَفْسِي فِيهِمُ غَيْرَ أنَّها لها أجَلٌ لم يَأْتِها وهو عاجِلُ
وما رِمتُ حتى خَرَّقُوا بِسِلاحِهِمْ إهابي وجادَتْ بالدِّماءِ الأباجِلُ[٤]
وحتى رأيتُ مُهْرَتي مُزْوَئِرَّةً مِنَ النَّبْلِ يَدْمَى نَحْرُها والشَّواكِلُ[٥]
وما رُحْتُ حَتَّى كنتُ آخِرَ رائحٍ وصُرِّعَ حولي الصّالِحُون الأماثِلُ
مَرَرْتُ على الأنصارِ وَسْطَ رِحالِهِمْ فقلتُ: ألا هَلْ منكمُ اليومَ قافِلُ؟

---

(١) قَسّ الناطف: موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقي. (معجم البلدان ٤/ ٣٩٤).
(٢) تسدّت: جازت.
(٣) الطفّ: أرض بناحية الكوفة. (معجم البلدان ٤/ ٣٦).
(٤) ما رمت: لم أبرح. والأباجل: جمع أبجل وهو عرق غليظ في الرجل أو اليد بإزاء الأكحل.
(٥) مزوئرّة: منحرفة، معرضة. والشواكل: جمع شاكلة، وهي الخاصرة.

وقـرَّبْـتُ رَوَّاحـاً وكُـوراً ونُـمْـرُقـاً وغُـودِرَ فـي أُلَّـيـسَ بَـكْـرٌ ووائِـلُ[(١)]
ألاَ لَـعَـنَ الله الـذيـنَ يَـسُـرُّهُـمْ رَدَايَ ومـا يَـدْرُونَ مـا الـلَّـهُ فـاعِـلُ

قال الأخفش في روايته، عن الأحْول، عن ابن الأعرابيّ، عن المفضَّل: قال أبو محْجَن في تَرْكه الخمر: [الوافر]

رأيتُ الـخَـمْـرَ صـالِـحَـةً وَفِـيـهـا مـنـاقبُ تُـهْـلِكُ الـرَّجُـلَ الـحَـلِـيمـا
فـلا والـلَّـهِ أشْـرَبُـهـا حَـيَـاتِـي ولا أَسْـقِـي بـهـا أبـداً نَـدِيـمـا

أخبرني عَمّي قال: حدّثنا محمدُ بن سَعْد الكُرانيُّ قال: حدّثنا العُمريُّ، عن لَقِيط، عن الهَيْثم بن عَدِيّ. وأخبرني محمد بن الحَسن بن دُرَيْد قال: حدثنا عبدُ الرحمٰن ابن أخي الأصمعيّ عن عَمِّه، وأخبرني إبراهيمُ بن أيوب عن ابن قُتَيبة قالوا: دَخَل ابنُ أبي محْجَن على معاوية، فقال له: أليس أبوك الذي يقول: [الطويل]

إذا مِـتُّ فـادْفِـنِّـي إلـى أصْـلِ كَـرمَـةٍ تُـرَوِّي عِـظـامـي بـعـدَ مَـوتـي عُـروقُـهـا
ولا تَـدْفِـنَـنِّـي بـالـفـلاةِ فـإنَّـنِـي أخـافُ إذا مـا مِـتُّ ألاَّ أذُوقُـهـا

فقال ابنُ أبي مِحْجَن: لو شئتَ لذكرتُ ما هو أحْسَن من هذا من شعره؛ قال: وما ذاك؟ قال: قوله: [البسيط]

لا تَـسأَلِـي الـنـاسَ عـن مـالـي وكَـثْـرَتِـهِ وسائلي الـنـاسَ مـا فِـعْـلِي ومـا خُـلُـقي
أُعْـطِـي الـسِّـنـانَ غـداةَ الـرَّوْعِ حِـصَّـتَـهُ وعـامِـلَ الـرُّمْـحِ أَرْوِيـهِ مـن الـعَـلَـقِ[(٢)]
وأَطْعَنُ الطَّعْنَةَ النَّجلاءَ عن عُرُضٍ وأحْـفَـظُ الـسِّـرَّ فـيـه ضَـرْبَـةُ الـعُـنُـقِ[(٣)]
عَـفُّ الـمَـطـالِـب عـمّـا لَـسْـتُ نـائِـلَـهُ ـ وإن ظُـلِـمْـتُ ـ شـديـدُ الـحِـقْـدِ والـحَـنَـقِ
وقـد أجُـودُ ومـا مـالـي بـذِي فَـنَـعٍ وقـد أكُـرُّ وراءَ الـمُـحْـجَـرِ الـبَـرِقِ[(٤)]
والـقَـوْمُ أعْـلَـمُ أنّـي مـن سَـراتِـهِـمُ إذا سَـمـا بَـصَـرُ الـرِّعْـدِيـدَةِ الـشَّـفِـقِ[(٥)]
قـد يُـعـسِـرُ الـمَـرْءُ حِـيـنـاً وهـو ذُو كَـرَمٍ وقـد يَـثـوبُ سَـوامُ الـعـاجـزِ الـحَـمِـقِ[(٦)]

---

(١) أليس: قرية من قرى الأنبار، وكانت فيها وقعة بين الفرس والمسلمين. (انظر معجم البلدان ١/ ٢٤٨).
(٢) عامل الرمح: ما يلي السنان. والعلق: الدم.
(٣) النجلاء: الواسعة.
(٤) الفنع: الكثرة. والمحجر: المغطّى، المستور. والبَرِق: الدهش المتحير الذي لا يطرف.
(٥) الرعديدة: الجبان.
(٦) يثوب: يجتمع.

سَيَكْثُرُ المالُ يَوماً بعدَ قِلَّتِهِ ... وَيَكْتَسِي العُودُ بعدَ اليُبْسِ بالوَرَقِ

فقال معاوية: لئن كنا أسأنا لك القول لنُحْسننّ لَك الصّفَد[1]، ثم أجزل جائزته وقال: إذا ولدت النِّسَاء فلْتلِد مِثلك!

[بينه وبين عمر بن الخطاب]

أخبرني الحَسن بنُ عليّ وعيسَى بن الحُسين الورّاق قالا: حدثنا ابن مَهْرويه، قال: حدّثني صالح بن عبد الرحمٰن الهاشميّ، عن العُمريّ عن العتبيّ قال: أُتِيَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه بجماعة فيهم أبو مِحْجن الثقفيّ وقد شربوا الخَمْر، فقال: أشربتم الخَمْر بعد أن حَرّمَها الله ورسوله، فقالوا: ما حرّمها الله ولا رسوله؛ إنّ اللّه تعالى يقول: **﴿ليسَ عَلَى الذينَ آمنوا وعَمِلوا الصّالحات جُناحٌ فيما طَعِموا إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعَمِلوا الصالحات﴾**[2]؛ فقال عمر لأصحابه: ما تَرَوْنَ فيهم؟ فاختلفوا فيهم فبَعث إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام فشاوَره؛ فقال عليّ: إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغي أن يَستحِلّوا المَيْتة والدّم ولحم الخِنزير؛ فسكتوا، فقال عمر لعليّ: ما ترى فيهم؟ قال: أرَى إن كانوا شرِبُوها مُستحلّين لها أن يُقتلوا، وإن كانوا شربُوها وهم يُومنون أنها حرَامٌ أن يُحَدُّوا، فسألهم؛ فقالوا: والله ما شككنا في أنها حرام، ولكنا قدّرنا أن لنا نجاةً فيما قُلناه، فجعل يحدُّهم رَجلاً رجلاً، وهم يخرجون حتى انتهى إلى أبي مِحْجن؛ فلما جلده أنشأ يقول: [الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنّ الدَّهْرَ يَعْثُرُ بالفَتَى ... ولا يَسْتَطِيعُ المَرءُ صَرْفَ المَقادرِ

صَبَرْتُ فَلَمْ أجْزَعْ ولم أكُ كائعاً ... لِحادثِ دَهْرٍ في الحُكومةِ جائرِ[3]

وَإِنّي لذُو صَبْرٍ وقد ماتَ إخْوَتي ... وَلَسْتُ عن الصَّهْباءِ يَوماً بصابرِ

رَماها أمِيرُ المُؤمنينَ بِحَتْفِها ... فخُلاَّنُها يَبْكُونَ حَوْلَ المَعاصِرِ

فلما سمع عمر قوله:

وَلَسْتُ عن الصَّهْباء يوماً بصابرِ

قال: قد أبدَيتَ ما في نفسك ولأزيدنّك عقوبةً لإصرارِك على شُرْب الخمر؛

---

(١) الصَفَد: العطاء.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٩٣.

(٣) الكائع: الجبان.

فقال له عليّ عليه السلام: ما ذلك لك، وما يجوزُ أن تُعاقب رجلاً قال لأفعلنّ وهو لم يفعل، وقد قال الله في الشعراء: ﴿وأنّهُمْ يقولون ما لا يَفعلُون﴾[١] فقال عمر: قد استثنى الله منهم قَوماً فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعمِلوا الصّالحاتِ﴾[٢]. فقال عليّ عليه السلام: أفهؤلاء عندكَ منهم وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يشرَب العبدُ الخَمرَ حين يشربُها وهو مُؤمنٌ**».

أخبرنا محمد بنُ خَلف بن المَرْزبان قال: حدَّثنا أَحمدُ بنُ الهَيْثَم بن فِراس قال: حدّثنا العُمريّ، عن الهَيثَم بن عَدِيّ قال: أخبرني مَنْ مرّ بقبر أَبي مِحْجَن الثقفيّ في نَواحي أَذْرَبيجان ـ أو قال في نواحي جُرْجان ـ فرأيتُ قبرَه وقد نَبتت عليه ثلاثة أُصول كَرْم قد طالت وأثمرت وهي مَعْرُوشة، وعلى قبره مكتوب: هذا قبر أبي مِحجْن الثقفيّ، فوقَفتُ طويلاً أتعَجّب مما اتَّفَق له حتى صار كأُمنِيَّة بَلَغها حيث يقول: [الطويل]

إذا مِتُّ فادْفِنّي إلى أصلِ كَرْمةٍ ... تُروِّي عِظامي بعد مَوْتي عُروقُها

صوت

ألا يا لَقومي لا أرَى النَّجْمَ طالعاً ... ولا الشَّمْسَ إلاَّ حاجِبي بِيَمِيني

مُعزِّيَتي خَلْفَ القفا بِعَمُودِها ... فَجُلُّ نَكِيري أن أقولَ ذَرِيني[٣]

أمينٌ على أسْرارِهِنَّ وَقَدْ أرَى ... أكُونُ على الأسْرارِ غَيْرَ أمينِ

فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ من جِداجٍ مُوَطَّأٍ ... مَعَ الظُّعْنِ لا يأتي المَحَلَّ لِحِينِ

عَرُوضه من الطَّويل؛ والمُعزِّية: امرأةٌ تكون مع الشّيخ الخرِف تَكْلَؤه وقوله:

أمينٌ على أسرارِهنّ. . .

أي أنّ النّساء صِرْن يتحدَّثن بين يَدَيّ بأسرارِهنّ، ويَفعلن ما كُنَّ قبل ذلك يَرْهبنَنِي فيه؛ لأني لا أضُرُّهن. والجِداج والجِدْج: مركب من مَراكب النِّساء.

الشِّعر لزُهَير بنِ جَناب الكلبيّ، والغناء لأهل مكة، ولحنه من خَفيفِ الثّقيل الأول بالوُسْطى عن الهِشاميّ وحَبَش، وفيه لِحُنين ثاني ثقيل بالوُسْطى.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٦.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.
(٣) جلّ: أقصى.

أخبار زهير بن جناب ونسبه

[توفي نحو سنة ٦٠ ق هـ/ نحو سنة ٥٦٤ م]

[اسمه ونسبه]

زُهَير بنُ جَناب بنِ هُبَل بنِ عبد الله بنِ كِنانة بنِ بكر بنِ عَوْف بن عُذْرة بن زَيْد اللاّت بن رُفَيْدَة بنِ ثَوْر بنِ كَلْب بن وَبَرة بن تَغْلب بن حُلْوان بنِ عِمْران بن الحَاف بن قُضَاعة. شاعرٌ جاهليٌّ، وهو أحد المُعَمَّرين، وكان سَيِّد بني كَلْب وقائدَهم في حروبهم؛ وكان شُجاعاً مُظفّراً مَيْمُونَ النَّقِيبة في غَزواته، وهو أحَدُ مَنْ مَلّ عمُرَه فشَرِب الخَمْر صِرْفاً حتى قَتَلَتْه. ولم يُوجد شاعرٌ في الجَاهِليَّة والإسلام وَلَد من الشّعراء أكثرَ ممَّنْ وَلَدَ زُهَيرٌ، وسأذكر أسماءهم وشيئاً من شِعرهم بعقِب ذِكْر خَبَرِه إن شاء الله تعالى.

[غزوه غطفان]

قال ابنُ الأعْرَابيّ: كان سَببُ غَزْوَة زُهَير بنِ جَناب غَطَفَانَ أنّ بَني بَغيض حين خرجوا من تِهامَةَ ساروا بأَجْمعهم، فتَعرّضت لهم صُدَاء وهي قبيلة من مَذْحِج؛ فقاتلوهم وبَنُو بَغيض سائِرون بأهْلِيهم ونِسائِهم وأموالهم، فقاتلوا عن حَريمهم فظَهرُوا على صُداء فأَوْجَعُوا فيهم وَنَكأُوا[1]؛ وعزّت بَنُو بَغيض بذلك وأثْرت وأصابت غَنائمَ؛ فلمّا رَأَوْا ذلك قالوا: أما والله لنتّخِذَنَّ حَرماً مِثلَ حرَم مكةَ لا يُقتَل صَيدُه، ولا يُعضَد شَجرُه، ولا يُهاج عائذُه[2]، فوَلِيتْ ذلك بَنُو مُرّة بن عوف.

---

(١) ونكأوا فيهم: وقتلوا وجرحوا.

(٢) لا يهاج عائذه: لا يفزع من يلجأ إليه ويعتصم به.

ثمّ كان القائمَ على أمر الحَرم وبناءِ حائطه رِياحُ بنُ ظالم، فَفعلوا ذلك وهم على ماء لهم يُقال له بُسّ[١]. وبَلغ فِعلُهم وما أجمعوا عليه زُهيرَ بن جَناب وهو يوْمَئِذٍ سَيِّدُ بَنِي كلْب؛ فقال: والله لا يكون ذلك أبداً وأنا حيّ، ولا أُخلِّي غَطَفَانَ تَتّخِذ حَرَماً أبداً. فنادى في قَوْمِه فاجتمعوا إليه فقام فيهم، فذكر حالَ غَطَفَان وما بلغه عنها؛ وأنّ أكرمَ مأْثُرة يعتقدُها هو وقَوْمه أن يمنعوهم من ذلك ويحولوا بينهم وبينه، فأجابوه، واستمدّ[٢] بني القَيْن من جُشَم فأبَوْا أن يَغزُوا معه، فسار في قَوْمه حتى غَزَا غَطَفَان؛ فقَاتلهم فظَفِر بهم زُهَيْر وأصاب حاجتَه فيهم، وأخذ فارساً منهم أسيراً في حَرَمهم الذي بَنوْه، فقال لبعض أصحابه: اضرب رقبَته، فقال: إنَّه بَسْلٌ[٣]، فقال زهير: وأبيك ما بَسْلٌ عليّ بحَرام. ثم قام إليه فَضَرَب عُنقَه وعَطَّلَ ذلك الحَرَم؛ ثم مَنَّ على غطَفان وَرَدَّ النِّساء واستاق الأموالَ؛ وقال زُهَيرٌ في ذلك: [الوافر]

ولَـمْ تَـصْـبِـر لَـنـا غَـطَـفَـانُ لَـمّـا ... تَـلاقَـيْـنـا وأُحْـرِزَتِ الـنِّـسـاءُ
فَلَـوْلا الـفَـضْـلُ مـنّـا مـا رَجَـعْـتُـمْ ... إلـى عَـذْراءَ شِـيـمَـتُـهـا الـحَـيـاءُ
وكـم غـادَرتُـمُ بَـطَـلاً كَـمِـيّـاً ... لـدى الـهَـيْـجـاءِ كـانَ لـه غَـنَـاءُ
فَـدُونَـكُـمُ دُيـونـاً فـاطْـلـبُـوهـا ... وأوْتـاراً ودُونَـكُـمُ الـلِّـقـاءُ
فـإنّـا حَـيْـثُ لا نَـخْـفَـى عَـلَـيْـكُـمْ ... لُـيـوثٌ حـيـنَ يَـحْـتَـضِـرُ الـلّـوَاءُ[٤]
فَـخَـلّـي بَـعْـدَهَـا غَـطَـفَـانُ بُـسّـاً ... ومـا غَـطَـفَـانُ والأَرْضُ الـفَـضَـاءُ!
فـقـد أضْـحَـى لِـحَـيٍّ بـنـي جَـنـابٍ ... فـضـاءُ الأَرْضِ والـمـاءُ الـرَّواءُ[٥]
وَيَـصْـدُقُ طَـعـنُـنَـا فـي كُـلِّ يَـوْمٍ ... وعِـنْـدَ الـطَّـعْـنِ يُـخْـتَـبَـرُ الـلِّـقـاءُ
نَـفَـيْـنَـا نَـخْـوَةَ الأعـداءِ عَـنّـاً ... بـأَرْمَـاحٍ أَسِـنّـتُـهـا ظِـمـاءُ
ولـولا صَـبْـرُنـا يـومَ الـتَـقَـيْـنـا ... لَـقِـيـنَـا مِـثْـلَ مـا لَـقِـيَـتْ صُـدَاءُ
غَـداةَ تَـعَـرَّضُـوا لِـبَـنـي بَـغِـيـضٍ ... وصِـدْقُ الـطَّـعْـنِ لـلـنَّـوْكَـى شِـفـاءُ
وقـد هَـرَبَـتْ حِـذارَ الـمَـوْتِ قَـيْـنٌ ... عـلـى آثـارِ مَـنْ ذَهَـبَ الـعَـفـاءُ
وقـد كُـنّـا رَجَـوْنـا أن يُـمِـدُّوا ... فـأَخْـلَـفـنـا مـن إخْـوتِـنـا الـرَّجـاءُ

---

(١) بُسّ: ماء لغطفان. (معجم البلدان ١/ ٤٢١).
(٢) استمدّ: طلب المدد والعون.
(٣) بسل: حرام.
(٤) يحتضر: يحضر.
(٥) الماء الرَّواء: الماء العذب، أو الكثير.

وألـهَـى الـقَـيْـنَ عـن نَـصْـرِ الـمـوالِـي ... حِـلابُ الـنِّـيـبِ وَالـمَـرْعَـى الـضَّـرَاءُ[١]

وقال أبو عَمرو الشَّيباني: كان أبرهة حين طَلع نَجْداً أتاه زُهيرُ بنُ جناب، فأكرمه أبرهة وفَضَّله على مَنْ أتاه من العرب، ثم أمَّره على ابني وائل: تغْلب وبكر، فَوليَهم حتى أصابتهم سنَةٌ شَدِيدة، فاشتدّ عليهم ما يَطلبُ منهم زُهير، فأقام بهم زُهَير في الجَدْب، ومنعهم من النُّجْعة[٢] حتى يُؤدُّوا ما عليهم، فكادت مواشيهم تهلك فلما رأى ذلك ابنُ زَيابة ـ أحدُ بني تَيْم الله بن ثعْلبة، وكان رجُلاً فاتِكاً ـ بَيّت[٣] زُهيراً وكان نائماً في قُبّة له من أَدَم، فدخَل فألْفَى زُهَيْراً نائماً، وكان رجلاً عَظيمَ البَطْن، فاعتَمَدَ التَّيمِيُّ بالسَّيف على بَطْن زُهَيْر حتى أخرجه من ظهره مارقاً بين الصِّفاق، وَسَلِمت أعفاجُ[٤] بطنه، وظَنَّ التَّيميُّ أنَّه قد قتله، وعلم زُهَير أنه قد سَلم، فتخوَّف أن يتحرَّكَ فيُجهز عليه، فسَكَت. وانصرَفَ ابنُ زَيَّابة إلى قومه، فقال لهم: قد ـ والله ـ قَتلتُ زُهَيراً وكَفَيْتُكموه، فَسَرَّهم ذلك. ولمَّا عَلِم زُهير أنه لم يُقْدِم عليه إلا عن ملأ من قَوْمه بكر وتَغْلِب ـ وإنما مع زُهير نَفَر من قومه بمنزلة الشُّرَط[٥] ـ أَمَرَ زُهير قومَه فغيَّبوه بين عمودين في ثيابٍ ثم أَتَوُا القومَ فقالوا لهم: إنكم قد فَعَلتم بصاحِبنا ما فعلتُم، فأْذَنُوا لنا في دَفنه، ففَعَلوا. فحَملوا زُهَيراً ملْفُوفاً في عَمُودين والثِّياب عليه، حتى إذا بَعُدُوا عن القوم أخرَجُوه فلفَّفُوه في ثيابه، ثم حفروا حَفِيرَةً وَعَمَّقوا، ودَفَنوا فيها العَمُودَين، ثم ساروا ومَعَهم زُهَير، فلمّا بلغ زُهَير أرضَ قَومه جمع لِبَكْر وتَغْلب الجُموع، وبلَغهم أَنَّ زُهَيراً حيٌّ، فقال ابنُ زَيَّابة: **[الخفيف]**

طَـعْـنَـةً مـا طَـعَـنْـتُ فـي غَـبَـشِ الـلَّـيـ ... ـلِ زُهَـيـراً وقـد تـوافَـى الـخُـصُـومُ[٦]

حِـيـنَ تَـجْـبِـي لَـهُ الـمَـواسِـمَ بَـكـرٌ ... أَيـنَ بَـكْـرٌ، وأيْـنَ مـنـهـا الـحُـلُـومُ[٧]!

خـانَـنِـي الـسَّـيْـفُ إذ طَـعَـنْـتُ زُهَـيْـراً ... وَهْـوَ سَـيْـفٌ مُـضَـلَّـلٌ مَـشْـؤومُ

---

(١) الضَّراء: الشجر الكير الملتف.

(٢) النجعة: طلب الكلأ ومساقط الغيث.

(٣) بَيَّته: هاجمه ليلاً.

(٤) الصفاق: الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر. والأعفاج: الأمعاء.

(٥) الشرط: الأعوان.

(٦) غبش الليل: ظلمته.

(٧) الحلوم: العقول

[غزوه بكراً وتغلب]

قال: وجمع زُهَير بَنِي كلْب ومَن تَجمَّع له من شُذَّاذِ العَرَبَ والقَبائل، ومَنْ أطاعه من أَهْل اليمن، فَغَزَا بكراً وتَغْلِب ابنَيْ وائِل، وهم على ماء يُقالُ له الحُبَيّ[1]، وقد كانوا نَذِرُوا به، فقاتَلهم قِتالاً شَدِيداً، ثم انْهزَمت بَكْر وأسْلَمَتْ بني تَغْلب، فقاتلت شَيئاً من قتال ثم انْهَزَمت، وأُسِرَ كُلَيْب ومُهَلْهِل ابنَا رَبِيعَة، واستِيقَت الأموالُ، وقَتَلت كلْبٌ في تَغْلب قَتْلَى كثيرة، وأسروا جَماعة من فُرْسانِهم ووُجوههم، وقال زُهَيْر بنُ جناب في ذلك: [الكامل]

تبّاً لِتَغْلبَ أنْ تُساقَ نِساؤُهُمْ ... سَوْقَ الإماءِ إلى المَوَاسِم عُطَّلا[2]
لَحِقَتْ أوائِلُ خَيْلِنا سَرَعانَهم ... حتى أسَرْنَ على الحُبَيّ مُهَلْهِلا
إنَّا - مُهَلْهِلُ - مَا تَطِيشُ رِماحُنَا ... أيام تَنْقُفُ في يَدَيْكَ الحَنْظَلاَ[3]
وَلَّتْ حُمَاتُكَ هارِبينَ من الوَغَى ... وَبَقِيتَ في حَلَقِ الحَدِيدِ مُكَبَّلاَ
فَلَئِنْ قُهِرْتَ لقد أسَرْتُك عَنْوَةً ... وَلَئِنْ قُتِلْتَ لَقَدْ تَكُونُ مُؤَمَّلاَ

وقال أيضاً يُعيِّر بَنِي تَغْلِب بهذه الواقعة في قَصيدة أوّلها: [الخفيف]

حَيِّ داراً تَغَيَّرَتْ بالجَنابِ ... أقْفَرَتْ مِنْ كَواعِبٍ أتْرابِ[4]

يقول فيها: [الخفيف]

أيْنَ أيْنَ الفِرارُ من حَذَرِ المَوْ ... تِ وإذ يَتَّقُونَ بالأسْلابِ!
إذْ أسَرْنَا مُهَلْهِلاً وأخاهُ ... وابنَ عَمْرٍو في القِدِّ وابنَ شَهَابِ
وَسَبَيْنَا من تَغْلِبٍ كلَّ بَيْضا ... ءَ رَقُودِ الضُّحَى بَرُود الرُّضابِ
يَوْمَ يَدْعُو مُهَلْهِلٌ يا لَبَكْر ... ها أهَذِي حفِيظَةُ الأحسابِ!
وَيْحَكُمْ وَيْحَكُمْ أُبِيحَ حِماكُمْ ... يا بني تَغْلِبٍ أمَا مِنْ ضِرابِ!
وهُمُ هارِبُونَ في كلِّ فَجٍّ ... كشَرِيدِ النَّعامِ فَوْقَ الرَّوابِي
واستدارَتْ رَحَى المنَايَا عَلَيْهِمْ ... بِلُيوثٍ من عامِرٍ وجَنابِ

(١) الحُبَيّ: موضع بتهامة. (معجم البلدان ٢/ ٢١٦).
(٢) عطّلاً: من غير حَلْي.
(٣) نقف الحنظل: شقه.
(٤) الجناب: موضع في السماوة بين العراق والشام. (معجم البلدان ٢/ ١٦٤).

طَحَنَتْهُمْ أرْحاؤُها بِطَحُونٍ ذاتِ ظُفْرٍ حَدِيدَةِ الأنيابِ[١]
فَهُمُ بَيْنَ هارِبٍ لَيْسَ يأْلُو وَقَتِيلٍ مُعَفَّرٍ في التُّرابِ
فَضَلَ العِزُّ عِزُّنا حينَ نَسْمُو مِثْلَ فَضْلِ السَّماءِ فَوْقَ السَّحابِ

أخبرني محمد بنُ الحَسَن بن دُرَيد، قال: حدّثنا عمِّي، عن ابن الكلْبيّ، عن أبيه قال: وَفَد زُهَير بن جَناب وأَخُوه حارِثة على بَعْض ملوك غَسَّان، فلما دَخَلا عليه حدَّثاه وأنْشدَاه، فأُعجِب بهما ونادَمَهما، فقال يَوْماً لهما: إن أُمِّي عليلةٌ شدِيدةُ العِلَّة، وقد أَعياني دَوَاؤُها، فهل تَعْرفان لها دَوَاء؟ فقال حارِثةُ: كُمَيرة حارَّة - وكانت فيه لُوثَة - فقال الملك: أيّ شيء قُلْت؟ فقال له زُهَير: كُمَيْئَة حارّة تُطعِمُها، فَوَثَب الملك - وقد فهم الأولى والآخِرَة - يُريهما أنه يأْمُر بإصلاح الكمأة لها، وحلُم عن مَقالة حارثة. وقال حارثة لزُهير: يا زُهير اقْلِبْ ما شِئت ينقَلِب، فأرسلها مَثلاً.

[ذهاب عقله في آخر عمره]

أخبرني عمِّي قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدّثني أحمدُ بن الغَيْث الباهليّ عن أبيه قال: كان من حديث زُهيرِ بنِ جَناب الكلبيّ أنه كان بلغ عُمراً طويلاً حتى ذهب عقلُه، وكان يَخرُج تائهاً لا يَدْري أين يَذْهب. فتلحَقُه المرأة من أهله والصَّبِيّ، فتردّه وتقول له: إني أخاف عليك الذِّئب أن يأكلك، فأين تَذْهب؟ فذَهب يوماً من أَيَّامه، ولَحقته ابنة له فردَّته، فرجع معها وهو يَهْدِج كأنه رَأْلٌ[٢]، وراحت عليهم سماءٌ في الصيف فعلتهم منها بَغْشَةٌ[٣] ثم أردَفَها غَيْث، فنظَر وسمع له الشَّيخُ زَجَلاً مُنْكراً، فقال: ما هذا يا بُنيَّة؟ فقالت: عارضٌ هائِلٌ إن أَصَابنا دُونَ أهلِنا هَلَكنا، فقال: انْعَتِيه لي، فقالت: أراه منبَطحاً مُسْلَنْطِحاً[٤]، قد ضاق ذَرْعاً وركب رَدْعاً[٥]، ذا هَيْدَب[٦] يطير، وهَماهِم[٧] وزَفير، يَنْهض نَهْضَ الطير الكسير،

(١) الطحون: الحرب الطاحنة.
(٢) يهدج: يمشي بارتعاش. والرأل: ولد النعام.
(٣) البغشة: السحابة.
(٤) المسلنطح: المكبّ على وجهه.
(٥) ركب ردعاً: سقط على عنقه.
(٦) الهيدب: السحاب الداني.
(٧) الهماهم: جمع همهمة، وهي تريد الزفير.

عليه مِثْل شَبَارِيق[١] السَّاج، في ظُلْمةِ اللَّيْل الدّاج، يتضاحك مثْل شُعَل النيران، تَهرب منهُ الطير، وتُوَائِل[٢] منه الحشَرةُ. قال: أيْ بُنية، وائلي منه إلى عِصْرٍ[٣] قبل أن لا عَيْن ولا أثر.

أخبرني محمدُ بنُ القاسم الأنباريّ قال: حدّثني أبي قال: حدّثني أحمدُ بنُ عبيد، عن ابن الكلبيّ، عن مشيخة من الكلبيين قالوا: عاش زُهَيْر بنُ جَناب بنِ هُبل ابن عبد الله خمْسين ومائتي سنة أوقع فيها مائتي وَقْعة في العرب، ولم تَجْتَمع قُضاعةُ إلا عليه وعلى حُنٍّ بن زيدٍ العُذْريّ، ولم يكُن في اليَمَن أشْجَع ولا أخْطَب ولا أوجَه عند المُلُوك من زُهَير. وكان يُدْعى الكاهن، لِصِحَّة رَأْيه.

قال هشام: ذَكَرَ حَمَّاد الرَّاوِية أنَّ زُهَيْراً عاش أرْبَعمَائة وخمْسِين سنة، قال: وقال الشَّرقيُّ بنُ القُطَاميّ: عاشَ زُهَيْر أربعمَائة سنة، فرأته ابنَةٌ له فقالت لابْن ابنها: خُذْ بِيد جَدّك، فقال له: مَنْ أنت؟ فقال: فُلاَن بن فُلانِ بنِ فُلانة، فأنشأ يقول:

[مجزوء الكامل]

أَبَـنِـيَّ إنْ أهْـلِـكْ فَـقَـدْ ... أوْرَثْـتُـكُـمْ مَـجْـداً بَـنِـيَّـهْ
وَتَـرَكْـتُـكُـمْ أبـنـاءَ سـا ... داتٍ زِنَـادُكُـمُ وَرِيَّـهْ[٤]
ولَـكُـلُّ مـا نـالَ الـفَـتَـى ... قـد نِـلْـتُـهُ إلا الـتَّـحِـيَّـهْ[٥]
والـمَـوْتُ خَـيْـرٌ لِـلـفَـتَـى ... فَـلْـيَـهْـلِـكَـنْ وَبِـهِ بَـقِـيَّـهْ
مِـنْ أنْ يُـرَى الـشَّـيْـخَ الـبَـجا ... لَ وَقَـدْ تَـهـادَى بـالـعَـشِـيَّـهْ[٦]
ولـقـد شَـهِـدْتُ الـنَّـارَ لـلأسْـ ... ـلافِ تُـوقَـدُ فـي طَـمِـيَّـهْ[٧]
ولـقـد رَحَـلْـتُ الـبـازِلَ الـ ... ـكَـوْمَـاءَ لـيـس لـهـا وَلِـيَّـهْ[٨]
وخَـطَـبْـتُ خُـطْـبَـةَ مـاجِـدٍ ... غـيْـرِ الـضَّـعِـيـفِ ولا الـعَـيِـيَّـهْ

---

(١) الشباريق: القطع.
(٢) توائل: تهرب وتطلب النجاة.
(٣) العِصْر: كل ما يتحصّن به.
(٤) زنادكم وريّة: كناية عن بلوغهم مآربهم.
(٥) التحية: الملك أو البقاء.
(٦) البجال: المبجّل.
(٧) طمية: جبل في طريق مكة. (معجم البلدان ٤/ ٤١).
(٨) الولية: ما ولي ظهر الناقة من كساء.

ولــقــد غَــدَوْتُ بِــمُــشْــرِفِ الــ   قُــطْــرَيْــنِ لــم يَــغــمِــزْ شَــظِــيّــهْ[١]
فَــأَصَــبْــتُ مِــنْ بَــقَــرِ الــجَــنــا   بِ ضُــحــىً ومــن حُــمُــرِ الــقَــفِــيَّــهْ[٢]

قال ابنُ الكَلْبيّ: وقال زُهَيْر في كِبَره أيضاً: [الطويل]

ألا يا لَقَوْمِي لا أرَى النَّجْمَ طَالِعاً   ولا الشَّمسَ إلا حاجِبي بِيَمِيني
مُعَزِّبَتِي عندَ القَفا بعَمُودِها   فأَقْصَى نَكِيري أن أقولَ ذَرِيني[٣]
أمِينٌ على أسْرَارِهِنَّ وقد أرَى   أكُونُ على الأسْرارِ غَيرَ أمِينِ
فلَلْموتُ خَيْرٌ من حداجٍ مُوَطَّإٍ   على الظُّعْنِ لا يأتي المحلَّ لِحِينِ

قال: وقال زُهيْر أيضاً في كبره: [الطويل]

إن تُنْسِني الأيامُ إلا جلالةً   أمُتْ حِينَ لا تأسَى عليَّ العوائِدُ
فيأذى بي الأدْنَى ويشْمَتُ بي العِدا   ويأمَنُ كَيْدي الكاشِحُونَ الأباعِدُ

قال: وقال زُهير أيضاً: [الوافر]

لَقَدْ عُمِّرْتُ حَتَّى لا أُبالي   أحَتْفي في صَباحي أم مَسائي
وَحُقَّ لِمَنْ أتَتْ مِائَتانِ عاماً   عليهِ أنْ يَمَلَّ من الثَّوَاءِ
شَهِدْتُ المُوقِدينَ على خَزَازَى   وبالسُّلاَّنِ جمْعاً ذا زُهاءِ[٤]
ونادمتُ المُلوكَ مِنَ آلِ عَمْرٍو   وبعدهُمُ بني ماءِ السماءِ

قال ابنُ الكَلْبيّ: وكان زُهيْر إذا قال: ألا إن الحَيّ ظاعن، ظَعَنت قُضاعة؛ وإذا قال: ألاَ إن الحيَّ مُقِيم، نَزَلوا وأقاموا. فلمَّا أن أسَنَّ نصب ابنَ أخِيه عبد الله ابنَ عُلَيم للريَّاسة في كَلْب، وطَمِع أن يكون كعَمِّه وتجْتمِع قُضاعةُ كلّها عليه، فقال زُهَير يوماً: ألاَ إنَّ الحيَّ ظاعن، فقال عَبْدُ الله: ألاَ إنَّ الحيَّ مُقِيم، فقال زُهَير: ألا إنَّ الحيَّ مُقِيم، فقال عبد الله: ألاَ إنَّ الحيَّ ظاعن، فقال زُهير: مَنْ هَذا المُخالف عَليَّ منذ اليَوْم؟ فقالوا: ابنُ أخيك عبدُ الله بنُ عُلَيم، فقال: أعدى الناسِ للمرءِ ابنُ أخيه إلاَّ أنَّهُ لا يَدعُ قاتِلَ عَمِّه أو يَقْتُلَه. ثم أنشأ يقول:

---

(١) الشظية: عظم الساق.

(٢) القفيّة: الناحية.

(٣) والقفا: جبل لبني هلال. (معجم البلدان ٣/١٠٨٦). وذريني: اتركيني

(٤) خزازَى: موضع. (معجم البلدان ٢/ ٣٦٥). والسلان: وادٍ بين الحجاز واليمن (معجم البلدان ٣/ ٢٣٥). والزُّهاء: العدد الكثير.

[الطويل]

وكَيْفَ بِمَنْ لا أستطِيعُ فِراقَهُ ومَنْ هُوَ إن لم تَجْمَع الدَّارُ آلِفُ!
أمِيرُ شِقاقٍ إنْ أُقِمْ لا يُقِمْ مَعِي ويَرْحَلْ، وإن أرحَلْ يُقِم ويخالِفُ

ثم شَرِب الخمرَ صِرْفاً حَتَّى مات. قال: ومِمّن شَرِب الخَمْرَ صرْفاً حتى ماتَ عَمْرو بنُ كُلْثُوم التّغْلبيّ، وأبو بَراء عامِرُ بن مالِك مُلاعِبُ الأسِنّة.

قال هشام: عاشَ هُبَل بنُ عبد الله جَدُّ زُهَيْر بن جَناب سِتمائة سنة وسَبْعين، وهو القائل: [الرجز]

يا رُبَّ يَوْمٍ قد غَنِي فيه هُبَلْ لَهُ نَوالٌ ودُرُورٌ وجَذَلْ[1]
كأنَّه في العِزِّ عَوْفٌ أو حَجَلْ

قال: عَوْف وحَجَل: قَبِيلَتان من كَلْب.

[حربه بني القين بن جسر وانتصاره عليهم]

وقال أبو عَمْرو الشَّيْباني: كان الجُلاحُ بن عوْف السَّحْميُّ قد وَطَّأ لزُهَيْر بن جَناب وأنزله معه، فلم يزل في جَناحِه حتى كَثُر مالُه وولَدُه، وكانت أُختُ زُهَيْر مُتَزَوِّجة في بني القَيْن بن جَسر، فجاء رَسولُها إلى زُهَير ومعه بُرْد فيه صرارُ رَمْل وشَوكةُ قَتاد، فقال زهير لأصحابه: أتتكُم شَوكةٌ شَدِيدة، وعددٌ كَثِير فاحتملوا، فقال له الجُلاحُ: أنَحْتَمِلُ لقَوْل امرَأة! والله لا نَفْعَل، فقال زُهَير:

أمَّا الجُلاحُ فإنَّني فارَقْتُهُ لا عَنْ قِلىً ولقد تَشِطُّ بنا النَّوَى
فَلَئن ظَعَنْتَ لأصبِحَنَّ مُخَيِّماً ولَئنْ أقمتَ لأظعَنَنَّ على هَوَى

قال: فأقام الجُلاح، وظَعَن زُهَير، وصَبَّحهم الجَيش فقَتَل عامَّة قوم الجُلاح وذَهَبوا بماله.

قال: واسم الجُلاح عامرُ بنُ عَوْف بنِ بَكْر بنِ عَوْف بنِ عامر بنِ عَوْف بنِ عُذْرة. ومَضى زُهَيْر لوَجهه حتى اجْتَمَع مع عَشِيرته من بني جَنَاب، وبَلَغ الجيش خَبرُه فقَصَدوه، فحارَبَهم وثَبَت لهم فهزمهم وقَتَل رَئيساً منهم، فانْصَرَفُوا عنه خائبين، فقال زُهَيْر:

(١) الدرور: الكثرة. والجَذَل: الفرح.

[الطويل]

أمِنَ آلِ سَلْمَى ذا الخَيالُ المُؤَرِّقُ ... وقد يَمِقُ الطَّيْفَ الغَرِيبُ المُشَوَّقُ(١)
وأنَّى اهْتَدَتْ سَلْمَى لِوَجْهِ مَحَلِّنا ... وما دُونَها من مَهْمهِ الأرْضِ يَخْفِقُ
فلم تَرَ إلا هاجِعاً عندَ حُرَّةٍ ... على ظَهْرِها كُورٌ عَتِيقٌ ونُمْرُقُ(٢)
ولمّا رَأتْني والطَّلِيحَ تَبَسَّمَتْ ... كما انْهَلَّ أعْلَى عارِضٍ يَتَألَّقُ
فحُيِّيتِ عَنَّا زَوِّدينا تَحِيَّةً ... لَعَلَّ بها العاني من الكَبْلِ يُطْلَقُ(٣)
فردَّت سَلاماً ثم وَلَّتْ بِحاجَةٍ ... وَنَحْنُ لعَمْرِي يابْنَةَ الخَيْرِ أشْوَقُ
فيا طِيبَ ما رَيّا ويا حُسْنَ مَنْظَرٍ ... لَهَوْتُ بهِ لَوْ أنَّ رُؤْياكِ تَصْدُقُ
ويومَ أُثالَى قد عَرَفْتُ رُسُومَها ... فعُجْنا إليها والدُّموعُ تَرَقْرَقُ
وكادَتْ تُبِينُ القَوْلَ لَمّا سألْتُها ... وتُخْبِرُنِي لو كانَتِ الدّارُ تَنْطِقُ
فيا دارَ سَلْمَى هِجْتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً ... فَماءُ الهَوَى يَرْفَضُّ أو يَتَرَقْرَقُ

وقال زهير في هذه القصيدة يَذْكُر خِلافَ الجُلاح عليه: [الطويل]

أيا قَوْمَنا إن تَقْبَلوا الحَقَّ فانْتَهوا ... وإلا فأنيابٌ مِنَ الحَرْبِ تَحْرُقُ(٤)
فجاءُوا إلى رَجْراجَةٍ مُكْفَهِرَّة ... يكادُ المُدِيرُ نَحْوَها الطَّرْفَ يَصْعَقُ(٥)
سُيوفٌ وأرْماحٌ بأيْدِي أعِزَّةٍ ... وَمَوْضُونَةٌ مِمَّا أفادَ مُحَرِّقُ(٦)
فما بَرِحُوا حَتَّى تَرَكْنا رَئِيسَهم ... وقد مارَ فيهِ المَضْرَحِيُّ المُذَلَّقُ(٧)
وكائِنْ تَرَى من مَاجِدٍ وابْنِ مَاجِدٍ ... لَهُ طَعْنَةٌ نَجلاءُ لِلوَجْهِ يَشْهَقُ

وقال زُهَيْر في ذلك أيضاً: [البسيط]

سائِلْ أُمَيْمَةَ عَنِّي هَلْ وَفَيْتُ لها ... أمْ هَلْ مَنَعْتُ مِنَ المَخْزاةِ جِيرانَا
لا يَمْنَعُ الضَّيْفَ إلا ماجِدٌ بَطَلٌ ... إنَّ الكَرِيمَ كَرِيمٌ أيْنَما كانَا
لَمَّا أبَى جِيرَتي إلا مُصَمِّمَةً ... تَكْسُو الوُجُوهَ مِنَ المَخْزاةِ ألْوانَا

---

(١) يمق: يحبّ.
(٢) الكور: الرّحل. والنمرق: الوسادة الصغيرة يتكأ عليها.
(٣) العاني: الأسير الذي عناه القيد.
(٤) تَحْرُق: تحتكّ شدّة وغيظاً.
(٥) الكتيبة الرجراجة: الكثيرة العدد، تموج لكثرتها.
(٦) الموضونة: الدرع المضاعفة النسج.
(٧) المضرحيّ: النسر. والمذلّق: المحدّد الطرف.

مِلْنا عَلَيْهِمْ بوردٍ لا كفاءَ لَهُ … يفْلقْنَ بالبيضِ تَحْتَ النَّقْعِ أبْدَانَا
إذا ارجَحَنُّوا عَلَوْنا هامَهُمْ قُدُماً … كأنَّمَا نَخْتَلِي بالهام خُطْبانَا[1]
كَمْ مِنْ كَرِيم هَوَى لِلْوَجْهِ مُنْعَفِراً … قَدِ اكْتَسَى ثوبُهُ في النَّقْعِ ألوانَا
ومِنْ عَمِيدٍ تَنَاهَى بعد عَثْرَتِهِ … تَبْدُو نَدامتُهُ لِلْقَوْمِ خَزْيَانا

[أولاده الشعراء]

وأمّا الشعراء من ولد زهير: فمنهم مَصادُ بنُ أسعد بنِ جُنادة بنِ صَهْبان بنِ امرىء القَيْس بنِ زُهَيْر بن جَناب، وهو القائلُ: [الطويل]

تَمَنَّيْتَ أنْ تَلْقَى لِقاحَ ابنِ مُحْرِزٍ … وَقبلكَ شامَتْها العُيُونُ النّواظِرُ
مُمَنَّحَةً في الأقْرَبِينَ مُنَاخَةً … وَلِلضَّيْفِ فِيها والصَّدِيقِ مَعاقِرُ
فهَلاَّ بَني عَيْناءَ عايَنْتَ جَمْعَهُمْ … بحالَةِ إذْ سُدَّتْ عليكَ المَصادِرُ[2]

ومنهم حُرَيْثُ بنُ عامر بنِ الحارث بن امرىء القَيْس بن زُهَيْر بن جناب، وهو القائل: [الوافر]

أرَى قَوْمِي بَنِي قَطَن أرادُوا … بألاَّ يَتْرُكُوا بِيَدَيَّ مالاَ
فإنْ لم أجْزِهِمْ غَيْظاً بغَيْظٍ … وَأُورِدْهُمْ على عَجَلٍ شِلالاَ[3]
فَلَيْتَ التَّغْلَبِيَّة لم تَلِدْني … ولا أغْنَتْ بِما وَلَدَتْ قِبالا

ومنهم الحَزَنْبَل بنُ سَلامة بنِ زُهَيْر بن أسْعد بن صَهْبان بنِ امرىء القَيْس بن زُهَيْر بن جَنَاب، وهو القائل: [الكامل]

عَبَثَتْ بمُنْخَرِق القَمِيصِ كأنَّهُ … وَضَحُ الهِلالِ على الخُمُورِ مُعَذَّلِ
يا سَلْمَ وَيْحَكِ وَالخَلِيلُ مُعاتَبٌ … أزْمَعْتِ أن تَصلِي سِوايَ وتَبْخَلِي
لَمَّا رأيْتِ بعارضَيَّ وَلِمَّتِي … غِيَرَ المَشِيب على الشَّبابِ المُبْدَلِ
صَرَّمْتِ حَبْلَ فَتًى يَهَشُّ إلى النَّدَى … لو تَطْلُبِينَ نداهُ لَمْ يَتَعَلَّلِ
إنَّا لَنَصْبِرُ عندَ مُعْتَرَكِ الوَغَى … وَنَبُذُّ مَكْرُمَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ

(١) ارجحنّ: مال. ونختلي: نقطع.
(٢) حالة: موضع في ديار بَلْقين بن جسر عند حرّة الرجلاء بين المدينة والشام. (معجم البلدان ٢/ ٢٠٧).
(٣) الشّلال: المتفرقون.

ومنهم غُرَيرُ بن أبي جابر بن زُهيْر بن جناب، وهو القائل: [مجزوء الكامل]

أبْـلِـغْ أبَـا عَـمْـرٍو وأنْـ ـتَ عَـلَـيَّ ذُو الـنِّـعَـمِ الـجَـزِيـلَـهْ
أَنَّـا مَـنَـعْـنَـا أَنْ تَـذِلَّ بـلادُكُـمْ وَبَـنُـو جَـدِيـلَـهْ
وطـرقْـتُـهُـم لَـيـلاً أُخَـبِّـرهُـمْ بِـهِـمْ ومـعِـي وَصِـيـلَـهْ[1]
فَـصَـدَقْـتُـهـم خَـبَـرِي فـطـا رُوا فـي بـلادِهِـمُ الـطَّـوِيـلَـهْ

ومنهم عرفَجَةُ بنُ جُنادَة بنِ أبيّ بنِ النُّعمان بنِ زُهَير بنِ جَناب، وهو القائل:

[الطويل]

عَـفـا أَبْـرَقُ الـعَـزَّافِ مِـنْ أُمِّ جـابِـرٍ فـمُـنْـعَـرَجُ الـوادِي عَـفـا فَـحَـفِـيـرُ[2]
فَـرَوْضُ ثُـوَيْـرٍ عَـنْ يَـمِـيـنِ رَوِيَّـةٍ كـأنْ لَـمْ تَـرَبَّـعْـهُ أوانِـسُ حُـورُ[3]
رِقـاقُ الـثَّـنَـايـا والـوُجـوهِ، كـأنَّـهـا ظِـبـاءُ الـفَـلا فـي لَـحْـظِـهِـنَّ فُـتـورُ

ومنهم المُسَيَّب بنُ رِفْل بنِ حارِثَة بنِ جَناب بنِ قَيْس بنِ امْرِئِ القَيْس بنِ أبي جابر بنِ زُهَير بنِ جَناب، وهو القائل: [الطويل]

قَـتـلْـنـا يَـزِيـدَ بْـنَ الـمُـهَـلَّـبِ بَـعْـدَ مـا تَـمَـنَّـيـتُـمُ أنْ يَـغْـلِـبَ الـحَـقَّ بـاطِـلُـهْ
ومـا كـانَ مِـنْـكُـمْ فـي الـعِـراقِ مُـنـافِـقٌ عَـنِ الـدِّيـن إلاّ مِـنْ قُـضَـاعَـةَ قـاتِـلُـهْ
تَـجَـلَّـلَـهُ فـحْـلٌ بِـأَبْـيَـضَ صـارِمٍ حُـسـامٍ جَـلاَ عـن شَـفْـرَتَـيْـه صَـيـاقِـلُـهْ

يَعْني بالفحْل ابنَ عَيَّاش بن شَمِر بن أَبي شَرَاحِيل بنِ غُرَير بن أبي جابر بن زُهَيْر بن جَناب، وهو الذي قَتَل يَزِيد بن المُهَلَّب.

ومن بني زُهَيْر شُعَراء كثير، ذَكَرتُ منهم الفُحول دُونَ غَيْرِهم.

---

(١) الوصيلة: الرفقة، أو السيف.

(٢) أبرق العزاف: رمل لبني سعد على طريق الكوفة من زرود. وقيل: العزاف على اثني عشر ميلاً من المدينة. (معجم البلدان ١١٨/٤). وحفير: موضع بين مكة والمدينة. وقيل هو أول منزل من البصرة لمن يريد مكة. وحفير علم على عدة مواضع. (معجم البلدان ٢٧٦/٢).

(٣) ثوير: ماء بالجزيرة من منازل تغلب (معجم البلدان ٨٧/٢). ورويّة: ماء في بلاد العرب. (معجم البلدان ١٠٦/٣).

صوت

[مجزوء الخفيف]

تَـدَّعـي الـشَّـوْقَ إنْ نَـأَتْ وتَـجَـنَّـى إذا دَنَـتْ
سَـرَّنـي لَـوْ صَـبَـرْتُ عَـنْـهـا فَـتُـجْـزَى بـمـا جَـنَـتْ
إنَّ سَـلْـمَـى لـو اتَّـقَـتْ رَبَّـهـا فِـيَّ أَنْـجَـزَتْ
زَرَعَـتْ فـي الـحَـشَـا الـهَـوَى وَسَـقَـتْـهُ حَـتَّـى نَـبَـتْ

الشِّعر لمُسْلِم بنِ الوَليد، والغِناءُ لعَرِيب خَفِيف ثَقِيل. وقيل: إنه لأبي العبيس ابن حَمْدون. وذكر الهِشاميّ أنّ لإِسحاق في: إنّ سَلْمَى... وما بعده لَحْناً من الثَّقيل الأول بِالبِنْصَر.

نسب مسلم بن الوليد وأخباره

[توفي سنة ٢٠٨ هـ/ نحو سنة ٨٢٣ م]

[اسمه ونسبه وولاؤه]

وهو مُسلِم بنُ الوَليد، أبوه الوَليد مَوْلَى الأنصار ثم مَوْلَى أَبي أُمامة أَسْعد بن زُرَارة الخَزْرَجيّ. يُلَقَّب صريعَ الغَوانِي، شاعر مُتقدم من شُعَراء الدَّولة العَبَّاسيّة، مَنْشؤه ومولده الكوفَة. وهو ـ فيما زعموا ـ أَوَّل من قال الشّعر المعروف بالبَديع، هو لَقَب هذا الجِنسَ البَديعَ واللَّطيفَ. وتَبِعَه فيه جماعة، وأَشْهَرُهم فيه أَبُو تَمَّام الطائي فإِنّه جعل شِعرَه كُلّه مَذْهباً واحداً فيه. ومُسْلِم كان مُتَفَنِّناً مُتَصَرِّفاً في شعره.

أخبرني عليُّ بنُ سُلَيمانِ الأخفش قال: قال أبو العَبّاس محمد بنُ يَزِيد: كان مُسلِم شاعراً حَسَن النَّمط، جَيِّد القَوْل في الشراب، وكثِيرٌ من الرُّواة يَقْرِنه بأَبي نُواس في هذا المعنى. وهو أَوّلُ مَنْ عقد هذه المعاني الظّرِيفة واستَخْرجها.

حدّثنا أحمَدُ بنُ عُبَيْد الله بنِ عَمّار قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُويه قال: سَمِعتُ أبي يقول: أولُ من أفسد الشِّعر مُسلِمُ بنُ الوَليدِ، جاءَ بهذا الذي سَمَّاه النَّاس البَدِيع، ثم جاء الطائيّ بعْده فَتَفَنَّن فيه.

[مسلم ويزيد بن مزيد]

أخبرني إبراهيمُ بنُ أيُّوب عن عبد الله بنِ مُسْلِم الدِّينَوَرِيّ قال: كان مُسْلِمُ بنُ الوَلِيد وأَخُوه سُلَيمان مُنْقَطِعَين إلى يزيد بن مَزْيَد ومحمد بن مَنْصُور بن زِياد، ثم الفَضْل بنِ سَهْل بعد ذلك. وَقَلَّدَ الفَضْلُ مُسْلِماً المَظالمَ بِجُرْجَان فمات بها.

أخبرني عليُّ بنُ سُليمان قال: حدّثنا محمدُ بنُ يَزِيد قال: كان السبَبُ في قَوْلِ

مُسْلِم: [مجزوء الخفيف]

تَــدّعِــي الــشــوقَ إن نــأَتْ وَتــجــنَّــى إذا دَنَــتْ

أَنَّهُ عَلِقَ جَارية ذات ذِكْر وَشَرَف، وكان مَنزِلُها في مَهَبِّ الشَّمَال من مَنْزِله، وفي ذلك يقول:

صوت

[الوافر]

أُحِبُّ الـرِّيـحَ مـا هَـبَّـتْ شَـمـالا وأَحْـسُـدُهـا إذا هَـبَّـتْ جَـنُـوبـا
أَهـابُـكِ أنْ أَبُـوحَ بـذاتِ نَـفْـسِـي وأفْـرَقُ إنْ سَـأَلْـتُـكِ أن أخِـيـبـا[1]
وأهْـجُـرُ صـاحِـبـي حُـبَّ الـتَّـجَـنِّـي عـلـيـهِ إذا تَـجَـنَّـيْـت الـذُّنـوبـا
كـأنّـي حـيـن أُغْـضِـي عَـنْ سِـواكُـمْ أخـافُ لَـكُـمْ عـلـى عَـيْـنِـي رَقِـيـبـا

غَنَّى عبد الله بنُ العَبّاس الرّبيعي في هذه الأبيات هزجاً بالبِنْصر عن الهِشاميّ.

قال: وكانت له جارِية يُرْسِلها إليها ويَبُثُّها سِرّه، وتعودُ إليه بأخبارها ورسائِلِها؛ فطال ذلك بينهما؛ حتى أحبَّتها الجارِيةُ التي عَلِقها مُسْلِم ومالت إليها، وكِلتاهما في نهاية الحُسْن والكمال.

وكان مُسلم يُحِبُّ جاريَته هذه مَحَبَّة شديدة، ولم يكن يَهْوى تلك، إنما كان يُريد الغَزَل والمُجُون والمُراسلة، وأن يَشيع له حَدِيثٌ بِهَواها، وكان يَرَى ذلك من المَلاحة والظَّرف والأدب، فلما رَأى مَودَّة تلك لجارِيته هَجَر جارِيَته مُظْهِراً لذلك، وقطعها عن الذّهاب إلى تلك، وذلك قولُه: [الوافر]

وأهْـجُـر صـاحِـبـي حُـبَّ الـتَّـجَـنِّـي عَـلَـيْـهِ إذا تَـجَـنَّـيْـت الـذُّنُـوبـا

وراسَلَها مع غير جاريِته الأولى، وذلك قوله: [مجزوء الخفيف]

تَــدَّعِــي الــشَّــوْقَ إن نــأتْ وتَــجَــنَّــى إذا دَنَــتْ
وَاعَــدَتْــنــا وأَخْــلَــفَــتْ ثــم سـاءَتْ فـأَحْـسَـنَـتْ
سَــرَّنِــي لَــوْ صَـبَـرْتُ عَـنْـــهـا فـتُـجْـزَى بـمـا جَـنَـتْ
إنَّ سَــلْــمَــى لَــوِ اتَّــقَــتْ رَبَّــهــا فِــيَّ أَنْــجَــزَتْ
زَرَعَــتْ فـي الــحَــشـا الـهَـوَى وَسَــقَــتْــهُ حَــتَّــى نَــبَــتْ

---

(١) أفرق: أخشى، أخاف.

[بينه وبين أبي نواس]

أخبرني الحُسَيْن بنُ يَحْيَى ومحمدُ بنُ يَزِيد قالا: حدّثنا حَمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه قال: لقي مُسلِم بنُ الوَليد أبا نواس فقال له: ما أَعرِف لك بَيْتاً إلا فيه سَقَطٌ، قال: فما تَحْفَظ من ذلك؟ قال: قُلْ أنت ما شِئتَ حتى أُريك سَقَطَه فيه، فأَنْشَدَه:

[الكامل]

ذَكَرَ الصَّبُوحَ سُحَيْرَةً فارْتاحا وَأَمَلَّهُ دِيكُ الصَّباحِ صِياحا

فقال له مُسلم: فلمَ أَمَلّه وهو الذي أذكَره وبه ارْتَاح؟ فَقال أبُو نُواس: فأَنشِدْني شَيْئاً مِن شعْرك ليس فيه خَلل، فأنشدَه مُسلم: [الكامل]

عاصَى الشَّبَابَ فَراحَ غَيْرَ مُفنَّد وَأَقامَ بَيْنَ عَزِيمَةٍ وتَجَلُّدِ[1]

فقال له أبُو نواس: قد جَعلتَه رائحاً مقيماً في حال واحدة وبيت واحد. فتشَاغَبا وتسَابًا ساعة، وكلا البيتين صحيح المعنى.

[إعجاب المأمون بشعره]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال: قال لي محمد بنُ عبد الله بن مُسْلم: حَدَّثني أَبي قال: اجتمع أَصحابُ المأمون عنده يَوْماً، فأفاضوا في ذكر الشّعر والشّعراء، فقال له بعضُهم: أين أنت يا أَميرَ المؤمنين عن مُسلِم بنِ الوليد؟ قال: حَيث يقولُ ماذا؟ قال: حيثُ يقول وقد رَثى رجلاً: [الطويل]

أرادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطِيبُ تُرابِ القَبْرِ دَلَّ عَلَى القَبْرِ

وحيث مَدَحَ رَجُلاً بالشّجاعة فقال: [البسيط]

يَجودُ بالنَّفس إذْ ضَنَّ الجَواد بها والجُودُ بالنَّفْس أقْصَى غايةِ الجُودِ

وهجا رَجُلاً بقُبْح الوجه والأخْلاقِ فقال: [الكامل]

قَبُحَتْ مَناظِرُه فَحينَ خَبَرْتُهُ حَسُنَتْ مَناظِرُهُ لِقُبْحِ المَخْبَرِ

وتَغازَلَ فقال: [الرجز]

هَوىً يَجِدُّ وَحَبِيبٌ يَلْعَبُ أَنْتَ لَقىً بَيْنَهُما مُعَذَّبُ

---

(١) مُفنَّد: ملوم. وفنَّده: لامه.

فقال المَأمونُ: هذا أشعَرُ مَنْ خُضْتُم اليَوم في ذِكْرِه.

[مديحه يزيد بن مزيد ونيله عطاءه]

أخبرني محمدُ بنُ عَمْران الصَّيْرفيّ والحَسَن بنُ عليّ الخَفَّاف قالا: حدَّثَنا الحَسَن بن عُلَيْل العَنَزِيّ قال: حَدَّثني قَعْنَب بنُ المُحْرِز، وابنُ النَّطَّاح، عن القَحْذَمِيّ قال: قال يَزِيدُ بنُ مَزْيد: أرسلَ إليَّ الرَّشيدُ يوماً في وقت لا يُرسَل فيه إلى مِثْلِي فأتيتُه لابِساً سِلاحِي، مُستَعِداً لأمر إن أرادَه، فلما رآني ضَحِك إليَّ ثم قال: يا يَزِيد خَبِّرني مَنِ الَّذي يَقولُ فيك: [البسيط]

تَـراهُ فِـي الأمْـنِ فـي دِرْعٍ مُـضـاعَـفَـةٍ لا يأمَنُ الدَّهْرَ أنْ يُدْعَى على عَجَلِ
صَافِي العِيانِ طَمُوحُ العَيْنِ هِمَّتُهُ فَكُّ العُناةِ وأَسْرُ الفَاتِكِ الخَطِلِ
لِـلَّـهِ مِـنْ هـاشِـمٍ فِـي أرْضِـهِ جَـبَـلٌ وَأنْـتَ وَابْنُـكَ رُكْـنَـا ذَلِـكَ الـجَـبَـلِ

فقلت: لا أعرِفهُ يا أَميرَ المُؤمنين. قال: سَوْءَةً لك من سَيِّد قَوْم يُمدَح بِمِثْل هذا الشِّعر ولا تَعرِف قائِلَه، وقد بَلَغ أميرَ المُؤمِنين فرَواه وَوصَل قائِلَه، وهو مُسْلِمُ ٱبنُ الوَليدِ. فانصرفتُ فدَعوتُ به ووصلتُه ولَّيتُه.

أخبرني محمدُ بن عِمْرَان الصَّيْرَفيّ، والحَسَنُ بن عَلِيّ الخَفَّاف قالا: حدَّثَنا الحَسَن بن عُلَيْل العَنَزِيّ قال: حدَّثني أبو عبدِ الله أحمَدُ بنُ محمد بنِ سُلَيمان الحَنَفيّ ذو الهِدْمَيْن قال: حدَّثني أبي قال: دخل يَزِيدُ بنُ مَزْيد على الرَّشِيد فقال له: يا يَزيد، مَنِ الذي يَقُولُ فيك: [البسيط]

لا يَـعـبَـقُ الـطِّـيـبُ خَـدَّيْـهِ وَمَـفْـرِقَـهُ ولا يُـمَـسِّـحُ عَـيْـنَـيْـهِ مـنَ الـكُـحُـلِ
قـد عَـوَّدَ الـطَّـيْـرَ عـاداتٍ وَثِـقْـن بـهـا فـهُـنَّ يَـتْـبَـعْـنَـهُ فـي كُـلِّ مُـرْتَـحَـلِ

فقال: لا أعرِف قائِلَه يا أمِير المُؤْمِنين. فقال له هارُون: أيُقال فيك مِثلُ هذا الشِّعر ولا تَعرِف قائِلَه! فخرَج من عنده خَجلاً، فلما صار إلى مَنْزله دعا حاجبَه فقال له: مَنْ بالبابِ منَ الشُّعَراء؟ قال: مسلم بن الوليد، فقال: وكيف حَجَبتَه عنِّي فلم تُعْلِمْني بمكانه؟ قال: أخبرتُه أنّكَ مُضِيقٌ[1]، وأنّه ليس في يَدَيْكَ شيء تعطيه إياه، وسألتُه الإمساكَ والمُقامَ أياماً إلى أن تَتَّسع. قال: فأنْكَر ذلك عليه وقال:

---

(١) أضاق الرجل: أُصيب بضائقة، وضاق عليه عيشه.

أدخِلْه إليَّ. فأدخله إليه، فأنشدَه قوله: [البسيط]

أُجْررْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ في الصِّبَا غَزِلِ وشَمَّرَتْ هِمَمُ العُذَّالِ في عَذَلِي
رَدَّ البُكاءَ على العَيْنِ الطَّمُوحِ هَوىً مُفَرَّقٌ بينَ تَوْدِيعٍ ومُرْتَحَلِ
أمَا كَفَى البَيْنَ أن أُرْمَى بِأَسْهُمِهِ حَتَّى رَمانِي بلَحْظِ الأعْيُنِ النُّجُلِ!
مِمَّا جَنَت لِي ـ وإنْ كانَتْ مُنًى صَدَقَتْ ـ صبَابَةٌ خُلَسُ التَّسلِيمِ بالمُقَلِ

فقال له: قد أمرْنا لك بخَمْسين ألفَ دِرْهم، فاقبِضْها واعذِر. فخرج الحاجبُ فقال لمُسْلم: قد أمرني أن أرهن ضَيْعَة من ضِياعهِ على مِائَة ألْف دِرْهم، خَمْسُون ألْفاً لك وخَمْسُونَ أَلْفاً لنَفَقَتِه، وأعطاه إيَّاها. وكتب صاحِبُ الْخَبَر بذلك إلى الرّشيد، فأمر لِيَزيد بِمائَتي ألفِ دِرهم وقال: إقضِ الخَمْسين الألف التي أخذها الشَّاعر وزِدْه مثلَها. وخُذ مائة أَلْفٍ لِنَفَقَتك. فافتَكَّ ضَيْعَتَه، وأعطَى مُسلماً خَمْسين ألفاً أُخرى.

أخبرني الحَسن بنُ عليّ الخفَّاف قال: حدّثنا محمَّد بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني عليُّ بنُ عُبَيد الكُوفيّ، وعليُّ بنُ الحَسنِ كِلاهما قال: أخبرَني عَلِيُّ بنُ عَمْرو قال: حدّثني مُسْلمُ بنُ الوليد المَعْروف بصَرِيع الغَواني قال: كنتُ يوماً جالساً في دكان خَيَّاط بإزاء مَنْزِلي، إذْ رأيتُ طارِقاً ببابِي، فَقُمتُ إليه فإذا هو صَدِيق لي من أهْلِ الكُوفَة قد قَدِمَ من قُمَّ، فسُرِرْتُ به، وكأنَّ إنساناً لَطَمَ وجهي، لأنَّه لم يكُنْ عِنْدي دِرْهم واحد أُنفِقُه عليه. فقُمْتُ فسلَّمتُ عليه، وأدخلتُه مَنْزِلي، وأخذتُ خُفَّيْن كانا لي أتجمَّل بهما، فدفَعْتُهُما إلى جارِيتي، وكتبتُ معهما رُقْعَة إلى بعض مَعارفي في السُّوق، أسألُه أن يَبِيع الخُفين ويَشْتَرِيَ لي لَحْماً وخُبْزاً بِشَيْءٍ سَمَّيتُه. فَمَضَت الجارِيةُ وعادَت إليَّ وقد اشترى لها ما قد حَدَّدته له، وقد باع الخُفين بتسعَةِ دراهم، فكأنَّها إنما جاءت بخُفَّين جَدِيدَين. فقعَدْت أنا وضَيْفي نَطبُخ، وسألتُ جاراً لي أن يَسْقِينَا قارُورَة نَبِيذ، فوجَّه بها إليَّ، وأمرتُ الجارِيَة بأن تُغلِق باب الدَّار مخافَةَ طَارِق يَجِيء فَيَشْرَكنا فيما نحن فيه، لِيَبْقَى لي وله ما نأكُله إلى أن يَنْصرِف. فإنَّا لجَالِسَان نَطْبُخ حتى طرق البَابَ طَارِقٌ، فقلت لِجارِيَتي: انْظُري مَنْ هذا. فنَظَرت من شِقِّ البَاب فإذا رَجُل عليه سَوادٌ وشاشِيَّة ومِنْطَقَة ومعه شاكِرِيّ، فخَبَّرتْني بِمَوضعه فأنكرْتُ أمرَه، ثم رَجَعَت إليَّ نفسِي فقلت: لَسْتُ بصاحب دَعارَة، ولا للسُّلطان عَلَيَّ سَبِيل. فَفَتَحْتُ الباب وخرجتُ إليه، فنزل عن دَابّتِه وقال: أأنتَ مُسْلِم بنُ الوَلِيد؟ قلت: نَعَم. فقال: كيفَ لي بِمَعْرِفَتِكَ؟ قلت: الذي دَلَّكَ على مَنْزِلي يُصَحِّحُ

لك مَعْرِفتي. فقال لغُلامه: امضِ إلى الْخَيَّاط فسَلْه عنه. فمَضَى فسأله عَنِّي فقال: نَعَم هو مُسلِم بنُ الوليد. فأخرج إليَّ كِتاباً من خُفِّه، وقال: هذا كتاب الأمِير يَزِيدَ ٱبنِ مَزْيد إليّ، يأمُرني ألاَّ أَفُضَّه إلا عند لِقائِك، فإذا فيه: إذا لَقِيتَ مُسلمَ بن الوَليد فَادْفَعْ إليه هذه العَشْرَةَ آلاف دِرْهم، التي أنفذتُها تكون له في منزله، وادفع ثَلاثةَ آلاف دِرْهم نَفَقَةً لِيَتَحَمَّل بها إلينا. فأخذتُ الثّلاثَةَ والعشْرة ودَخلْت إلى منزلي والرَّجُل معي، فأكَلْنَا ذلك الطعام، وازدَدْتُ فيه وفي الشَّراب، واشتريْتُ فاكِهَة، واتَّسَعْتُ ووهبتُ لِضَيْفِي من الدَّراهِم ما يُهدِي به هَدِيَّة لِعِيالِه. وأخذتُ في الجِهاز، ثم ما زِلتُ معه حتى صِرْنا إلى الرَّقَّة إلى باب يَزِيد، فدَخَل الرّجلُ وإذا هو أَحَدُ حُجَّابه، فوجَدَه في الحَمّام، فخرج إليَّ فَجلَس معي قَلِيلاً، ثم خُبِّر الحاجِبُ بأَنَّه قد خَرَج من الحَمّام، فأدخَلَني إليه، وإذا هو على كُرْسيّ جالس، وعلى رَأْسِه وَصِيفة بِيدها غِلافُ مِرْآة، وبِيده هو مِرْآة ومُشْط يُسرّح لِحْيَتَه، فقال لي: يا مُسلِم، ما الذي بَطَّأ بك عَنَّا؟ فقلت: أَيُّها الأمير، قِلَّةُ ذاتِ اليَدِ. قال: فأنشِدْني. فأنشَدْتُه قَصِيدَتي التي مَدَحْتُه فيها: [البسيط]

أَجْرَرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ في الصِّبَا غَزِلِ ... وشَمَّرَتْ هِمَمُ العُذّالِ في عَذَلِي

فلما صِرتُ إلى قولي: [البسيط]

لا يَعْبَقُ الطِّيبُ خَدّيْهِ ومَفْرِقَهُ ... ولا يُمَسِّحُ عَيْنَيْه مِنَ الكُحُلِ

وَضَع المِرآة في غِلافِها، وقال للجارية: انْصرِفي، فقد حرّم علينا مُسلِم الطِّيبَ. فلما فرغْتُ من القصيدة قال لي: يا مُسْلِم، أتَدْرِي ما الَّذي حَدَانِي إلى أن وَجّهتُ إليك؟ فقلتُ: لا والله ما أدْرِي قال: كنتُ عند الرّشيد منذُ لَيالٍ أُغَمِّزُ[1] رِجْلَيه، إذ قال لي: يا يزيد، من القائل فيك: [البسيط]

سَلَّ الْخَلِيفَةُ سَيْفاً من بَنِي مَطَرٍ ... يَمْضِي فَيَخْتَرِمُ الأجسادَ والهاما
كالدَّهْرِ لا يَنْثَنِي عَمّا يَهُمُّ بهِ ... قَدْ أوسَعَ النّاسَ إنعاماً وإرغاما

فقلت: لا والله ما أدْري. فقال لي الرّشِيد: يا سُبْحان الله! أنتَ مُقِيم على أعرابيّتك، يُقال فيك مِثلُ هذا الشِّعر ولا تَدرِي مَنْ قائلُه! فسألت عن قائله، فأُخبِرتُ أنَّك أنتَ هو، فقُم حتى أُدخِلكَ على أميرِ المُؤْمِنين.

(١) غَمَّز رجليه: كبسهما وجسَّهما، ودلكهما.

[إجازة الرشيد وتحذيره]

ثم قام فدَخَلَ على الرّشيد، فما عَلِمْتُ حتى خرَج عليّ الإذن فأُذِن لي، فدخَلْتُ على الرّشيد، فأنشدْتُه ما لي فيه من الشِّعر، فأمر لي بِمائَتي ألف دِرْهم، فلما انْصرَفْتُ إلى يَزيد أمر لي بِمائَةٍ وتِسْعِين ألْفاً، وقال: لا يَجُوز لي أن أُعْطِيَك مِثلَ ما أعْطاك أمِيرُ المؤمنين. وأقطَعَني إقطاعات تبلُغ غَلَّتُها مائتي ألْف دِرْهم.

قال مُسلِم: ثم أفْضَتْ بي الأُمور بعد ذلك إلى أن أغْضَبَني فهَجَوْتُه، فشَكاني إلى الرّشيد، فدَعَاني وقال: أتَبِيعُني عِرضَ يزيد؟ فقلت: نَعَم يا أميرَ المؤمنين. فقال لي: بِكَم؟ فقلتُ: برغِيف خبز. فغَضِب حتى خِفْتُه على نَفسي، وقال: قد كُنتُ على أن أَشْتَرِيَه منك بمَالٍ جسيم، ولَسْتُ أفعَل ولا كرامةَ، فقد عَلِمتُ إحسانَه إليك، وأنا نَفِيٌّ من أبي، وواللَّهِ ثُمّ والله لئن بَلَغَني أنَّك هَجَوْتَه لأنْزِعَنّ لِسانكَ من بَيْن فَكَّيْكَ. فأمسَكتُ عنه بعد ذَلك، وما ذكرتُه بخَيْر ولا شرّ.

أخبرني الحَسَنُ بن علي قال: حدّثنا محمدُ بن القاسِم بن مَهْرويه قال: حدّثني محمد بنُ عَبدِ الله اليَعْقُوبيّ قال: حدّثني البَيْدَق الرّاوية ـ وكان من أهل نَصِيبِين ـ قال: دَخلْتُ دارَ يَزِيدَ بن مَزْيد يوماً وفيها الْخَلْق، وإذا فتىً شابٌّ جالِس في أفْناء النَّاس، ولم يَكُنْ يزِيد عرفَه بَعْدُ، وإذا هو مُسْلِم بنُ الوَلِيد، فقال لي: ما في نَفسي أن أقولَ شِعْراً أبداً، فقلتُ: ولِمَ؟ قال: لأنّي قد مَدَحْتُ هذا الرَّجل بشِعْر ما مُدِح بمِثْلِه قطّ، ولَسْتِ أجِد مَنْ يُوَصِّله، فَقلتُ له: أنشِدْني بعضَه، فأنْشَدَني منه: [البسيط]

مُوفٍ على مُهَجٍ في يَوْمِ ذِي رَهَجٍ ... كأنَّهُ أجَلٌ يَسْعَى إلى أمَلِ
يَقرِي السُّيوفَ نُفُوسَ النَّاكِثِينَ بهِ ... وَيَجْعَلُ الرُّوسَ تِيجَانَ القَنَا الذُّبُلِ
لا يَعبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْهِ ومَفْرِقَهُ ... ولا يُمَسِّحُ عَيْنَيْهِ من الكُحُلِ
إذا انتَضَى سَيْفَهُ كانَتْ مَسالِكُهُ ... مسالكَ المَوْتِ في الأجسام والقُلَلِ[1]
وإنْ خَلَتْ بحَدِيثِ النَّفْسِ فِكْرَتُهُ ... عاشَ الرَّجاءُ وماتَ الْخَوْفُ مِنْ وَجَلِ
كاللَّيْثِ إنْ هِجْتَهُ فالمَوْتُ راحَتُهُ ... لا يَسْتَرِيحُ إلى الأيّامِ والدُّوَلِ
للَّهِ مِنْ هاشِمٍ في أرْضِهِ جَبَلٌ ... وَأنْتَ وابْنُكَ رُكْنا ذَلِكَ الجَبَلِ
صَدَّقْتَ ظَنّي وَصَدَّقْتَ الظُّنونَ بهِ ... وَحَطَّ جُودُكَ عَقْدَ الرَّحْل عَنْ جَمَلِي

---

(١) القلل: الرؤوس.

قال: فأخذتُ منها بَيْتَيْنِ، ثم قلت له: أنشِدْني أيضاً ما لك فيه، فأنشدَني قَصِيدة أُخرى ابتِداؤها: [البسيط]

طيفَ الخَيالِ حَمِدْنَا منكَ إلمامَا ... داوَيْتَ سُقْماً وقد هَيَّجتَ أسْقامَا

يقول فيها:

كالدَّهْرِ لا يَنْثَنِي عَمّا يَهُمُّ بهِ ... قَدْ أوْسَعَ النَّاسَ إنعاماً وإرغامَا

قال: فأنشدْتُ هذه الأبيات يَزِيدَ بنَ مَزْيد، فأمر له بخَمْسِمِائة دِرْهم. ثم ذكرتُه بالرَّقّة فقلت له: هذا الشّاعر الذي قد مَدَحَك فأحسن، تَقْتَصر به على خَمْسِمِائة دِرْهم! فَبَعث إليه بخَمسمائة دِرْهم أُخْرى، قال: فقال لي مُسلِم: جاءَتْني وقد رَهَنْتُ طَيْلَسانِي على رؤوس الإخوان، فوقعت مِنِّي أحسنَ مَوْقِع.

أخبرني محمد بنُ عِمْران قال: حدّثنا العَنَزِيّ عن محمد بنِ بَدْر العِجْليّ عن إبراهيمَ بنِ سالم عن أبي فِرْعَونَ مَوْلَى يَزِيد بنِ مَزْيد قال: رَكِب يَزِيدُ يوماً إلى الرّشيد فتغَلَّف بِغالِيَة[1]، ثم لم يلبَث أنْ عاد فدعا بطَسْتٍ فَغَسَل الغَالِيَة، وقال: كرهتُ أن أُكذِّبَ قولَ مُسلم بنِ الوليد:

لا يَعْبَقُ الطِّيبُ خَدَّيْهِ ومَفْرِقَهُ ... ولا يُمَسِّحُ عَينَيْهِ مِنَ الكُحُلِ

أخبرني جَعْفَر بنُ قُدامَة قال: حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال: حَدَّثني أبو تَوْبة قال: كان مُسلِم بنُ الوَلِيد جالِساً بَيْن يَدَي يَزِيد بنِ مَزْيد فأتاه كِتابٌ فيه مُهِمّ له، فقرأه سِرّاً ووضَعَه، ثم أعادَ قِراءَته ووضَعَه، ثم أراد القِيامَ، فقال له مُسلِم بن الوليد: [البسيط]

الحَزْم تَحْرِيقُهُ إنْ كُنْتَ ذا حَذَرٍ ... وإنَّما الحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بالنَّاسِ
لَقَدْ أتاكَ وقد أدَّى أَمانَتَهُ ... فاجْعَلْ صِيانَتَهُ في بَطْنِ أرْماسِ[2]

قال: فضَحِك يَزِيد وقال: صَدَقْتَ لَعَمْري. وخَرَّق الكِتاب، وأمر بإحراقِه.

حدَّثَني عَمِّي وجحظة قالا: حدَّثنا عَلِيُّ بنُ الحُسَين بنِ عبدِ الأعلى قال: حدَّثني أبو مُحَلّم، وحَدَّثني عَمّي قال: حدَّثني عبد الله بن أبي سَعْد قال: حدَّثني أبو تَوْبة، قال: كان مُسلِم بن الوَلِيد صَدِيقاً لِيَزِيدَ بنِ مَزْيد ومَدَّاحاً له، فلما مات انْقَطَع

(١) تغلف بالطيب: تطيب به. والغالية: من أفضل أنواع الطيب.
(٢) أرماس: جمع رمس، وهو القبر.

إلى ابنه محمدِ بنِ يَزِيد ومَدحَه كما مَدَح أباه، فلم يَصْنَع إليه خيراً، ولم يُرضِه ما فعله به، فَهَجَره وانقَطَعَ عنه، فكَتَب إليه يَسْتَحفِيه[1] ويَلومُه على انقِطاعه عنه، ويُذَكِّره حُقوقَ أبيه عليه، فكتَبَ إليه مُسْلِم: [الطويل]

لَبِستُ عَزاءً عَنْ لِقاءِ مُحَمَّدٍ ... وأَعْرَضْتُ عنهُ مُنْصِفاً وَوَدُودَا
وَقُلْتُ لنَفْسٍ قادَها الشَّوقُ نَحْوَهُ ... فَعَوَّضَها حُبُّ اللِّقاءِ صُدودا
هَبِيهِ امْرأً قد كانَ أَصْفاكِ وُدَّهُ ... فماتَ وإلاَّ فاحْسُبِيهِ يَزِيدَا
لعَمْرِي لَقَدْ وَلَّى فَلَمْ أَلْقَ بَعْدَهُ ... وَفاءً لِذِي عَهْدٍ يُعَدُّ حَمِيدَا

[رثاؤه يزيد بن مزيد]

أخبرني محمدُ بنُ القاسِم الأنْبارِيّ قال: حدّثني أَبي قال: حدّثني أحمدُ بنُ محمد بن أبي سَعْد قال: أُهدِيَتْ إلى يَزِيدَ بنِ مَزْيد جارِيَةٌ وهو يَأكل، فلما رُفِع الطَّعام من بَيْن يديه وَطِئَها فلم يَنْزِل عنها إلاّ ميّتاً، وهو بِبَرْذَعة[2]، فدُفِن في مَقابِرِ بَرْذَعة، وكان مُسْلم معه في صَحَابته فقال يَرْثيه: [الكامل]

قَبرٌ بِبَرْذَعَةَ استَسَرَّ ضَرِيحُهُ ... خَطَراً تَقَاصَرُ دُونَهُ الأخْطارُ
أبقَى الزَّمانُ على رَبِيعَةَ بَعْدَهُ ... حُزْناً كَعُمْرِ الدَّهْرِ لَيْس يُعارُ
سَلَكَتْ بكَ العُرْبُ السَّبِيلَ إلى العُلاَ ... حَتَّى إذا بَلَغوا المَدَى بكَ حَارُوا

ويُرْوى:

حتى إذا سَبق الرَّدَى بك حاروا

ـ هكذا أنشده الأخفش ـ

نُفِضَتْ بكَ الأحْلاسُ نَفْضَ إقامَةٍ ... واسْتَرْجَعَتْ رُوَّادَها الأمصارُ
فاذْهَبْ كما ذَهَبتْ غَوادِي مُزْنَةٍ ... أثنى عليها السَّهْلُ والأوْعارُ[3]

نَسختُ من كِتاب جَدِّي يَحيى بنِ محمد بنِ ثَوابَة: حَدَّثني الحَسَنُ بنُ سَعِيد عن أبيه قال: كان دَاودُ بنُ يَزِيد بنِ حاتِم المُهَلَّبِيّ يَجلِس للشُّعَراء في السَّنة مجْلِساً

(١) استحفاه: استخبره.
(٢) برذعة: بلد في أقصى أذربيجان. (معجم البلدان ١/٣٠٩).
(٣) الأوعار: جمع وعر، وهو المكان الصلب الخشن الموحش.

واحداً فيَقْصِدونه لذلِك اليَوْم ويُنْشِدُونه، فَوجَّه إليه مُسلِم بنُ الوَلِيد راوِيَته بشِعْره الذي يقول فيه: [البسيط]

جَعَلْتَهُ حَيثُ تَرْتابُ الرِّياحُ بهِ وَتَحْسُدُ الطَّيْرَ فيهِ أَضْبُعُ البيدِ

فقَدِم عليه يوم جُلُوسه للشُّعَراء، ولَحِقه بعَقِبِ خروجِهم عنه، فَتَقَدَّم إلى الحاجِب وحسر لِثَامَه عن وَجْهه ثم قال له: استأذِن لي على الأمير. قال: ومَنْ أَنت؟ قال: شاعر. قال: قد انْصَرَم وقتُك، وانْصَرَف الشُّعراء، وهو على القِيام. فقال له: وَيْحك قد وَفَدْتُ على الأمير بشِعْر ما قالت العَربُ مثلَه. قال: وكان مع الحاجِب أدَب يَفْهَم به ما يَسْمَع، فقال: هاتِ حتى أسْمَع، فإن كان الأمرُ كما ذكرت أوصلْتُك إليه. فأنشدَه بعضَ القَصيدة، فسمع شيْئاً يَقصُرُ الوَصفُ عنه، فدَخَلَ على داود فقال له: قد قَدِم على الأميرِ شاعر بشِعْر ماقيل فيه مِثلُه، فقال: أدخِل قائلَه، فأدخَله، فلمَّا مَثَل بين يديه سَلَّم وقال: قَدِمتُ على الأمير ـ أعزّه اللَّه ـ بمَدْح يسمعه فيعلم به تَقدُّمي على غيْري مِمّن امتدَحه. فقال: هاتِ. فلما افْتَتَح القصيدة وقال: [البسيط]

لا تَدْعُ بي الشَّوْقَ إنِّي غيْرُ مَعْمُودِ نَهَى النُّهَى عن هَوَى البيضِ الرَّعادِيدِ

استَوى جالِساً وأطْرق، حتى أتى الرَّجلُ على آخرِ الشِّعر، ثم رَفَع رأسه إليه ثم قال: أهذا شِعْرك؟ قال: نَعَم أعزَّ الله الأمير، قال: في كَمْ قُلتَه يا فَتى؟ قال: في أربعة أشْهر، أبقاك الله. قال: لو قُلتَه في ثمانِيةِ أَشْهُر لكُنتَ مُحسِناً. وقد اتَّهَمْتُك لجَوْدة شِعْرك وخُمول ذِكرِك، فإن كُنتَ قائلَ هذا الشِّعر فقد أنظَرتُك أربعةَ أشْهُر في مِثْلِه، وأمرتُ بالإجْراء عليك، فإن جِئتَنا بمِثْل هذا الشِّعر وَهبتُ لك مِائةَ ألفِ دِرْهم وإلا حَرَمْتك. فقال: أو الإقالة، أعزَّ اللَّهُ الأمير. قال: أَقَلْتُك. قال: الشِّعرُ لمُسْلِم بنِ الوَليد، وأنا راوِيتُه الوافِدُ عليك بشِعْره. فقال: أَنَا ابنُ حاتم، إنَّك لَمَّا افْتَتَحتَ شِعرَه فقُلت:

لا تَدْعُ بي الشَّوْقَ إنِّي غَيْرُ مَعْمودِ

سَمِعتُ كلامَ مُسْلِم يُنادِيني فأجَبْت نِداءَه واستَوَيْتُ جالساً. ثم قال: يا غُلام، أعطِه عَشْرَة آلافِ دِرْهم، واحمِل السَّاعة إلى مُسلمٍ مِائةَ ألْف دِرْهم.

[توليته جرجان]

أخبرني الحُسَيْن بنُ القَاسِم الكَوْكَبِيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال: حَدَّثني مَسعودُ بنُ عيسى العَبْدِيّ قال: أخبَرني مُوسَى بنُ عَبْدِ الله التَّميميّ قال:

دَخَل مُسلم بنُ الوَليد الأنصاريّ على الفَضْل بن سَهْل لِيُنْشِدَه شِعْراً، فقال له: أيُّها الكَهْل، إنِّي أُجِلُّك عن الشِّعر، فسَلْ حاجَتَك، قال: بل تَسْتَتِمّ اليَد عندي بأن تَسْمَع، فأَنْشَدَه: [البسيط]

دُمُوعُها من حِذارِ البَيْنِ تَنْسَكِبُ ... وقَلبُها مُغْرَمٌ من حَرِّها يَجِبُ
جَدَّ الرَّحِيلُ بهِ عَنْها فَفَارَقَها ... لِبَيْنِهِ اللَّهْوُ واللَّذَّاتُ والطَّرَبُ
يَهْوَى المَسِيرَ إلى مَرْوٍ ويَحْزُنُهُ ... فِراقُها فَهْوَ ذو نَفْسَيْنِ يَرْتَقِبُ

فقال له الفَضْل: إني لأُجِلُّك عن الشعر، قال: فأَغْنِنِيْ بما أَحْبَبتَ من عَمَلك؛ فَولاَّه البَريدَ بجُرْجان.

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدَّثني الحُسَين بن أبي السَّرِيّ. وأخبَرني بهذه الأخبار محمد بنُ خَلَف بن المَرزُبان، قال: حدّثني إبراهيمُ بن محمد الوَرَّاق، عن الحُسَيْن بن أبي السَّرِيّ قال: قيل لمُسلِم بنِ الوَليد: أيُّ شِعْرك أَحبّ إليك؟ قال: إن في شِعْري لَبَيْتاً أخذتُ معناه من التَّوراة، وهو قَوْلي: [البسيط]

دَلَّت عَلى عَيْبِها الدُّنْيَا وصَدَّقَها ... ما اسْتَرْجَع الدَّهْرُ ممّا كانَ أَعْطاني

قال الحُسين: وحدَّثني جماعة من أَهْل جُرْجان أَنَّ راوِيَة مُسلِم جاء إليه بعد أن تَابَ لِيَعرِض عليه شِعرَه، فتَغَافَله مُسْلِم، ثم أَخَذَ منه الدَّفْتر الذي في يدِه، فقذَف به في البَحْر، فلهذا قَلَّ شِعْرُه، فَلَيْس في أَيْدي النَّاس منه إلا ما كان بالعراق، وما كان في أيدي المَمْدُوحِين من مَدائحهم.

قال الحُسَين: وحدّثني الحُسين بنُ دِعْبل قال: قال أبي لمُسْلم: ما مَعْنى قولك:

لا تَدْعُ بي الشَّوْقَ إنّي غَيرُ مَعْمُود

قال: لا تَدْعُني صَرِيعَ الغَواني فلستُ كذَلك؛ وكان يُلقَّب هذا اللَّقَب وكان له كارهاً.

أخبرني محمدُ بنْ خَلَف بنِ المرْزُبان قال: حدّثنا حَمَّادُ بنُ إسحاقَ عن أبِيه قال: عَتَب عِيسَى بنُ داود على مُسلِم بن الوليد فَهَجَره، وكان إليه مُحسناً، فكتب إليه مسلم:

شَكَرْتُكَ لِلنُّعْمَى فَلَمَّا رَمَيْتَنِي ... بِصَدِّكَ تأدِيباً شَكَرْتُكَ في الهَجْرِ
فَعِنْدِيَ لِلتَّأديبِ شُكْرٌ وَلِلنَّدَى ... وإن شِئْتَ كانَ العَفْوُ أدْعَى إلى الشُّكْرِ
إذا ما اتَّقاكَ المُسْتَلِيمُ بِعُذْرِه ... فَعَفْوُكَ خَيْرٌ مِنْ مَلامٍ على عُذْرِ

قال: فَرَضي عنه وعادَ إلى حاله.

[بخله]

أخبرني الْحَسَن بن عليّ قال: حدّثني ابن مهرويه قال: حدَّثني محمدُ بنُ الأشعث قال: حدّثني دِعْبِل بنُ عليّ قال: كان مُسلِم بنُ الوَلِيد من أبخَل الناس، فرأيتُه يوماً وقد استَقْبل الرِّضا عن غُلام له بعد مَوْجِدَة، فقال له: قد رَضِيتُ عنك وأمرتُ لك بدِرْهم.

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ قال: حدّثني ابنُ مَهْرُويه قال: حدّثني محمدُ بنُ عمرو بن سعيد قال: خرج دِعْبِل إلى خُراسانَ لَمَّا بلَغَه حُظْوةُ مُسْلِم بنِ الوليد عند الفَضْل بن سَهْل. فصار إلى مَرْو، وكَتَب إلى الفَضْل بنِ سَهْل: [الكامل]

لا تَعْبَأنْ بِابْنِ الوَلِيدِ فإنَّهُ ... يَرْمِيكَ بعدَ ثَلاثَةٍ بِمَلالِ
إنَّ المَلُولَ وإن تَقادَمَ عَهْدُهُ ... كانَتْ مَوَدَّتُهُ كَفَيْءِ ظِلالِ

قال: فدَفَع الفَضْل إلى مُسلِم الرُّقْعَةَ وقال له: انظر يا أبا الوليد إلى رُقعَةِ دِعْبِل فيك، فلمّا قرأها قال له: هل عَرفت لَقَب دِعْبِل وهو غُلام أمرد وهو يُفْسَق به؟ قال: لا، قال: كان يُلَقّب بمَيّاس، ثم كَتَب إليه: [الكامل]

مَيَّاسُ قُلْ لي: أينَ أنْتَ منَ الوَرَى ... لا أنْتَ مَعْلُومٌ ولا مجْهُولُ!
أمّا الهجاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ ... والمَدْحُ عنكَ كما عَلِمْتَ جليلُ
فاذْهَبْ فأنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إنَّهُ ... عِرْضٌ عَزَزتَ بِهِ وأنْتَ ذَلِيلُ

أخبرني محمدُ بن الحُسَين الكِنْديّ الكُوفِيّ مُؤَدّبي قال: حدّثني أزهرُ بن محمد قال: حدّثني الحُسَين بنُ دِعْبِل قال: سمِعتُ أبي يقول: بَيْنا أنا جالس بباب

الكَرْخ[١] إذ مَرّت بي جارية لم أر أحسنَ منها وجْهاً ولا قَدّاً تتثَنّى في مَشيها وتَنظُر في أعطافِها، فقلت مُتعرِّضاً لها: [مخلع البسيط]

دُمُوعُ عَيْنِي بِهَا انْبِسَاطٌ وَنَوْمُ عَيْنِي بِهِ انْقِبَاضُ

فأجابَتْنِي بسُرعة فقالت: [مخلع البسيط]

وذا قَلِيلٌ لِمَنْ دَهَتْهُ بِلَحْظِهَا الأعْيُنُ المِرَاضُ

فأدهَشَتْني وَعَجِبت منها فقلت:

فَهَلْ لِمَوْلاَيَ عَطْفُ قَلْبٍ وَلِلَّذِي في الحَشَا انْقِرَاضُ

فأجابَتْني غير مُتَوقِّفة فقالت:

إنْ كُنْتَ تَهْوَى الودادَ منّا فالوُدُّ في دِينِنَا قِرَاضُ

قال: فما دَخَلَ أُذُني كَلامٌ قطّ أحلى من كَلامِها، ولا رأيتُ أنضرَ وَجْهاً منها، فعدَلْتُ بها عن ذَلِك الشعر وقلت: [الكامل]

أتُرَى الزَّمانُ يَسُرُّنا بِتَلاقِ ويَضُمُّ مُشْتَاقاً إلى مُشْتَاقِ

فأجابَتْني بسُرعة فقالت: [الكامل]

ما لِلزَّمانِ وَلِلتَّحَكُّمِ بَيْنَنَا أنتَ الزَّمانُ فَسُرَّنا بِتَلاقِ

قال: فمَضَيْت أمامها أؤمّ بها دَارَ مُسلِم بن الوليد وهي تَتْبَعُني، فصِرتُ إلى مَنْزِله، فصادَفْتُه على عُسْرة، فدَفَع إليّ مِنْدِيلاً وقال: اذهب فبِعْه، وخُذْ لنا ما نحتاجُ إليه وعُدْ؛ فمَضَيْت مُسرعاً. فلما رَجَعْتُ وَجَدْتُ مُسلِماً قد خَلاَ بها في سِرْداب، فلما أحَسَّ بي وثب إليّ وقال: عَرَّفَكَ اللّه يا أبا عليّ جَميلَ ما فَعَلْت، ولَقَّاك ثَوابَه، وجَعَله أحسنَ حَسَنَةٍ لك، فَغَاظَنِي قولُه وطنْزُه[٢]، وجَعلتُ أُفكِّر أيَّ شيءٍ أعمَل به، فقال: بحياتي يا أبَا عَليّ أخبرني من الذي يقول: [الخفيف]

بِتُّ في دِرْعِها وبَاتَ رَفِيقِي جُنُبَ القَلْبِ طاهِرَ الأطْرافِ[٣]

---

(١) الكرخ: علم على عدة مواضع. انظر (معجم البلدان ٤/ ٤٤٧).
(٢) الطنز: التهكم والسخرية.
(٣) درع المرأة: قميصها.

فقلت: [الخفيف]

مَنْ لَهُ في حِرِ أُمِّهِ أَلْفُ قَرْنٍ قد أنافَتْ على عُلُوٍّ منافِ

وجعلت أشتمُه وأثِب عليه، فقال لي: يا أَحْمَق، مَنْزِلي دخلتَ، ومَنْدِيلِي بِعْت، ودَراهِمِي أَنْفَقت، على مَنْ تَحْرَد أنت؟ وأيّ شَيْء سَبَبُ حَرَدِك يا قَوَّادُ؟ فقلت له: مهما كَذَبتَ عليَّ فيه من شَيْء فما كَذَبتَ في الحُمْقِ والقِيادَة.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ قال: حدَّثني ابنُ مَهْرُويه والعَنَزِيُّ، عن محمد بن عبدِ الله العَبْدِيّ قال: هَجَا مُسلِمُ بنُ الوَليد سَعِيدَ بنَ سَلْم ويَزيدَ بن مَزْيد وخُزَيْمة بنَ خازِم فقال: [الطويل]

دُيونُكَ لا يُقْضَى الزَّمانَ غَرِيمُها وَبُخْلُكَ بُخْلُ الباهِلِيِّ سعِيدِ
سَعِيدُ بنُ سَلْم أَبْخَلُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وما قَوْمُهُ من بُخْلِهِ بِبَعِيدِ
يَزِيدُ لَهُ فَضْلٌ وَلٰكِنَّ مَزْيَداً تَدارَكَ فِينا بُخْلُهُ بِيَزِيدِ
خُزَيْمَةُ لا عَيْبٌ لَهُ غَيْرَ أَنَّهُ لِمَطْبَخِهِ قُفْلٌ وبَابُ حَدِيدِ

أخبرني هاشِمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا عِيسَى بنُ إسماعيل تِينَةُ قال: حدّثنا الأصمَعِيُّ قال: قال لي سَعِيدُ بنُ سَلم: قَدِمَت عليَّ امرأةٌ من باهِلَة من اليَمامة، فمدحَتْنِي بأبيات، ما تَمَّ سُرُوري بها حتى نَغَّصَنِيها مُسلمُ بنُ الوَليد بهِجاء بَلَغني أنّه هَجاني به، فقلت: ما الأبياتُ التي مُدِحْتَ بها؟ فأنشدني: [الطويل]

قُتَيْبَةُ قَيْسٍ سادَ قَيْساً وسَلْمُها فَلَمَّا تَولَّى ساد قَيْساً سعِيدُها
وسَيِّدُ قَيْسٍ سَيِّدُ النّاسِ كُلِّهِمْ وإنْ ماتَ مِنْ رَغْمٍ وذُلٍّ حسُودُها
هُمُ رَفعوا كَفَّيْكَ بالمَجْد والعُلا ومَنْ يَرْفَعُ الأبناءَ إلا جُدُودُها
إذا مَدَّ لِلْعَلْيا سَعِيدٌ يَمِينَهُ ثَنَتْ كَفُّهُ عَنْها أكُفّاً تُرِيدُها

قال الأصمعيّ: فقلتُ له: فبأيّ شَيْءٍ نَغَّصها عليك مُسلم؟ فضحك وقال: كلَّفْتَنِي شَطَطاً، ثم أنشد: [المتقارب]

وأَحْبَبْتُ مِنْ حُبِّها الباخِلِينَ حَتَّى وَمِقْتُ ابْنَ سَلْمٍ سعيدا[1]

(١) ومقه: أحبه. والمقة: المحبة.

إذا سِيلَ عُرْفاً كَسا وَجْهَهُ ثِياباً من النَّقْعِ صُفْراً وسُودَا[1]
يَغارُ على المَالِ فِعْلَ الجَوا دِ وَتَأْبى خلائِقُهُ أن يَجُودَا

أخبرني عمّي، قال: حدّثنا الكُرَانيُّ قال: حدّثني النَّوْشَجانيُّ الخَلِيلُ بنُ أَسَد قال: حدّثني عليُّ بنُ عَمْرو قال: وقف بعضُ الكُتّاب على مُسلِم بنِ الوليد وهو يُنشِد شِعْراً له في مَحْفِل، فأطال ثم انْصرف، وقال لِرَجُل كان مَعه: ما أَدْرِي أيَّ شيء أعجب الخَلِيفَةَ والخَاصّة من شِعْر هذا؟ فوالله ما سَمِعْتُ منه طائِلاً، فقال مُسلِم: رُدُّوا عليَّ الرّجل، فرُدَّ إليه، فأَقْبَل عليه ثم قال: [الكامل]

أَمَّا الهِجاءُ فدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ والمَدْحُ عنكَ كما عَلِمْت جليلُ
فاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إنَّهُ عِرْضٌ عَزِزْتَ بهِ وأنْتَ ذَلِيلُ

أخبرني محمد بنُ خَلَف بنِ المَرْزُبان قال: حدّثني إبراهيمُ بنُ محمد الوَرَّاقُ قال: حدّثني الحُسَيْن بنُ أبي السَّرِي قال: كان مُسلم بنُ الوَليد أُستاذَ دِعْبل وعنه أَخَذَ، ومن بَحْره استَقَى. وحدّثني دِعْبل أنّه كان لا يزالَ يَقول الشِّعر فيعرضُه على مُسْلم، فيقول له: إيّاك أن يكون أوّلُ ما يَظْهَر لك ساقِطاً فتُعرَف به، ثم لو قلت كُلَّ شَيْء جَيّداً كان الأوّل أشْهَرَ عنك، وكُنتَ أبداً لا تَزال تُعيَّر به، حَتَّى قُلْتُ:

أيْنَ الشَّبابُ وأيّةً سَلَكَا

فلما سَمِع هذه قال لي: أظهِر الآن شِعرَك كيف شِئْت.

قال الحُسَين: وحَدّثني أبو تَمّام الطّائيّ قال: ما زال دِعْبل مُتعصِّباً لمُسْلم، مائِلاً إليه، مُعتَرِفاً بأُستاذِيَّته حتّى ورَد عليه جُرْجانَ، فجَفاه مُسلِم، وهَجَره دِعْبِل، فكتب إليه: [الطويل]

أبا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدَيْ مَوَدَّةٍ هَوانَا وقَلْبانا جَمِيعاً مَعاً مَعَا
أحُوطُكَ بالغَيْبِ الذي أنْتَ حائِطِي وأَجْزَعُ إشفاقاً بأَنْ تَتَوَجَّعا
فَصَيَّرْتَني بعدَ انْتِكاثِكَ مُتْهِماً لِنَفْسِي عَلَيْها أرْهَبُ الخَلْقَ أجْمَعَا[2]
غَشَشْتَ الهَوَى حَتَّى تَداعَتْ أُصُولُهُ بنا وابتَذَلْتَ الوَصْلَ حَتَّى تَقَطَّعا
وأنْزَلْتَ مِنْ بَيْنِ الجَوانِحِ وَالحَشا ذَخِيرةَ وُدٍّ طالَ ما قَدْ تَمَنَّعَا

(١) النقع: الغبار.
(٢) نكث العهد: نقضه، ولم يبرّ به.

فلا تَلْحَيَنِّي لَيْسَ لي فيكَ مَطْمَعٌ تَخَرَّقْتَ حتى لم أجِد لَكَ مَرْقَعَا
فَهبْكَ يَمِيني استأكَلَتْ فَقَطعتُها وَجَشَّمْتُ قَلْبِي صَبْرَهُ فَتَشجَّعَا

قال: ثم تَهاجَرا بعد ذلك، فما الْتَقَيا حتى ماتا.

أخبرني عَمّي قال: حدّثنا أحمدُ بن أبي طاهر قال: أخبرني أحمدُ بن أبي أُميَّة قال: لقي أخي محمدُ بنُ أُميَّة مُسلِمَ بنَ الوَليدِ وهو يَتَثَنَّى، ورواته مع بَعْض أصحابه، فسَلَّم عليه، ثم قال له: قد حضرَني شيء. فقال: هاته، قال: على أنه مزاحٌ ولا تَغْضب، قال: هاتِه ولو كان شَتْماً، فأنشدتُه: [المديد]

مَن رَأى فيما خَلاَ رَجُلاً تِيهُهُ أَرْبَى على جِدَتِهْ[١]
يَتَمَشَّى راجِلاً وَلَهُ شاكِرِيٌّ في قُلَنْسِيَتِهْ

فسكت عنه مُسلم ولم يجبه، وضَحِك ابنُ أبي أُمَيَّة وافترقا.

قال: وكان لمحمد بِرْذَوْن يركبُه فنفق، فلَقِيه مُسلِم وهو راجل، فقال: ما فَعَلَ بِرْذَوْنُك؟ قال: نَفَقَ، قال: فَنُجازيك إذاً على ما أسلَفْتَناه، ثم أنشده: [السريع]

قُلْ لابْنِ مَيٍّ لا تَكُن جازِعاً لَنْ يَرْجِعَ البِرْذَوْنُ بالَّيْتِ
طامَنَ أحشاءَكَ فِقْدانُهُ وكُنْتَ فيهِ عالِيَ الصَّوْتِ
وَكُنتَ لا تَنْزِلُ عن ظَهْرِهِ وَلَوْ مِنَ الحُشِّ إلى البَيْتِ[٢]
ما ماتَ مِنْ سُقْمٍ وَلكِنَّهُ ماتَ مِنَ الشَّوْقِ إلى المَوْتِ

أخبرني الْحَسَنُ بنُ عليّ قال: حدَّثني ابنُ مَهْرُويه قال: حدَّثَني أحمدُ بنُ سَعِيد الْحَرِيريّ أنَّ أبَا تَمَّام حَلَف ألاَّ يُصَلِّيَ حتى يحفظ شِعْرَ مُسلِم وأبِي نُواس، فَمَكَث شَهْرَين كذلك حتى حفِظ شِعرَهما. قال: ودخلتُ عليه فرأيت شِعرَهما بين يَدَيْه، فقلت له: ما هذا؟ فقال: اللاّتُ والعُزَّى وأنَا أعبدُهما مِنْ دُون الله.

أخبرني الْحَسَنُ بنُ عَلِيّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُويه قال: حدَّثني سَمْعانُ بنُ عبد الصمد قال: حدَّثَني دِعْبِل بنُ عليّ قال: كان أبو نُواس يسألني أن أجمَع بينه وبين مُسلِم بن الوليد؛ وكان مُسلِم يسأَلُني أن أجمَع بينه وبين أبي نُواس، وكان أبو نُواس إذا حَضَر تَخَلَّف مُسْلِم، وإذا حَضَر مُسلِم تَخلَّف أبُو نُواس، إلى أن اجْتَمَعَا،

(١) الجدة: الغنى، الحظ.
(٢) الحشّ: البستان.

فأنشده أبو نُواس: [الطويل]

أجارَةَ بَيْتَيْنا أبُوكِ غَيُورُ وَمَيْسُورُ ما يُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرُ

وأنشدَه مُسلِم: [البسيط]

لِلَّهِ مِنْ هَاشِم في أرْضِهِ جَبَلٌ وَأنْتَ وابْنُكَ رُكْنَا ذَلِكَ الْجَبَلِ

فقلت لأبي نُواس: كيفَ رأيتَ مُسْلِماً؟ فقال: هو أشعَرُ الناس بَعدي وسألت مُسلماً وقلت: كيف رأيت أبا نواس؟ فقال: هو أشعَرُ الناس وأنا بَعْده.

أخبرني الْحَسَنُ قال: حدّثني ابن مَهْرُويه قال: حدّثني إبراهيمُ بنُ عبد الخالق الأنْصاريّ من ولَدِ النُّعمانِ بنِ بَشِير قال: حدثني مسلم بن الوليد قال: وَجَّه إليَّ ذُو الرِّياسَتَيْن، فحُمِلتُ إليه، فقال: أنشِدْني قولك: [السريع]

بالغَمْرِ مِنْ زَيْنَبَ أَطْلالُ مَرَّتْ بِهَا بَعْدَكَ أحْوالُ[1]

فأنشدْتُه إيَّاها حتَّى انتَهَيتُ إلى قولِي: [السريع]

وقائِلٍ لَيْسَتْ لَهُ هِمَّةٌ كَلاَّ ولٰكِنْ لَيسَ لي مالُ
وَهِمَّةُ المُقْتِرِ أُمْنِيَّةٌ هَمٌّ معَ الدَّهْرِ وأشْغالُ
لا جِدَةٌ أُنْهِضُ عَزْمي بِهَا والنّاسُ سُؤَّالٌ وبُخَّالُ
فاقْعُدْ معَ الدَّهْرِ إلى دَوْلَةٍ تَرْفَعُ فيها حَالَكَ الحَالُ

قال: فلمّا أنشدتُه هذا البيت قال: هذه واللَّهِ الدّولةُ التي تَرْفَعُ حَالَك. وأمر لي بمَالٍ عَظِيم وقَلَّدني - أو قال قَبَّلَني - جَوْزَ جُرْجان[2].

حدّثني جَحْظَة قال: حدَّثَني مَيْمُون بنُ هَارون قال: كان مُسلِمُ بنُ الوليد قد انحرف عن مَعْنِ بنِ زائدةَ بعد مَدْحه إياه، لِشيءٍ أوحَشَه منه، فسَأله يَزِيدُ بنُ مَزْيد أن يَهَبَه له، فَوعَدَه ولم يَفْعل، فتَرَكَه يَزِيد خَوفاً منه، فهجاه هِجاءً كَثِيراً، حتى حَلَف له الرشيد إن عَاوَدَ هِجاءَه قَطَع لِسانَه، فمنِ ذلك قولُه فيه: [الكامل]

يا مَعْنُ إنَّكَ لَمْ تَزَل في خَزْيَةٍ حَتَّى لَفَفْتَ أباكَ في الأكْفانِ
فاشْكُر بَلاءَ المَوْتِ عِنْدَكَ إنَّهُ أوْدَى بِلُؤْمِ الحَيِّ مِنْ شَيْبَانِ

(١) الغمر: علم على عدة مواضع. (انظر معجم البلدان ٤/ ٢١١).
(٢) لم أعثر على جوز جرجان ولعلها جوزجان وهي كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، وهي بين مرو الروذ وبلخ. (معجم البلدان ٢/ ١٨٢).

قال: وهَجا أيضاً يَزِيدَ بنَ مَزْيدَ بعد مَدْحِهِ إياه فقال: [الكامل]

أيـزيـدُ يـا مَـغْـرورُ ألأمَ مَـنْ مَشَـى تَـرْجُـو الـفَـلاحَ وأنْـتَ نُـطْـفَـةُ مَـزْيَـدِ
إنْ كُنتَ تُنكِرُ مَنْطِقِي فاصْرُخ بـهِ يَوْمَ العَرُوبَةِ عندَ بابِ المَسْجِدِ(١)
فـي مَـنْ يَـزِيـدُ فـإنْ أصَـبْـتَ بِـمَـزْيَـدٍ فَـلْـسـاً فَـهَـاكَ عـلـى مُـخـاطَـرَةٍ يَـدِي

هكذا روى جَحْظَة في هذا الْخَبَر، والشِّعران جميعاً في يزِيدَ بنِ مَزْيَد، فالأوّل منهما أوّلُه:

أيَــزِيــدُ إنَّــكَ لــم تَــزَلْ فــي خَــزْيَــةٍ

وهكذا هو في شعر مُسلِم. ولم يَلق مُسلِم مَعْنَ بنَ زَائِدَة، ولا له فيه مَدْح ولا هِجاء.

أخبرني عَمِّي قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال: حدّثنا محمدُ بنُ عبد الله ابنِ جُشَم قال: كان يَزِيدُ بنُ مَزْيد قد سأل مُسْلِم بنَ الوليد عما يَكْفيه ويَكفِي عيالَه، فأخبره فَجَعَله جِرايةً(٢) له، ثم قال: لَيْس هذا مما تُحاسَبُ به بَدلاً من جائزةٍ أو ثَوابِ مَدِيح، فكان يَبْعَث به إليه في كُلّ سنة، فلمّا مات يزيد رَثاه مُسلِم فقال:

[الوافر]

أحَــقّــاً أنَّــهُ أوْدَى يَــزِيــدُ تَـبَـيَّـنْ أيُّـهـا الـنَّـاعِـي الـمُـشِـيـدُ!
أتَـدْرِي مَـنْ نَـعَـيْـتَ وكـيـفَ دَارَت بـهِ شَـفَـتـاكَ دارَ بـهـا الـصَّـعِـيـدُ
أحـامِـي الـمَـجْـدِ والإسْـلام أودَى فـمـا لِـلأرْض وَيْـحَـكَ لا تَـمِـيـدُ!
تَـأمَّـلْ هَـلْ تَـرَى الإسْـلامَ مَـالَـتْ دعـائِـمُـهُ وهَـلْ شـابَ الـولِـيـدُ
وهَـلْ شِـيـمَـت سُـيـوفُ بَـنـي نِـزارٍ وَهَـلْ وُضِـعَـتْ عـن الْـخَـيْـل الـلُّـبُـودُ
وهَـلْ تَـسْـقِـي الـبِـلادَ عُـشَـارُ مُـزْنٍ بِـدِرَّتِـهـا وَهَـلْ يَـخْـضَـرُّ عُـودُ(٣)
أمـا هُـدَّتْ لِـمَـصْـرعِـهِ نِـزارٌ بَـلَـى وَتَـقَـوَّضَ الـمَـجْـدُ الـمَـشِـيـدُ(٤)
وحَـلَّ ضَـرِيـحَـهُ إذ حَـلَّ فِـيـهِ طَـرِيـفُ الـمَـجْـدِ والْـحَـسَـبُ الـتَّـلِـيـدُ
أمـا والـلَّـهِ مـا تَـنْـفَـكُّ عَـيْـنِـي عـلـيـكَ بـدَمْـعِـهـا أبَـداً تَـجُـودُ

(١) يوم العروبة: يوم الجمعة، وهو من أسمائها في الجاهلية.
(٢) الجراية: مبلغ يدفع بشكل دائم، كالمرتب الشهري أو السنوي مثلاً.
(٣) عُشار: معدول عن عشرة عشرة يقال: جاءوا عُشارَ: أي عشرة عشرة.
(٤) تقوض: تهدم.

وإنْ تَـجْـمُـدْ دُمُـوعُ لَـئِـيـمِ قَـوْمٍ فَـلَـيْـسَ لِـدَمْـعِ ذي حَـسَـبٍ جُـمُـودُ
أبَـعْـدَ يَـزيـدَ تَـخْـتَـزِنُ الـبَـوَاكِـي دُمُـوعـاً أو تُـصَـانُ لـهـا خُـدُودُ
لِـتـبْـكِـكَ قُـبَّـةُ الإسْـلام لَـمَّـا وَهَـتْ أطْنـابُـهـا وَوَهَـى الـعَـمُـودُ
وَيَـبْـكِـكَ شـاعِـرٌ لَـمْ يُـبْـقِ دَهْـرٌ لـه نَـشَـباً وقـد كَـسَـدَ الـقَـصِـيـدُ[1]
فـإن يَـهْـلِـكْ يَـزِيـدُ فَـكُـلُّ حَـيٍّ فَـرِيـسٌ لِـلْـمَـنِـيَّـةِ أو طَـرِيـدُ[2]

هكذا في الخبر، والقصيدة للتَّيميّ.

أخبرني محمدُ بنُ يَحيى الصُّولي قال: حدَّثنا الهِشاميُّ قال: حدَّثني عبدُ الله ابنُ عَمْرو قال: حدّثني مُوسَى بنُ عبد الله التَّميميّ قال: دخل مُسلِم بنُ الوليد على الفَضْل بنِ سَهْل، فأنشده قولَه فيه: [البسيط]

لَوْ نَطَقَ النّاسُ أو أنْبَوْا بِعِلْمِهِمُ وَنَبَّهتْ عَنْ مَعالِي دَهْرِكَ الكُتُبُ
لَمْ يَبلُغُوا مِنْكَ أدْنى ما تَمُتُّ به إذا تَـفـاخَـرَتِ الأمْـلاكُ وانْـتَـسَـبُـوا

فأمر له عن كُلّ بيت من هذه القصيدة بألف دِرْهم.

ثم قُتِلَ الفَضْل فقال يَرْثِيه: [الطويل]

ذَهَـلْـتُ فَـلَـمْ أنْـقَـعْ غَـلِـيـلاً بِـعَـبْـرَةٍ وأكْـبَـرْتُ أنْ ألْـقَـى بِـيَـوْمِـكَ نـاعِـيَـا
فَـلَـمَّـا بَـدَا لـي أنَّـهُ لاعِـجُ الأسَـى وَأنْ لَـيْـسَ إلا الـدَّمـعُ لـلـحُـزْنِ شـافِـيَـا
أقَـمْـتُ لَـكَ الأنْـواحَ تَـرْتَـدُّ بَـيْـنَـهَـا مـآتِـمُ تَـنْـدُبْـنَ الـنَّـدَى وَالـمَـعَـالِـيـا
وما كَـانَ مَـنْـعَـى الفَضْـلِ مَنْعَاةَ وَاحِدٍ وَلٰكِنَّ مَـنْـعَـى الـفَـضْـلِ كـانَ مَـنـاعِـيـا
أَلِـلْـبَـأْسِ أمْ لِـلْـجُـودِ أمْ لِـمُـقـاوِمٍ مِنَ المُلْكِ يَزْحَمْنَ الجِبالَ الرَّوَاسِيَا!
عَـفَـتْ بَـعْـدَكَ الأيّـامُ لا بَـلْ تَـبَـدَّلَـتْ وَكُـنَّ كـأعْـيَـادٍ فَـعُـدْنَ مَـبـاكِـيَـا
فَـلَـمْ أرَ إلاَّ قَـبْـلَ يَـومِـكَ ضـاحِـكـاً وَلَـمْ أرَ إلا بَـعْـدَ يَـوْمِـكَ بـاكِـيَـا

أخبرني الْحُسَين بنُ القَاسم الكَوْكَبيُّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ عجلان قال: حدّثنا يَعقوبُ بنُ السِّكّيت، قال: أخبرني محمد بن المُهَنَّأ، قال: كان العَبَّاسُ بنُ الأحنَف مع إخوان له على شَراب، فذكروا مُسلِمَ بنَ الوليد، فقال بعضُهم: صَرِيعُ الغَواني، فقال العَبَّاس: ذاكَ يَنْبَغي أن يُسَمَّى صَرِيع الغِيلان لا صَرِيع الغَواني. وبَلَغ

(١) النشب: المال الأصيل، والعقار.
(٢) فريس: فريسة.

ذلك مُسلِماً فقال يَهْجُوه: [البسيط]

بَنُو حَنِيفَةَ لا يَرْضَى الدَّعِيُّ بهم فاتْرُكْ حَنِيفَةَ واطْلُبْ غَيْرَها نَسَبا[1]
فاذْهَبْ فأنْتَ طَلِيقُ الحِلْمِ مُرْتَهَنٌ بِسَوْرَةِ الجَهْلِ ما لَمْ أَمْلِكِ الغَضَبا
اذْهَبْ إلى عَرَبٍ تَرْضَى بِنِسْبَتهم إنِّي أرَى لَكَ خَلْقاً يُشْبِهُ العَرَبا
مُنِّيتَ مِنِّي وَقَدْ جَدَّ الجِرَاءُ بنا بغَايَةٍ مَنَعَتْكَ الفَوْتَ والطَّلَبا[2]

أخبرني محمد بن يَزِيد قال: حدّثنا حَمّادُ بنُ إسحاق، عن أبيه، عن جَدِّه قال: قلتُ لمُسلِم بنِ الوَليد: ويْحَكَ! أما استحْيَيْتَ من النّاس حين تَهْجو خُزَيْمَة بنَ خازِم، ولا استَحيَيتَ منا ونحن إخوانُك، وقد علمت أنَّا نَتولاَّه وهو مَنْ تَعرِف فَضْلاً وجُوداً؟ فضَحِك، وقال لي: يا أبا إسحاق، لِغَيْرك الجَهْل، أما تَعْلم أنَّ الهِجاء آخِذٌ بِضَبع الشَّاعر وأَجدَى عليه من المَدِيح المُضرع[3]؟ وما ظَلمتُ مع ذلك منهم أحداً، وما مَضَى فلا سَبِيلَ إلى رَدّه، ولكن قد وَهبتُ لك عِرْضَ خُزَيْمَة بعد هذا. قال: ثم أنشدَني قولَه في سَعِيد بن سَلْم: [الطويل]

دُيونُكَ لا يُقْضَى الزَّمانَ غَرِيمُها وَبُخْلُك بُخْلُ البَاهِلِيِّ سَعِيدِ
سَعِيدُ بنُ سَلْمٍ أبخَلُ الناس كُلِّهِمْ وما قَوْمُهُ مِنْ بُخْلِهِ بِبَعِيدِ

فقلتُ له: وسَعِيدُ بنُ سَلْم صَديقي أيضاً، فهَبْه لي، فقال: إن أَقبلْتَ على ما يَعْنيك، وإلا رَجعْتُ فيما وهبتُ لك من خُزَيمة، فأمسَكْتُ عنه راضياً بالكَفَاف.

أخبرني حبيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدّثني عبدُ الله بنُ محمد بنِ مُوسَى بنِ عُمَر بنِ حَمْزة بن بَزِيع قال: حدّثني عبد الله ابنُ الحَسَن اللَّهبيّ قال: كان مُسلِم بنُ الوَليد مَدّاحاً لِيَزِيدَ بنِ مَزْيد، وكان يُؤثِرُه ويُقدّمه ويُجزِل صِلتَه، فلما ماتَ وفَد على ابنِه محمد، فمدَحه وعزّاه عن أبيه، وأقام ببابه أيّاماً فلم يَرَ منه ما يُحِبّ، فانصرف عنه وقال فيه: [الطويل]

لَبِسْتُ عَزاءً عَنْ لِقاءِ مُحَمَّدٍ وَأَعْرَضْتُ عَنْهُ مُنْصِفاً وَوَدُودَا
وَقُلْتُ لِنَفْسٍ قادَها الشَّوْقُ نَحْوَهُ فَعَوَّضَها مِنْهُ اللِّقاءُ صُدُودَا
هَبِيهِ امْرَأً قد كانَ أصفاكِ وُدَّهُ وماتَ وإلا فاحسِبِيهِ يَزِيدَا

---

(١) الدعيّ: المتهم بنسبه.
(٢) الجراء: الفتوة.
(٣) المضرع: المذلّ.

لَعَمْرِي لَقَدْ وَلَّى فَلَمْ أَلْقَ بَعْدَهُ وفاءً لِذِي عَهْدٍ يُعَدُّ حَمِيدَا

أخبرني حَبِيبُ بنُ نَصْر قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سَعْد قال: حدَّثني أحمدُ ابن إبراهيم بن إسماعيل بنِ دَاوُدَ قال: دَخَلَ مُسلِم بنُ الوَليد يوماً على الفَضْل بن يَحْيى، وقد كان أتاه خَبَرُ مَسيرِه، فجلس للشُّعراء فمَدَحُوه وأثابَهم، ونَظَر في حَوائِجِ النَّاسِ فَقَضَاها، وتفرَّق النّاسُ عنه، وجلس للشّرب، ومُسْلِم غَيْرُ حاضِرٍ لذلك، وإنَّما بَلَغه حين انْقَضَى المَجْلِس، فَجَاءَه فأُدخِل إليه فاستأْذن في الإِنْشاد، فأَذِن له، فأنْشَده قولَه فيه: [الطويل]

أَتَتْك المَطَايا تَهْتَدِي بِمَطِيَّة عَلَيْها فَتًى كالنَّصْلِ مُؤنِسُهُ النَّصْلُ

يَقولُ فيها:

وَرَدتُ رِواقَ الفَضْلِ آمُلُ فَضْلَهُ فحَطَّ الثَّناءَ الجَزْلَ نائِلُهُ الجَزْلُ
فَتًى تَرْتَعِي الآمالُ مُزْنَةَ جُودِهِ إذا كانَ مَرْعَاهَا الأَمانِيُّ والمَطْلُ
تساقَطُ يُمناهُ النَّدَى وشِمالُهُ الرَّدَى وَعُيونُ القَوْلِ مَنطِقُهُ الفَصْلُ
ألحَّ على الأيام يَفْرِي خُطُوبَها على مَنْهجٍ أَلْفى أباهُ بهِ قَبْلُ
أَنافَ بهِ العلياءَ يحْيى وَخَالِدٌ فَلَيْسَ له مِثْلٌ ولا لَهُما مِثْلُ
فُرُوعٌ أصابَتْ مَغْرِساً مُتَمَكِّناً وأَصْلاً فطابَتْ حَيْثُ وَجَّهَها الأَصْلُ
بِكَفِّ أبي العَبَّاسِ يُسْتَمْطَرُ الغِنَى وَتُستَنْزَلُ النُّعْمَى وَيُسْتَرْعَفُ النَّصْلُ

قال: فطَرِب الفَضل طَرَباً شَدِيداً، وأمر بأن تُعَدَّ الأبياتُ، فعُدَّت فكانت ثَمانِين بَيْتاً فأمر له بثَمانِين ألف درهم، وقال: لولا أَنَّها أكثر ما وُصِل به الشُّعراء لَزِدْتُك، ولكنّه شأوٌ لا يُمْكِنُني أن أتجاوزه ـ يعني أنَّ الرشيدَ رَسَمَه لِمَرْوان بن أبي حَفْصة ـ وأمره بالجُلوس معه والمُقام عنده لمُنادَمَته، فأقام عنده، وشَرب معه، وكانت على رَأْس الفَضل وَصِيفة تَسْقِيه كأنها لُؤْلؤَة، فَلمَح الفَضْلُ مُسلِماً ينظر إليها، فقال: قد ـ وحَياتي يا أَبا الوَليد ـ أعجَبَتْك، فقُل فيها أبياتاً حتى أَهَبَها لك، فقال: [البسيط]

إن كُنتِ تَسْقِين غيرَ الرَّاح فاسْقِينِي كأْساً أَلَذُّ بها مِنْ فِيكِ تَشْفِيني
عَيْناكِ راحِي، ورَيْحاني حَدِيثُك لي وَلَوْنُ خَدَّيْكِ لَونُ الوَرْدِ يَكْفِيني
إذا نَهانِيَ عَنْ شُرْبِ الطِّلا حَرَجٌ فَخَمْرُ عَيْنَيْكِ يُغنِينِي ويَجْزِينِي[1]

---

(١) الطلا: الخمر.

لَوْلاَ علاماتُ شَيْبٍ لو أَتَتْ وَعَظَتْ ... لَقَدْ صَحَوْتُ ولكِنْ سَوْفَ تَأْتِيني
أُرْضِي الشَّبابَ فإنْ أَهْلِكْ فَعَنْ قَدَرٍ ... وإنْ بَقِيتُ فإنَّ الشَّيْبَ يُشْقِيني

فقال له: خُذْها بُورك لك فيها. وأمر بتوجِيهها مع بَعْض خدمها إليه.

[تنسكه بعد وفاة زوجته]

أخبرني حَبِيبُ بنُ نَصْر المُهَلّبِيّ قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال: حدَّثني أحمدُ بنُ إبراهيم قال: كانت لمسلِم بنِ الوليد زوجَةٌ من أهله، كانت تَكفِيه أمرَه وتَسُرُّه فيما تَلِيه له منه، فماتَت فجَزِع عليها جَزَعاً شدِيداً، وتَنسَّك مُدَّة طويلة، وعَزَم على مُلازَمة ذلك، فأقسَم عليه بعضُ إخوانِه ذاتَ يوم أن يَزُوره فَفَعل، فأكلوا وقدَّموا الشَّرابَ، فامتنع منه مُسلِم وأباه، وأنشأ يقول: [الطويل]

بُكاءٌ وكَأسٌ، كيفَ يَتَّفِقانِ؟ ... سَبيلاهُما في القَلْبِ مُختَلِفانِ
دَعانِي وإفْراطَ البُكاءِ فإنَّني ... أَرَى اليَوْمَ فيه غيْرَ ما تَرَيانِ
غَدَتْ وَالثَّرى أوْلَى بها من وَلِيِّها ... إلَى مَنْزِل ناءٍ لِعَيْنِكَ دَانِ
فلا حُزْنَ حَتَّى تَذرِفَ العَيْنُ ماءَها ... وَتَعْتَرِفَ الأَحْشاءُ لِلخَفَقانِ
وكَيْفَ بِدَفْعِ اليأسِ لِلْوَجْدِ بَعْدَها ... وسَهْمَاهُما في القَلْبِ يَعْتَلِجانِ!

أخبرني حَبِيبُ بنُ نَصْر قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدثني عَلِيُّ بنُ الصَّبَّاح قال: حدّثني مالكُ بنُ إبراهيم قال: كان مُسلِم بنُ الوليد يُهاجِي الحَكَم بنَ قَنبر المَازِنيّ، فَغَلَب عليه ابنُ قَنْبر مدة وأخرسه، ثم أثاب مُسلِم بعد أن انْخزَل وأُفحِم، فهتَكَ ابنَ قَنْبر حتى كَفّ عن مُناقَضَتِه، فكان يَهْرب منه، فإذا لَقِيه مُسلِم قَبَض عليه وهجاه وأنْشده ما قاله فيه فيُمْسِك عن إجابته؛ ثم جَاءَه ابنُ قَنْبر إلى منزله واعْتَذَر إليه ممّا سَلَف، وتَحمَّل عليه بأهلِه وسَأله الإمساكَ، فوَعَدَه بذلك، فقال فيه: [الكامل]

حَلُمَ ابنُ قَنْبَرَ حينَ أَقْصَرَ جَهْلُهُ ... هَلْ كان يَحْلُمُ شاعِرٌ عن شاعِرِ؟
ما أنْتَ بالحَكَمِ الَّذِي سُمِّيتَهُ ... غَالَتْكَ حِلْمَكَ هَفْوةٌ من قاهِرِ
لولا اعْتِذارُكَ لارْتَمَى بكَ زاخِرٌ ... مَرِحُ العُبابِ يَفُوتُ طَرْفَ النَّاظِرِ
لاتُرْتِعَنْ لَحْمِي لِسانَكَ بَعْدَها ... إنّي أخافُ عَلَيْكَ شَفْرَةَ جازِرِ
واسْتَغْنِمِ العَفْوَ الَّذِي أُوتِيتَهُ ... لا تَأمَنَنَّ عُقُوبةَ مِنْ قادِرِ

أخبرني الحَسَن بنُ عَلِيّ قال: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال: حدَّثني

محمد بنُ عبد الله أبو بكر العَبْديّ قال: رأيتُ مسلمَ بنَ الوليد وابنَ قَنبر في مسجد الرُّصافة في يوم جُمُعة، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه، وكانا يتهاجَيان، فبدأ مسلم فقال: [الطويل]

أنا النَّارُ في أحْجارِها مُسْتَكِنَّةٌ ... فإنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَقْدَحُ النّارَ فاقْدَحِ

فأجابه ابنُ قَنبر فقال: [البسيط]

قد كُنْتَ تَهْوِي وما قَوْسِي بِمُوتَرَةٍ ... فَكَيْفَ ظَنُّكَ بي وَالقَوْسُ في الوَتَرِ

قال: فوثب إليه مسلم وتواخزا وتواثبا، وحَجَز الناسُ بينهما فتفرَّقا.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثني محمد بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه قال: حدثني عليّ بن عُبيد الكوفيّ قال: حدثني عليُّ بن عمروس الأنصاريّ قال: جاء رجلٌ من الأنصار ثم من الخَزْرَج إلى مُسلم بن الوليد فقال له: وَيْلَك ما لَنا ولَك، قد فضحتَنا وأخزيتَنا، تعرَّضتَ لابن قَنْبر فهاجَيْتَه، حتى إذا أمكنْتَه من أعراضنا انخزَلتَ عنه وأرعَيْتَه لُحومَنا، فلا أنت سَكتَّ ووَسِعك ما وَسِع غيرك، ولا أنت لَمّا انتصرتَ انتصفت. فقال له مسلم: فما أصنع؟ فأنا أصبر عليه، فإن كفَّ وإلا تحمَّلتُ عليه بإخوانه، فإن كَفّ وإلا وَكلتُه إلى بَغْيه، ولنا شيخٌ يصوم الدهرَ ويقوم الليل، فإن أقام على ما هو عليه سألتُه أن يسهر له ليلةً يدعو اللّه عليه فيها فإنها تُهلِكه، فقال له الأنصاريّ: سَخِنَتْ عينُك! أوَ بهذا تَنتصِفُ ممن هجاك؟ ثم قال له: [الكامل]

قد لاذ من خوفِ ابنِ قَنبرِ مُسلمٌ ... بدُعاء والِده مع الأسحارِ
ورأيتُ شرَّ وعيده أن يشتكي ... ما قد عراه إلى أخٍ أو جارِ
ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ قد هتكْتَ حريمَنا ... وفضحت أُسرتَنا بنيَ النجارِ
عمَّمتَ خَزْرَجَنا ومعشَر أوْسِنا ... خِزياً جَنيتَ به على الأنصارِ
فعليكَ من مولىً وناصرِ أُسرةٍ ... وعشيرةٍ غضَبُ الإلٰه البارِي

قال: فكاد مسلم أن يموت غمّاً وبُكاءً وقال له: أنت شرٌّ عليّ من ابنِ قَنبر. ثم أثاب وَحمِيَ، فهتك ابنَ قَنْبر ومَزَّقه حتى تركه، وتحمّل عليه بابنه وأهله حتى أعفاه من المهاجاة.

ونَسختُ هذا الخبرَ من كتاب جدّي يحيى بنِ محمد بن ثَوَابة بخطه، قال: حدّثني الحسن بن سعيد قال: حدّثني منصورُ بنُ جُمهُور قال: لما هجا ابنُ قنبر

مسلمَ بنَ الوليد أمسك عنه مسلم بعد أن أشْلَى[١] عليه لسانَه قال: فجاءه عمٌّ له فقال له: يا هذا الرجل، إنك عند الناس فوق ابنِ قَنبر في عَمود الشعر، وقد بَعث عليك لسانَه ثم أمسكتَ عنه فإما أن قارَعْتَ أو سالَمْتَه. فقال له مسلم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجَّد فيه، وله بين ذلك دَعوات يدعو بهنّ، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دَعواته، فإنا نُكْفاه، فأطرق الرجل ساعة ثم قال: [الكامل]

غلب ابنُ قَنبر واللئيمُ مُغلَّبٌ لما اتَّقيتَ هِجاءه بدُعاءِ
ما زال يقذف بالهِجاء ولذعِه حتى اتّقوه بدَعوة الآباء!

قال فقال له مسلم: والله ما كان ابنُ قَنبر يبلغ مني هذا كلَّه، فأمسِكْ لسانك عني، وتعرَّف خبره بعد هذا. قال: فبعث ـ والله ـ عليه من لسان مسلم ما أسكته. هكذا جاء في الأخبار.

وقد حدثني بخبر مناقضتِه ابنَ قَنبر جماعةٌ ذكروا قصائدَهما جميعاً، فوجدت في الشعر الفضلَ لابنِ قَنبر عليه، لأن له عدةَ قصائد لا نقائضَ لها، يذكر فيها تعرِيدَه[٢] عن الجواب، وقصائدَ يذكر فيها أنّ مسلماً فَخَر على قريش وعلى النبيﷺ ورماه بأشياء تُبيح دَمَه، فكفّ مسلم عن مناقضته خوفاً منها، وجَحَد أشياء كان قالها فيه.

فممن أخبرني بذلك هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدثني عبد الله بن عمرو ابن أبي سعد قال: حدثني محمدُ بنُ عبدِ الله بن الوليد مولى الأنصار، وكان عالماً بشعر مسلم بنِ الوليد وأخباره، قال: كان سببُ المهاجاة بين مسلم بنِ الوليد والحَكَم بنِ قَنْبر أنَّ الطِّرمّاح بنَ حَكِيم قد كان هجا بني تَميم بقصيدته التي يقول فيها: [البسيط]

لا عَزَّ نَصْرُ امْرِىءٍ أضْحَى لهُ فَرَسٌ على تَمِيم يُرِيدُ النَّصْرَ مِنْ أحَدِ
إذا دعا بِشِعارِ الأزْدِ نَفَّرَهُمْ كما يُنَفِّرُ صَوتُ اللَّيْثِ بالنَّقَدِ[٣]
لَو حانَ وِردُ تَمِيم ثم قِيلَ لَهُمْ: حَوْضُ الرَّسُولِ عليهِ الأزدُ لم تَرِدِ
أو أنْزَلَ اللّهُ وحْياً أنْ يُعَذِّبَها إنْ لَمْ تَعُدْ لِقتالِ الأزْدِ، لَمْ تَعُدِ

(١) أشلى: أطلق.
(٢) التعريد: الفرار والانهزام.
(٣) النَّقَد: جنس من الغنم صغير الأرجل.

وهي قصيدة طويلة، وكان الفرزدق أجاب الطِّرماح عنها، ثم إن ابنَ قَنْبر المازنيّ قال بعد خبر طويل يرد على الطِّرمَّاح: [البسيط]

يـا عـاوِيـاً هـاجَ لَـيْـثـاً بـالـعُـواءِ لَـهُ ... شَـثْـنَ الـبَـراثِـنِ وَرْدَ الـلَّـوْنِ ذا لِـبَـدِ[1]

أيُّ الـمَـواردِ هـابَـتْ جَـمَّ غُـمْـرَتِـهِ ... بَـنُـو تَـمِـيـم عـلـى حـالٍ فَـلَـمْ تَـرِدِ

أَلَـمْ تَـرِدْ يَـوْمَ قَـنْـدَابِـيـلَ مُـعْـلَـمَـةً ... بالخَيْلِ تَضْبِرُ نَحْوَ الأَزْدِ كالأُسُدِ[2]

بِـفِـتْـيَـةٍ لَـمْ تُـنـازِعْـهَـا فَـتَـطْـبَـعَـهـا ... بِـلُـؤْمِـهـا طَـيِّـيءُ ثَـدْيـاً ولـم تَـلِـدِ

خاضَتْ إلى الأَزْدِ بَحْراً ذا غواربَ مِنْ ... سُـمْـرٍ طِـوالٍ وَبَـحْـراً مِـنْ قَـنـاً قِـصَـدِ

فـأَوْرَدَتْـهـا مَـنـايـاهـا بِـمُـرْهَـفَـةٍ ... مُلْسِ المَضارِبِ لَمْ تُفْلَلْ وَلَمْ تَكَدِ[3]

وهي قصيدةٌ طويلةٌ. وقد كان الطِّرمّاح قال أيضاً: [الطويل]

تـمـيـمٌ بِـطُـرْقِ الـلُّـؤمِ أهْـدَى مـنَ الـقَـطَـا ... وَلَـوْ سَـلَـكَـتْ طُـرْقَ الـمَـكـارمِ ضَـلَّـتِ

أَرَى الـلَّـيْـلَ يَـجْـلُـوهُ الـنَّـهـارُ ولا أرَى ... عِـظَـامَ الـمَـخـازِي عَـنْ تَـمِـيـمٍ تَـجَـلَّـتِ

وقد كان الفرزدق أيضاً أجابه عنها فقال ابن قَنْبر ينقُضُها: [الطويل]

لَـعَـمْـرُكَ مـا ضَـلَّـتْ تَـمِـيـمٌ ولا جَـرَتْ ... على إثْرِ أَشْياخ عَنِ المَجْدِ ضَلَّتِ

ولا جَـبُـنَـتْ بَـلْ أَقْـدَمَـتْ يـومَ كَـسَّـرَتْ ... لـهـا الأزدُ أغْـمـادَ الـسُّـيُـوفِ وَسَـلَّـتِ

بـغـائـطِ قـنْـدابِـيـلَ والـمَـوْتُ خـائِـضٌ ... عَـلَـيْـهـا بـآجـالٍ لَـهـا قَـدْ أَظَـلَّـتِ

فَـمـا بَـرِحَـتْ تُـسقَـى كُـؤوسَ حِـمـامِـهـا ... إذا نَـهِـلَـتْ كَـرُّوا عَـلَـيْـهـا فَـعَـلَّـتِ

إلـى أن أَبَـادَتْـهـم تَـمِـيـمٌ وأَكْـذَبَـتْ ... أمـانِـيَّ لـلـشَّـيـطـانِ عـنـهـا اضْـمَـحَـلَّـتِ

وحـانَ فِـراقٌ مِـنْـهُـمُ كُـلَّ خَـدْلَـةٍ ... مُـفـارِقَـةٍ بَـعْـلاً بـهِ قَـدْ تَـمَـلَّـتِ[4]

وهي أيضاً طَويلة قال: فَبَلَغَ مُسلمَ بنَ الوليد هِجاءُ ابن قَنْبر للأَزْد وطَيّيء وَردُّه على الطِّرمّاح بعد موته، فغضب من ذلك، وقال: ما المعنى في مناقضة رجُل مَيّت وإثارة الشَّرّ بِذكْر القبائل، لا سِيّما وقد أجابَه الفرزدَقُ عن قوله؟ فأبَى ابنُ قَنْبر إلا تَمادِياً في مُناقضته، فقال مسلم قَصِيدتَه التي أولها:

---

(١) شثن البراثن: خشنها.

(٢) قندابيل: مدينة بالسند. (معجم البلدان ٤/ ٤٠٢).

(٣) تفلل السيف: تثلّم.

(٤) الخدلة: المرأة الغليظة الساق المستديرتها.

[الكامل]

آيـــاتُ أطْــــلالٍ بـــــرامَــــةَ دُرَّسِ هِجْنَ الصَّبابَةَ إذ ذَكَرْتُ مُعرَّسِي[(١)]
أوْحَـتْ إلـى دِرَرِ الـدُّمُـوعِ فـأسْـبَـلَـتْ وَاسْتَـفْـهَـمـتْـهـا غَـيْـرَ أنْ لَـمْ تَـنْـبِـسِ

يقول فيها يصف الخمر:

[الكامل]

صـفـراءَ مِـنْ حَـلَـبِ الكُـرومِ كَسَوْتُـهـا بيضاءَ من حَلَبِ الغُيُوم البُجَّسِ[(٢)]
طـارَتْ وَلاوَذَهـا الـحَـبَـابُ فـحَـاكَـهـا فَكَـأنَّ حِـلْـيَـتـهـا جَـنِـيُّ الـنَّـرْجِـسِ[(٣)]

ويَقولُ فيها يَصِفُ السُّيوفَ:

[الكامل]

وتُـفـارِقُ الأغْـمـادَ تَـبْـدُو تـارَةً حُـمْـراً وتَـخْـفَـى تـارَةً فـي الأرؤُسِ
حَـرْبٌ يـكـونُ وَقُـودُهـا أبـنـاءَهـا لَـقِـحَـتْ عـلـى عُـقْـرٍ ولـمَّـا تُـنْـفَـسِ
مَنْ هـارِبٍ رَكِـبَ الـنَّـجاءَ ومُـقـعَـصٍ جَـثَـمَـتْ مَـنِـيَّـتُـهُ عـلـى الـمُـتَـنَـفَّـسِ
غَـصَـبَـتْـهُ أطْـرافُ الأسِـنَّـةِ نَـفْـسَـهُ فَـثَـوَى فَـرِيـسَـةَ وُلَّـغٍ أوْ نُـهَّـسِ[(٤)]
إنْ كُـنْـتِ نـازِلَـةَ الـيَـفـاعِ فَـنَـكِّـبِـي دارَ الـرِّبـابِ وخَـزْرجِـي أوْ أوْسِـي
وَتَـجَـنَّـبِـي الـجَـعْـرَاءَ إنَّ سُـيُـوفَـهُـمْ حُـدُثٌ وإنَّ قَـنَـاتَـهُـمْ لَـمْ تَـضْـرَسِ
هَـلْ طَـيِّـىءُ الأجْـبَـالِ شـاكِـرَةُ امْـرِىءٍ ذادَ الـقَـوافِـي عَـنْ حِـمـاهـا مِـرْدَسِ[(٥)]
أَحْـمِـي ـ أبـا نَـفْـرٍ ـ عِـظـامَ حُـفَـيْـرَةٍ دَرَسَـتْ وبـاقِـي غَـرْسِـهـا لـم يَـدْرُسِ
كـافـأتُ نِـعْـمَـتَـهـا بِـضِـعْـفِ بـلائِـهـا ثـم انْـفَـرَدْتُ بِـمَـنْـصِـبٍ لَـمْ يَـدْنَـسِ
وإذا افْـتَـخَـرْتُ عَـدَدْتُ سَـعْـيَ مـآثِـرٍ قَصَرَتْ على الإغْضاءِ طَرْفَ الأشْوَسِ
رَفَـعَـتْ بَـنُـو الـنَّـجَّـارِ حِـلْـفِـي فِـيـهِـمُ ثـم انْـفَـرَدْتُ فأفْـسَـحُـوا عَـنْ مَـجْـلِـسِـي
فـاعْـقِـلْ لِـسـانَـكَ عـن شَـتـائِـمِ قـومِـنـا لا يَـعْـلَـقَـنَّـكَ خـادِرٌ مِـنْ مـأنَـسِ
أخْـلَـفْـتَ فَـخْـرَكَ مِـنْ أبِـيـكَ وَجِـئْـتَـنِـي بـأبٍ جَـدِيـدٍ بَـعْـدَ طُـولِ تـلَـمُّـسِ
أخَـذَتْ عَـلَـيْـهِ الـمُـحـكَـمـاتُ طَـرِيـقَـهـا فَـغَـدا يُـهـاجِـي أعْـظُـمـاً فـي مَـرْمَـسِ

---

(١) رامة: منزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة. (معجم البلدان ٣/ ١٨). والمعرس: المسافر الذي يسير نهاره وينزل للاستراحة ليلاً.

(٢) البجّس: المنبجسة، المنفجرة بالماء.

(٣) لاوذ: لاذ.

(٤) ولغ: شرب بطرف لسانه. ونهس اللحم: أخذه بمقدم الأسنان.

(٥) المردس: آلة تسوّي وتكسر.

قال: فلم يُجبْه ابنُ قَنْبر عن هذه بشيء، ثم التقيا فتعاتَبا، واعتذر كل واحدٍ منهما إلى صاحِبه، فقال مُسلم يهجوه: [الكامل]

حَلُمَ ابنُ قَنْبَرَ حِينَ قَصَّرَ شِعْرُهُ ... هَلْ كانَ يَحلُمُ شاعِرٌ عَنْ شاعِرِ

وقد مَضت هذه الأبيات مُتقدّماً.

[هجاؤه قريشاً وفخره بالأنصار]

قال: ومكث ابنُ قَنْبر حيناً لا يُجيبه عن هذا ولا عن غيره بشيء طلباً للكَفافِ، ثم هجا مُسلم قُريشاً وفخر بالأنصار فقال: [الخفيف]

قُلْ لِمَن تاهَ إذ بِنا عَزَّ جَهْلاً ... لَيْسَ بالتِّيهِ يَفْخَرُ الأحْرارُ
فَتَناهَوْا وأقْصِرُوا فَلَقَدْ جا ... رَتْ عَنِ القَصْدِ فِيكُمُ الأنْصارُ
أيُّكُمْ حاطَ ذا جِوارٍ بِعِزٍّ ... قَبْلَ أنْ تَحْتَوِيهِ مِنَّا الدّارُ
أو رَجا أنْ يَفُوتَ قَوماً بِوِتْرٍ ... لَمْ تَزَلْ تَمْتَطِيهِمُ الأوتارُ
لم يَكُنْ ذاكَ فيكُمُ فدَعُوا الفَخْـ ... ـرَ بما لا يَسُوغُ فيهِ افتِخارُ
وَنِزاراً فَفاخِرُوا تَفْضُلُوهُم ... ودَعُوا مَنْ لَهُ عَبِيداً نِزارُ
فَبِنا عَزَّ مِنْكُمُ الذُّلُّ وَالدَّ ... هْرُ عَلَيْكُمْ بِرِيبَةٍ كَرّارُ
حاذِرُوا دَوْلَةَ الزَّمانِ عَلَيْكُمْ ... إنَّهُ بَيْنَ أهْلِهِ أطْوارُ
فَتُرَدُّوا وَنَحْنُ لِلحالَةِ الأو ... لَى ولِلأَوْحَدِ الأذلِّ الصَّغارُ
فاخَرَتْنا لمّا بَسَطْنا لها الفَخْـ ... ـرَ قُرَيْشٌ وفَخْرُها مُسْتَعارُ
ذكرتْ عِزَّها وما كانَ فيها ... قَبْلَ أن يَسْتَجيرَنا مُسْتَجارُ
إنَّما كانَ عِزُّها في جِبالٍ ... تَرْتَقِيها كما تَرَقّى الوِبارُ[1]
أيُّها الفاخِرُونَ بالعِزِّ، والعِـ ... ـزُّ لِقَوْمٍ سِواهُمُ وَالفَخارُ
أخْبِرونا مَنِ الأعَزُّ أألمنـ ... ـصورُ حتّى اعْتَلَى أمِ الأنصارُ؟
فَلَنا العِزُّ قبلَ عِزِّ قُرَيْشٍ ... وقُرَيْشٌ تِلكَ الدُّهور تِجارُ

قال: فانْبرى له ابنُ قنْبر يُجيبه فقال: [الطويل]

ألا امْثُلْ أمِيرَ المُؤمنينَ بمُسْلِم ... وافْلِقْ بهِ الأحشاءَ من كُلِّ مُجْرِمِ
ولا تَرْجِعَنْ عَنْ قَتْلِه باستِتابَةٍ ... فما هُوَ عن شَتْم النَّبِيِّ بمُحْرِمِ

---

(١) الوبار: جمع وَبْر، وهو دويبة على قدر السنور، غبراء أو بيضاء من دواب الصحراء.

ولا عَنْ مُساواةٍ لَهُ وَلِقَوْمِهِ قُرَيْشٍ بأَصْداءٍ لِعادٍ وجُرْهُمِ
وَيَفْخَرُ بالأنصارِ جَهْلاً على الَّذِي بِنُصْرَتِهِ فازوا بِحَظٍّ ومَغْنَمِ
وَسُمُّوا بِهِ الأنصارَ لا عَزَّ قائِلٌ أرادَ قُرَيْشاً بالمَقالِ المُذَمَّمِ
وَمنهمْ رَسُولُ الله أزْكَى مَنِ انْتَمَى إلى نَسَبٍ زاكٍ وَمَجْدٍ مُقَدَّمِ
وما كانَتِ الأنصارُ قبل اعْتصامِها بنَصْرِ قُرَيْشٍ في المَحَلِّ المعَظَّمِ
ولا بالألى يَعْلُونَ أقْدارَ قَوْمِهِم صُداءٍ وخَولانٍ ولَخْمٍ وَسَلْهَمِ
وَلٰكِنَّهم بالله عاذُوا ونَصْرِهِمْ قُرَيْشاً ومن يَسْتَعْصِمِ الله يُعْصَمِ
فَعَزُّوا وقد كانُوا وفِطْيَوْنُ فيهم مِنَ الذُّلِّ في بابٍ مِنَ العِزِّ مُبْهَمِ[١]
يسومهمُ الفِطْيَوْنُ ما لا يُسامُهُ كَرِيمٌ ومنْ لا يُنكرِ الظُّلْمَ يُظْلَمِ
وإنّ قُريشاً بالمآثرِ فُضِّلَتْ على الخَلْقِ طُرّاً من فَصِيحٍ وأعْجَمِ
فما بالُ هذا العِلْجِ ضَلَّ ضلالُهُ يَمُدُّ إليهم كَفَّ أجْذَمَ أعْسَمِ[٢]
يُسامِي قُرَيْشاً مُسْلِمٌ وَهُمُ هُمُ بِمَوْلىً يَمانِيٍّ وَبَيْتٍ مُهَدَّمِ
إذا قامَ فيه غيرهم لم يكُن لَهُ مقامٌ به من لُؤمِ مَبْنىً ومَدْعَمِ
جَعاسِيسُ أشباهُ القرودِ لَوَ انَّهُمْ يُباعونَ ما ابتِيعوا جَمِيعاً بِدرْهَمِ[٣]
وما مُسْلِمٌ مِنْ هؤلاءِ ولا أُلَى وَلٰكِنَّهُ مِنْ نَسْلِ عِلْجٍ مُلَكَّمِ
تَوَلَّى زماناً غَيْرَهُمْ ثُمَّتَ ادَّعَى إلَيْهِمْ فَلَمْ يَكْرُمْ ولمْ يَتَكَرَّمِ
فإن يَكُ منهم فالنَّضِيرُ ولِفُّهُمْ مواليهِ لا مَنْ يَدَّعي بالتَّزَعُّمِ
وإن تَدْعُهُ الأنصارُ مولىً أسُمُّهُمْ بقافيةٍ تَسْتكرِهُ الجِلْدَ بالدَّمِ
عِقاباً لهم في إفْكِهِمْ وادّعائِهِمْ لأقْلَفَ مَنْقُوشِ الذِّراعِ مُوَشَّمِ[٤]
فلا تَدَّعُوهُ وانْتفوا منهُ تَسْلَموا بِنَفْيِكُمُوهُ من مَقامٍ ومأْثَمِ
وإلاّ فغُضُّوا الطَّرْفَ وانْتَظِروا الرَّدَى إذا اخْتَلَفَتْ فيكم صوارِدُ أسْهُمِي[٥]
وَلَمْ تجدُوا منها مِجَنّاً يُجِنُّكُمْ إذا طَلَعَتْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَمَعْلَمِ
وَأنتُمْ بنو أذنابِ مَنْ أنتُمُ لَهُ وَلستم بأبناءِ السَّنامِ المُقَدَّمِ
ولا بِبَنِي الرَّأسِ الرَّفيعِ مَحلُّهُ فَيَسْمُو بكم مَولًى مُسَامٍ ويَنْتمي

---

(١) الفطيون: ملك يهودي تملك يثرب، وكان سيئاً فاجراً.
(٢) الأعسم: المعوج الرجل.
(٣) الجعاسيس: جمع جعسوس، وهو القصير.
(٤) الإفك: الكذب.
(٥) الصوارد: النافذة، يقال: سهم صارد، وسهام صوارد.

فَكَيفَ رَضِيتُمْ أنْ يُسامَى نَبِيّكُمْ ... بِبَيْتِكُمُ الرَّثِّ القَصِيرِ المُهَدَّمِ
سأَحْطِمُ مَنْ سَامى النبيَّ تطاوُلاً ... عليهِ وأكْوِي مُنتماهُ بِمِيسَمِ
أَيُعْدَلُ بَيْتٌ يثربيٌّ بِكَعْبَةٍ ... ثَوَتْها قُرَيْشٌ في المكانِ المُحَرَّمِ
قُرَيْشٌ خِيارُ اللّهِ واللّهُ خَصَّهُمْ ... بذلكَ فاقْعَسْ أيُّها العِلْجُ وارْغَمِ[1]
وَمَنْ يَدَّعِي منهُ الوَلاءَ مُؤخَّرٌ ... إذا قِيل للجَارِي إلى المَجْدِ أقْدِمِ

[هجاؤه تميماً والمهاجاة بينه وبين ابن قنبر]

قال: وكان مُسلم قال هذه القَصيدة في قُريش وَكَتمها، فوقَعت إلى ابن قَنْبر، وأجابه عنها، واستَعلى عليه وهَتكه، وأغْرى به السُّلطانَ، فلم يكن عند مُسلم في هذا جَواب أكثر من الانتِفاء منها، ونسْبتها إلى ابن قنْبر، والادّعاء عليه أنَّه ألصقَها به ونَسَبها إليه، ليُعرِّضه للسُّلطان، وخافه فقال يَنْتفي من هذه القصيدة ويهجُو تميماً:

[الطويل]

دَعَوْتَ أمِيرَ المُؤمنينَ ولم تَكُنْ ... هُناكَ، ولكن مَنْ يَخَفْ يَتَجَشَّمِ
وإنَّكَ إذْ تَدْعُو الخَلِيفَةَ ناصِراً ... لكالمُتَرَقِّي في السَّماءِ بِسُلَّمِ
كذاكَ الصَّدَى تَدْعُوهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَى ... وإنْ تَتَوَهَّمْهُ تَمُتْ في التَّوَهُّمِ
هَجَوْتَ قُرَيْشاً عامداً ونحلتَنِي ... رُوَيْدَك يَظْهَرْ ما تَقولُ فَيُعْلَمِ
إذا كانَ مِثْلي في قَبيلٍ فإنَّهُ ... عَلَى ابنَيْ لُؤيٍّ قُصْرَةً غَيْرَ مُتْهِمِ
سَيَكْشِفُكَ التَّعْدِيلُ عَمَّا قَرَفْتني ... بهِ فَتأخَّرْ عارِفاً أو تَقَدَّمِ
فإنّ قُرَيْشاً لا تُغَيِّرُ وُدَّها ... ولا يُسْتمالُ عَهْدُها بِالتَّزَعُّمِ
مَضَى سَلَفٌ منهم وصلَّى بِعَقْبِهِم ... لنا سَلَفٌ في الأوّلِ المُتَقَدِّمِ
جَرَوْا فَجرَيْنا سابِقينَ بِسَبْقِهِمْ ... كما اتَّبَعَتْ كَفٌّ نواشِرَ مِعْصَمِ
وإنَّ الَّذِي يَسْعَى لِيَقْطَعَ بيننا ... كمُلتمِسِ اليَرْبُوعِ في جُحْرِ أرْقَمِ[2]
أَضَلَّكَ قَدْعُ الأَبِداتِ طَرِيقَها ... فأَصْبَحْتَ من عَميائِها في تَهَيُّمِ[3]
وخانَتْكَ عندَ الجَرْيِ ـ لمّا اتَّبعْتَها ـ ... تَمِيمٌ فَحَاوَلْتَ العُلا بالتَّقَحُّمِ
فأَصْبَحْتَ تَرْمِيني بِسَهْمِي وَتَتَّقِي ... يَدِي بِيَدِي، أُصْلِيتَ نارَكَ فاضْرَمِ

(١) القعس: خروج الصدر ودخول البطن.
(٢) الأرقم: الذكر من الحيات، وقيل: الذي فيه سواد وبياض، وقيل: أخبث الحيات.
(٣) القدع: المنع، والقدع: المجاوزة. والآبدات: الوحوش. والتهيم: الهيام.

قال: ثم هجاه ابنُ قنبر بقصيدة أوَّلُها: [الخفيف]

قُلْ لِعَبْدِ النَّضِيرِ مُسلم الوغْـ ـدِ الدَّنيِّ اللئيم شيْخِ النِّصابِ
إخْسَ يا كَلْبُ إذْ نَبَحْتَ فإنِّي لَسْتُ مِمَّنْ يُجِيبُ نبْحَ الكِلابِ
أفأرْضَى وَمَنْصِبِي مَنْصِبُ العِزّ وَبَيْتِي في ذِرْوةِ الأحْسابِ
أنْ أحُطَّ الرَّفيعَ مِنْ سَمْكِ بيْتِي بمُهاجاةِ أوشَبِ الأوشَابِ(١)
مَنْ إذا سِيلَ: مَن أبُوهُ؟ بَدا منـ ـهُ حَياءٌ يَحمِيهِ رجْعَ الجَوابِ
وإذا قيلَ حِينَ يُقْبِلُ: مَنْ أنـ ـتَ ومَنْ تَعْتَزِيهِ في الأنْسابِ؟
قلتَ: هاجِي ابْنِ قَنْبرٍ، فَتَسَرْبَلْـ ـتَ بذكرِي فَخْراً لَدَى النُّسَّابِ

وهي قصيدة طويله، فلم يُجبه مُسلم عنها بشيء، فقال فيه ابنُ قنْبر أيضاً:

[الخفيف]

لَسْتُ أنْفِيكَ إنْ سِوايَ نَفَاكا عن أبيكَ الذي له مُنتماكَا
ولماذا أنفِيكَ يا بنَ وَلِيدٍ من أبٍ إنْ ذَكَرْتَهُ أخزاكَا
وَلَوَ انِّي طَلَبْتُ ألأمَ منهُ لم أَجِدْهُ إن لم تكن أنتَ ذاكا
لو سِواهُ أباكَ كان جَعَلْنا هُ إنِ النّاسُ طاوَعُونا أباكا
حاكَ دَهْراً بغَيْرِ حِذْقٍ لِبُرْدٍ وَتَحُوكُ الأشْعار أنْتَ كَذاكا

وهي طويلة، فلم يُجبه مسلم عنها بشيء، فقال ابنُ قَنبر أيضاً يهجوه [الخفيف]

فَخَرَ العَبْدُ عَبْدُ قِنّ اليَهُودِ بِضَعِيفٍ مِنْ فَخْرِهِ مَرْدودِ
فَاخَرَ الغُرَّ مِنْ قُرَيْشٍ بإخْوا نِ خنازير من يَثْرِبٍ والقُرودِ
يَتَوَلَّى بَني النَّضِيرِ وَيَدْعُو بهِمُ الفَخْرَ من مكانٍ بَعيدِ
وبَنِي الأوسِ والخزرج أهْل الذُّ لّ في سالفِ الزَّمانِ التَّلِيدِ
إذ رَضُوا بافْتضاضِ فِطْيَوْنَ منهم كُلَّ بِكْرٍ ريَّا الرَّوادِفِ رُودِ
وَبَنُو عَمِّها شُهُودٌ لِمَا يَفْـ ـعَلُ فِطْيَوْن قُبِّحُوا من شُهُودِ
خَلْفَ بابِ الفِطْيَونِ والبَعْل مِنْهُمْ لا بِذِي غَيْرَةٍ ولا بِنَجِيدِ
فإذا ما قَضَى اليَهُودِيّ منها نَحْبَهُ قُنِّعُوا بِخِزْيٍ جديدِ

قال: فلما أفحش في هذه القصيدة وفي عدَّة قصائد قالها، ومُسلم لا يُجيبه،

(١) الأوشاب: الأخلاط من الناس، والأوباش، والرعاع.

مشى إليه قوم من مَشْيخة الأنصار، واستعانوا بمشيخة من قُرَّاء تميم وذوي العلم والفَضْل منهم، فمشوا معهم إليه فقالُوا له: ألا تستحِي من أن تَهجُو من لا يُجيبك؟ أنتَ بدأتَ الرَّجل فأجابك، ثم عُدت فكفّ، وتجاوزْت ذلك إلى ذكر أعراض الأنصار التي كان رَسولُ اللهﷺ يحميها ويذُبّ عنها[1] ويصونها، لغير حال أحلَّت لك ذلك منهم. فما زالوا يَعظونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمُسلِم، فانقطعَت.

صوت

[البسيط]

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدُّنيا ببَهْجَتِهِمْ ... شَمْسُ الضُّحَى وأبُو إسحاق والقَمَرُ
يَحْكِي أفاعيلَهُ في كُلِّ نائِبَةٍ ... الغَيْثُ واللَّيْثُ والصَّمْصامَةُ الذَّكَرُ

الشِّعر لمحمد بن وُهَيب، والغناء لعلّويه ثقيل أول بالوُسطى، وفيه لإبراهيم ابن المهديّ ثَقِيل أول آخر عن الهِشاميّ.

(١) يذب عنها: يدافع عنها.

أخبار محمد بن وهيب

[توفي نحو سنة ٢٢٥ هـ/نحو سنة ٨٤٠ م]

[اسمه ونسبه]

محمد بنُ وُهَيْب الحِمْيريّ صَليبَة شاعر من أهلِ بغداد من شُعراءِ الدولة العباسية، وأصلُه من البصرة، وله أشعارُ كثيرة يَذكُرها فيها ويتشَوَّقُها، ويصف إيطانَه إياها ومنشأه بها. وكان يَسْتَمْنِحُ الناسَ بشعْره، ويتكسَّب بالمدِيح، ثم توسّل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضّحاك ومَدَحه، فأوصَله إليه وسَمِع شعره فأُعجِب به واقتطعه إليه، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له فأسْنَى جائِزَته، ثم لم يزل مُنْقطعاً إليه حتى مات. وكان يتَشيع، وله مَراثٍ في أهل البيت. وهو متوسط من شعراء طبقته، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة، وأشياء متكلفة.

[شعره وإعجاب الناس به]

أخبرنا محمد بن خلف وَكِيع قال: زعم أبو مُحلَّم، وأخبرني عمّي، عن عليّ ابنُ الحُسَين بن عبد الأعلى، عن أبي مُحلَّم قال: اجتمع الشعراءُ على باب المعتصِم فبعث إليهم محمدُ بنُ عبد الملك الزَّيات: إنّ أمير المؤمنين يقول لكم: من كان منكم يُحسِن أن يقول مثلَ قولِ النمريّ في الرشيد: [البسيط]

خَلِيفَةَ اللّهِ إنَّ الجُودَ أودِيَةٌ ... أحَلَّكَ اللّهُ منها حَيْثُ تَجْتَمِعُ
مَنْ لَمْ يكنْ بأمِينِ اللّه مُعْتَصِماً ... فَلَيْسَ بالصَّلَواتِ الخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إن أخْلَفَ القَطْرُ لم تُخْلِفْ مخايلُهُ ... أوْ ضاقَ أمْرٌ ذكرناه فَيَتَّسِعُ[1]

(١) مخايله: ما يؤمل فيه من نجابة.

فلْيدخُل وإلا فلْينصرف، فقام محمدُ بن وُهَيب فقال: فينا من يقول مثله، قال: وأيّ شيءٍ قُلت؟ فقال: [البسيط]

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيا بِبَهْجَتِهِمْ ... شَمْسُ الضُّحَى وأبو إسحاقَ والقَمَرُ
تَحكِي أفاعيلَهُ في كلِّ نائِبَةٍ ... الغَيْثُ واللَّيْثُ والصَّمصامَةُ الذَّكَرُ[1]

فأمر بإدْخاله وأحسن جائزَته.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال: حدثني محمد بن محمد ابن مروان بن موسى قال: حدثني محمد بن وُهَيْب الشاعر قال: لما تولّى الحسنُ بن رجاء بن أبي الضَّحاك الجبلَ قلتُ فيه شِعراً وأنشدتُه أصحابنا دِعْبِلَ بنَ عليّ وأبا سعد المخزوميّ وأبا تمام الطائيّ، فاستحْسنوا الشعر وقالوا: هذا لعمري من الأشعار التي تُلقَى بها الملوكُ، فخرجتُ إلى الجبل فلما صِرْتُ إلى هَمَذان أخبره الحاجبُ بمكاني فأذن لي فأنشدتُه الشعرَ فاستحسن منه قولي: [الطويل]

أجارتَنا إنَّ التَّعَفُّفَ باليأسِ ... وَصَبْراً على اسْتِدْرارِ دُنيا بإبْساسِ[2]
حَرِيَّانِ ألاّ يَقْذِفا بمذلةٍ ... كريماً وألاّ يُحوِجاهُ إلى النّاسِ
أجارَتَنا إنَّ القِداحَ كَواذِبٌ ... وأكْثَرُ أسبابِ النَّجاحِ مَعَ اليأسِ

فأمر حاجبَه بإضافتي فأقمت بحضرته كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بحُمْلان أو خِلعة أو جائزة حتى انصرم الصَّيفُ فقال لي: يا محمد إن الشتاء عندنا عِلْج[3] فأعدَّ يوماً للوداع. فقلت: خدمة الأمير أحبُّ إليّ، فلما كاد الشتاء أن يشتَدّ قال لي: هذا أوانُ الوداع، فأنشدني الثلاثَة الأبيات فقد فهمت الشعر كله، فلما أنشدته: [الطويل]

أجارتَنا إنَّ القِداحَ كَواذِبٌ ... وَأكْثَرُ أسبابِ النَّجاحِ مَعَ اليأسِ

قال: صدقت، ثم قال: عُدُّوا أبيات القصيدة فأعطُوه لكل بيت ألفَ درهم، فعُدّت فكانت اثنين وسبعين بيتاً، فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم، وكان فيما أنشدته في مقامي واستحْسنه قولي:

---

(١) الصمصامة الذكر: السيف القاطع.
(٢) الإبساس: التصويت للناقة برقة ولطف لتسكن وتدر، ويقال للناقة: بس بس.
(٣) العلج هنا: القاسي الشديد.

صوت

[المتقارب]

دِمـاءُ الـمُـحِـبِّـيـن لا تُـعـقَـلُ أمـا فـي الـهـوى حَـكَـمٌ يـعـدِلُ[1]!
تَـعَـبَّـدَنِـي حَـوَرُ الـغـانـيـاتِ وَدانَ الـشَّـبـابُ لـهُ الأخْـطَـلُ[2]
وَنَـظْـرَةِ عَـيْـنٍ تَـعَـلَّـلْـتُـهـا غِـراراً كَـمـا يَـنْـظُـرُ الأحْـوَلُ
مُـقَـسَّـمـةٍ بـيـن وجـه الـحـبـيـبِ وطـرف الـرقـيـبِ مـتـى يـغـفَـلُ

في هذه الأبيات هَزَج طنبوريّ سمعته من جحظة فذكر أنه يُراه للمسدود ولم يُحقِّق صانعه.

قال الأصبهانيّ: وهذه الأبيات له في المطَّلب بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ.

قال محمدُ بنُ وُهَيْب: وأُهدِي إلى الحسن بن رجاء غلامٌ فأُعجِب به فكتبتُ إليه:

[مخلع البسيط]

لِـيَـهْـنِـكَ الـزائِـرُ الـجَـدِيـدُ جَـرَى بـه الـطـائِـرُ الـسَّـعِـيـدُ
جـاءَ مَـشُـوقٌ إلـى مَـشُـوقٍ فَـذا وَدُودٌ وذا وَدودُ
يَـومُ نَـعِـيـم وَيَـوْمُ لَـهْـوٍ خُـصِـصْـتَ فـيـهِ بـمـا تُـرِيـدُ
إلْـفٌ مَـشُـوَقٌ أتـاهُ إلْـفٌ فَـمُـسْـتَـفـادٌ ومُـسْـتَـفِـيـدُ

حدّثني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار بهذا الحديث، عن يعقوبَ بن إسرائيل قَرْقارة، عن محمد بن محمد بن مروان بن موسى، عن محمد بن وُهَيْب، فذكر مثل الذي قبله وزاد فيه، فلم يزل يَستعيدُني:

[الطويل]

أجـارتَـنـا إنَّ الـقِـداحَ كَـواذِبٌ وأكْـثَـرُ أسْـبـابِ الـنَّـجاحِ مَـعَ الـيـاسِ

وأنا أُعيده عليه، فانصرفت من عنده بأكثر مما كنت أُؤمل.

حدّثني عليُّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب قال: حدثني أبو هِفّان قال: حدّثني خالي قال: كنت عند أبي دُلَف القاسم بن عيسى، فدخل عليه محمدُ ابنُ وهيب الشاعرُ فأعظمه جداً، فلما انصرف قال له أخوه مَعْقِل: يا أخي، قد

---

(١) لا تعقل: لا تدفع ديتها.
(٢) الأخطل: الأحمق، أو السريع الخفيف.

فعلتَ بهذا ما لم يستحقّه، ما هو في بيت من الشَّرف، ولا في كمال من الأدب، ولا بموضع من السلطان، فقال: بلى يا أخي، إنه لحقيق بذلك. أو لا يستحقه وهو القائل:

صوت

[المتقارب]

يَـدُلُّ عَـلَـى أنَّـنِـي عـاشِـقٌ مِـنَ الـدَّمْـعِ مُـسْـتَـشْـهَـدٌ نـاطِـقُ
وَلِـي مـالِـكٌ أنـا عَـبْـدٌ لَـهُ مُـقِـرٌّ بِـأنّـي لَـهُ وامِـقُ[١]
إذا مـا سَـمَـوْتُ إلـى وَصْـلِـهِ تَـعَـرَّض لِـي دونَـهُ عـائِـقُ
وَحـارَبَـنِـي فـيـهِ رَيْـبُ الـزَّمـانِ كـأنَّ الـزَّمـانَ لَـهُ عـاشِـقُ

في هذه الأبيات رمل طُنبُوريّ أظنُّه لجحْظة.

حدَّثني عمّي قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال: لما قَدِمَ المُطَّلِب بنُ عبد الله بن مالك من الحج لَقِيه محمدُ بنُ وُهَيْب مستقبِلاً مع من تلقّاه، ودخل إليه مهنئاً بالسَّلامة بعد استقراره، وعاد إليه في الثالثة فأنشده قصيدة طويلة مدحه بها، يقول فيها: [الطويل]

وما زِلتُ أسْتَرْعِي لكَ اللّه غائِباً وأُظْهِرُ إشْفاقاً عليكَ وأكتُمُ[٢]
وأعْلَمُ أنَّ الجُودَ ما غِبْتَ غائِبٌ وأنَّ النَّدَى في حَيْثُ كُنْتَ مُخَيِّمُ
إلى أن زَجَرْتُ الطَّيْرَ سَعْداً سَوانحاً وَحُمَّ لِقاءٌ بالسُّعودِ ومَقْدَمُ
وظلَّ يُناجيني بمدْحِكَ خاطِرٌ وَلَيْلِيَ مَمْدُودُ الرّواقَيْنِ أدْهَمُ
وقالَ: طواهُ الحَجُّ فاخْشَعْ لِقَقْدِهِ ولا عَيْشَ حَتَّى يَسْتَهِلَّ المُحَرَّمُ
سَيَفْخَرُ ما ضَمَّ الحَطِيمُ وَزَمْزَمٌ بِمُطَّلِبٍ لَوْ أنَّهُ يَتَكَلَّمُ
وما خُلِقَتْ إلا مِنَ الجُودِ كَفُّهُ عَلى أنَّها والبأسَ خِدْنانِ تَوْأَمُ
أعَدْتَ إلى أكْنافِ مَكَّةَ بَهْجَةً خُزاعِيَّةً كانَتْ تُجِلُّ وتُعْظِمُ
لَيالِيَ سُمّارِ الحَجُونِ إلى الصَّفا خُزاعَةُ إذ خَلَّتْ لها البَيْتَ جُرْهُمُ
وَلَوْ نَطَقَتْ بَطحاؤُها وَحَجُونُها وَخِيفُ مِنًى والمأزِمانِ وَزَمْزَمُ[٣]

---

(١) وامق: محبّ.
(٢) أسترعي لك اللّه: أرجوه أن يرعاك.
(٣) الحجون، والصفا، والبطحاء، وخيف منى والمأزمان وزمزم: أعلام مواضع. (انظر معجم البلدان).

إذاً لَـدَعَـتْ أجْـزاءُ جِـسْـمِـكَ كُـلُّـهـا تَـنـافَـسُ فـي أقـسـامِـهِ لَـوْ تُـحَـكَّـمُ
وَلَـوْ رُدَّ مَـخْـلُـوقٌ إلـى بَـدْءِ خَـلْـقِـهِ إذاً كُـنْـتَ جِـسْـمـاً بَـيْـنَـهُـنَّ تُـقَـسَّـمُ
سَـمـا بـكَ مـنـهـا كـل خيْـفٍ فأبْـطَـحٍ نَـمـا بـكَ مـنـهُ الـجَـوْهَـرُ الـمُـتَـقَـدِّمُ
وَحَـنَّ إلـيـكَ الـرُّكْـنُ حَـتَّـى كـأنَّـهُ وقـد جـئـتَـهُ خِـلٌّ عَـلَـيْـكَ مُـسَـلِّـمُ

قال: فوصله صلة سنية وأهدى له هدية حسنة من طُرَف ما قدم به وحمله، والله أعلم.

أخبرني جعفرُ بنُ قدامة قال: حدثني الحسنُ بنُ الحسن بن رجاء عن أبيه وأهله قالوا: كان محمدُ بن وُهَيب الحميريّ لمّا قدم المأمونُ من خُراسان مُضاعاً مُطَّرَحاً، إنما يتصدى للعامة وأوساط الكتّاب والقوّادِ بالمديح ويسترفِدُهم فيحظى باليسير، فلما هدأت الأمور واستقرَّت واستوسقت[١] جلس أبو محمد الحسن بن سهل يوماً منفرداً بأهله وخاصَّته وذوِي مودّته ومَنْ يقرب من أُنسِه، فتوسل إليه محمد بن وهيب بأبي حتى أوصله مع الشعراء، فلما انتهى إليه القول استأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده قصيدته التي أولها: [الطويل]

وَدائـعُ أسْـرارٍ طَـوَتْـهـا الـسَّـرائِـرُ وبـاحَـتْ بـمـكـتـومـاتِـهِـنَّ الـنَّـواظِـرُ
مَـلَـكْـتُ بـهـا طَـيَّ الـضَّـمِـيرِ وَتَـحْـتَـهُ شَـبَـا لَـوْعَـةٍ عَـضْـبُ الـغِـرارَيْـنِ بـاتِـرُ
فـأعْـجَـمَ عـنـهـا نـاطِـقٌ وَهْـوَ مُـعْـرِبٌ وأعْـرَبَـتِ الـعُـجْـمُ الـجُـفونُ الـعَـواطِـرُ
ألَـمْ تَـغْـذُنـي الـسَّـرَّاءُ فـي رَيِّـقِ الـهَـوَى غَـرِيـراً بـمـا تَـجْـنِـي عَـلَـيَّ الـدَّوائِـرُ[٢]
تُـسَـالِـمُـنِـي الأيّـامُ فـي عُـنْـفُـوانِـهِ ويـكْـلـؤُنـي طَـرْفٌ مِـنَ الـدَّهْـرِ نـاظِـرُ[٣]

حتى انتهى إلى قوله: [الطويل]

إلى الحَسن الباني العُلا يَمَّمَتْ بنا عَوالِي المُنَى حيثُ الحَيا المُتَظاهِرُ
إلى الأمَلِ الـمَبْسُوطِ والأجَلِ الذي بـأعـدائِـهِ تَـكْـبُـو الـجُـدودُ الـعَـواثِـرُ
ومـن أنـبـعـتْ عَـيْـنَ الـمـكـارِمِ كَـفُّـهُ يَـقُـومُ مـقـامَ الـقَـطْـرِ وَالـرَّوْضُ داثِـرُ
تَـعَـصَّـبَ تـاجَ الـمـلـكِ فـي عُـنـفـوانِـهِ وَأطَّـتْ بـهِ عـصْـرَ الـشَّـبـابِ الـمَـنـابِـرُ[٤]

---

(١) استوسقت: انتظمت.

(٢) الغرير: الشاب لا تجربة له.

(٣) يكلؤني: يحرسني، يحفظني.

(٤) أطّت المنابر: صوتت.

تُعَظِّمُهُ الأوهامُ قبلَ عِيانِهِ وَيَصْدُر عنهُ الطَّرْفُ والطَّرْفُ حاسِرُ
به تُجْتَدَى النُّعمَى وَتُسْتَدْرَكُ المُنى وتُسْتَكْمَلُ الحُسْنَى وتُرْعَى الأواصِرُ
أصاتَ بنا داعِي نوالِكَ مُؤذِناً بِجُودِكَ إلا أنَّهُ لا يُحاوِرُ
قَسَمْتَ صُرُوفَ الدَّهْرِ بأساً ونائلاً فَمالُكَ مَوْتُورٌ وَسَيْفُكَ واتِرُ
وَلَمّا رأى اللّهُ الخِلافَةَ قد وَهَتْ دعائِمُها واللّهُ بالأمْرِ خابِرُ
بَنَى بِكَ أركاناً عَلَيْكَ مُحِيطَةً فَأنْتَ لها دونَ الحَوادِثِ ساتِرُ
وَأرْعَنَ فيهِ لِلسَّوابِغ جُنَّةٌ وَسَقْفَ سَماءٍ أنْشَأتْهُ الحَوافِرُ[1]

يعني أنَّ على الدروع من الغبار ماقد غشيها فصار كالجنة لها.

لها فَلَكٌ فيهِ الأسِنَّةُ أنْجُمٌ وَنَقْعُ المنايا مُسْتَطِيرٌ وثائِرُ[2]
أجزْتَ قضاءَ المَوْتِ في مُهَجِ العِدا ضُحًى فاسْتَباحَتْها المَنايا الغَوادِرُ
لَكَ اللّحَظاتُ الكالِئاتُ قَواصِداً بِنُعْمَى وبالبَأساءِ وَهْي شَوَازِرُ[3]
وَلِمْ لَمْ تَكُنْ إلا بِنَفسِكَ فاخِراً لما انْتَسَبَتْ إلاّ إلَيْكَ المَفاخِرُ

قال: فطرب أبو محمد حتى نزل عن سَريره إلى الأرض وقال: أحسنتَ والله وأجملت، ولو لم تَقُل قط ولا تقولُ في باقي دَهْرِك غير هذا لَمَا احتجتَ إلى القوْل، وأمر له بخمسةِ آلاف دينار فأُحضِرت واقتطعه إلى نفسه، فلم يزل في جَنْبِهِ[4] أيامَ ولايته وبعد ذلك إلى أن مات ما تصدَّى لغيره.

حدَّثني أحمدُ بنُ جعفر جَحْظَة قال: حدّثني ميمونُ بنُ هارون قال: كان محمد بن وُهَيْب الحِمْيريّ الشاعر قد مدح عليَّ بنَ هِشام وتردّد إليه وإلى بابه دَفَعات، فحجبه ولقيه يوماً، فعرض له في طريقه وسلَّم عليه، فلم يرفع إليه طرفه، وكان فيه تِيهٌ شديد، فكتب إليه رُقعة يعاتبه فيها، فلما وصلت إليه خرَّقها وقال: أيّ شيء يريد هذا الثقيل السَّيئُ الأدب؟ فقيل له ذلك فانصرف مُغضَباً وقال: والله ما أردتُ مالَه وإنما أردتُ التوسُّلَ بجاهه وسيُغنِيني الله جلّ وعز عنه، أما والله ليذُمَّنَّ مغبَّةَ فِعله. وقال يهجوه: [البسيط]

(١) الجيش الأرعن: الجيش الكثير العدد. والسوابغ: جمع سابغة وهي الدرع الواسعة. والجنة: السترة. والحافر من الدابة: كالقدم للإنسان.
(٢) نقع المنايا: غبارها.
(٣) شنزره وشنزر إليه: نظر إليه بمؤخر عينه.
(٤) جنبته: جانبه، ناحيته.

أَزْرَتْ بِجُودِ عَلِيٍّ خِيفَةُ العَدَمِ فَصَدَّ مُنْهَزِماً عَنْ شَأْوِ ذِي الهِمَمِ
لَوْ كَانَ مِنْ فارِسٍ في بَيْت مَكرُمَةٍ أو كانَ من وَلَدِ الأمْلاكِ في العَجَمِ
أوْ كانَ أولَه أهلُ البِطاحِ أوِ الرَّ كْبُ المُلَبُّونَ إهلالاً إلى الحَرَمِ
أيّامَ تُتَّخَذُ الأصْنامُ آلِهَةً فلا تَرَى عاكِفاً إلا عَلَى صَنَمِ
لَشَجَّعَتْهُ على فِعْلِ المُلوكِ لَهُمْ طَبائِعٌ لَمْ تَرُعْها خِيفَةُ العَدَمِ
لَمْ تَنْدَ كَفَّاكَ مِنْ بَذْلِ النَّوالِ كما لم يَنْدَ سَيفُكَ مُذْ قُلِّدْتَهُ بِدَمِ
كُنْتَ امرأً رَفَعَتْهُ فِتْنَةٌ فَعَلا أيامَها غادِراً بالعَهْد والذِّمَمِ
حَتَّى إذا انكشَفَتْ عَنَّا عمايَتُها وَرُتِّبَ النَّاسُ بالأحسابِ والقِدَم[1]
مات التَّخلُّقُ وارتَدَّتْكَ مُرْتَجِعاً طَبيعَةٌ نَذْلَةُ الأخلاقِ وَالشِّيَمِ
كَذاكَ مَنْ كانَ لاَ رأساً ولا ذَنَباً كَزَّ اليَدَيْن حَدِيثَ العَهْدِ بالنِّعَمِ
هَيهاتَ ليس بِحَمَّالِ الدِّياتِ ولا مُعْطِي الجَزِيلِ ولا المَرهُوبِ ذِي النِّقَمِ

قال: فحدَّثني بعضُ بني هاشم أنّ هذه الأبيات لمَّا بلغت عليَّ بنَ هِشام ندم على ما كان منه، وجَزِع لها وقال: لعن الله اللجاج فإنه شرُّ خُلُقٍ تَخلّقه الناس، ثم أقبل على أخيه الخليل بن هشام فقال: الله يعلم أني لا أدخلُ على الخليفة وعليَّ السيفُ إلا وأنا مُسْتَحٍ منه، أذكر قول ابنِ وُهَيب فيّ:

لم تَنْدَ كَفّاكَ من بَذْلِ النَّوالِ كما لم يَنْدَ سَيفُكَ مُذْ قُلِّدتَهُ بِدَمِ

حدثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدثني ميمونُ بن هارون قال: مَنْ سمع ابن الأعرابيّ يقول: أهجى بيت قاله المحدثون قولُ محمدِ بنِ وُهَيب: [البسيط]

لم تَنْدَ كَفّاكَ من بَذْلِ النَّوالِ كما لم يَنْدَ سَيفُكَ مُذْ قُلِّدتَهُ بِدَمِ

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المرزبان قال: حدثني محمدُ بنُ مرزوق البَصْريُّ قال: حدثني محمد بن وُهَيب قال: جلستُ بالبَصرة إلى عطَّار فإذا أعرابية سوداء قد جاءت فاشترت من العطَّار خَلُوقاً فقلت له: تجدُها اشترته لابنتها وما ابنتُها إلا خُنْفُساءُ، فالتفتت إليّ مُتضاحكة، ثم قالت: لا والله، لكن مهاةٌ جيداء، إن قامت فَقَناةٌ، وإن قعدت فحصاة، وإن مشت فقطاةٌ، أسفلُها كثيب، وأعلاها قضيب، لا كَفَتياتِكم اللواتي تسمِّنونهن بالفَتُوت، ثم انصرفت وهي تقول: [الرجز]

---

(١) العماية: الجهالة بالشيء.

إن الـفَـتُـوتَ لـلـفَـتـاةِ مَـضْـرَطَـةْ يَكْرُبـهـا فـي البَطْـنِ حَتَّـى تَثلطَـهْ[١]

فلا أعلمُني ذَكرتُها إلا أضحكني ذِكرُها.

[علاقته بيزيد بن هارون، ومذهبه]

حدّثني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدثنا أبو هِفَّان قال: كان محمدُ بنُ وُهيب يتردد إلى مجلس يزيد بن هارون، فلزمه عدّة مجالس يُملِي فيها كلها فضائل أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، لا يذكر شيئاً من فضائل عليّ عليه السلام، فقال فيه ابنُ وُهَيب: [البسيط]

آتِـي يَـزيـدَ بـنَ هَـارونٍ أُدالِـجُـهُ في كُـلِّ يَـوْمٍ وَمَـالِـي وابـن هـارونِ[٢]
فَـلَـيْـتَ لـي بِـيَـزيـدٍ حِـيـنَ أَشْـهَـدُهُ راحـاً وقَـصْـفـاً ونَـدْمـانـاً يُـسَـلِّـيـنـي
أَغدُو إلى عُصْبة صَمَّتْ مَسامِعُهُمْ عَـنِ الـهُـدَى بـيـنَ زِنْـدِيـقٍ ومـأْفُـونِ[٣]
لا يَـذْكُـرون عَـلِـيّـاً فـي مَـشـاهِـدِهِـمْ ولا بَـنِـيـهِ بَـنـي الـبِـيـضِ الـمَـيـامِـيـنِ
الـلَّـهُ يَـعْـلَـمُ أنِّـي لا أُحِـبُّـهُـمُ كـمـا هُـمُ بِـيَـقِـيـنٍ لا يُـحِـبُّـونـي
لو يَسْتَطيعون عن ذكْري أبا حَسَنٍ وفَـضْـلَـهُ قَـطَّـعُـونـي بـالـسَّـكَـاكِـيـنِ
وَلَـسْـتُ أتْـرُكُ تَـفْـضِـيـلـي لَـهُ أَبَـداً حَتى الـمَـمَـاتِ عَلَى رَغْم الـمَلاَعينِ.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدّثني إسحاق بن محمد الكوفيّ، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن يوسف. وأخبرني به الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن القاسم قال: حدّثني إسحاق، عن محمد بن القاسم بن يوسف قال: كان محمد بن وُهَيب يأتي أَبي فقال له أَبي يوماً: إنك تأتينا وقد عرفتَ مذاهِبنا فنحبُّ أن تعرِّفنا مذهبَك فنوافقَك أو نُخالفَك، فقال له: في غد أُبيِّن لك أمري ومذهبي. فلما كان من غدٍ كتب إليه: [مجزوء الرمل]

أَيُّـهـا الـسَّـائـلُ قـد بَـيَّـنْـ ـتُ إن كُـنْـتَ ذَكِـيَّـا
أَحْـمَـدُ الـلَّـهَ كَـثِـيـراً بـأيـاديـهِ عَـلَـيّـا
شَـاهِـداً أن لا إلَـهَ غَـيْـرُهُ مـا دُمْـتُ حَـيّـا

(١) فتّ الشيء: دقه وكسره، فهو مفتوت وفتيت وفَتوت. ويكربها: يشق عليها. وثلط: سلح مسلحاً رقيقاً.
(٢) الدلجة: السير ليلاً. وهنا أدالجه: أسهر معه وقتاً طويلاً من الليل.
(٣) الزنديق: الذي يظهر الإسلام ويضمر الكفر. والمأفون: الضعيف الرأي.

وَعَلَى أَحْمَدَ بِالصِّدْ قِ رَسُولاً وَنَبِيّا
وَمَنَحْتُ الوُدَّ قُرْبا هُ وَوَالَيْتُ الوَصِيّا
وَأَتانِي خَبَرٌ مُطَّرَحٌ لَمْ يَكُ شَيَّا
أَنَّ عَلَى غَيْرِ اجْتِماعٍ عَقَدُوا الأَمْرَ بَدِيّا
فَوَقَفْتُ القَوْمَ تَيْماً وَعَدِيّاً وَأُمَيَّا
غَيْرَ شَتَّامٍ وَلَكِنِّي تَوَلَّيْتُ عَلِيّا

حدّثني جَحْظةُ قال: حدّثني عليُّ بن يحيى المنجّم قال: بلغ محمدَ بنَ وُهَيب أنّ دِعْبل بنَ عليّ قال: أنا ابنُ قَولِي: [الكامل]

لا تَعْجَبي يا سَلْمُ من رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ برأسِه فَبكَى

وأنّ أبا تمام قال: أنا ابنُ قولِي: [الكامل]

نَقِّل فؤادَكَ حَيْث شِئتَ من الهَوَى مَا الحُبُّ إلا لِلحَبِيب الأوّلِ

فقال محمدُ بنُ وُهَيب: وأنا ابنُ قولي: [المديد]

ما لِمَن تَمَّتْ مَحاسِنُهُ أن يُعادِيَ طَرْفَ مَنْ رَمَقَا
لكَ أنْ تُبدِي لنا حسناً ولنا أن نُعمِلَ الحَدَقَا

قال أبو الفرج الأصبهاني: وهذا من جَيّد شعره ونادِره، وأول هذه الأبيات قولُه:

نَمْ فقد وَكَّلْتَ بي الأَرَقا لاهياً تُغْرِي بمَنْ عَشِقا
إنَّما أبْقَيْتَ من جَسَدي شَبَحاً غَيْرَ الذي خُلِقا
كُنْتُ كالنُّقصانِ في قَمَرٍ ماحِقاً منه الذي اتَّسَقا[1]
وَفَتى ناداكَ مِنْ كَثَبٍ أُسْعِرَتْ أحشاؤه حُرَقا
غَرِقَتْ في الدَّمْعِ مُقلتُهُ فدعا إنسانُها الغَرَقا
إنَّما عاقَبْتَ ناظِرَهُ أنْ أعادَ اللَّحْظَ مُسْتَرِقا
ما لِمَن تَمَّتْ محاسنُهُ أن يُعادِي طَرْف من رَمَقَا[2]
لكَ أن تُبدِي لنا حُسناً ولنا أن نُعمِلَ الحَدَقا

(١) محق القمر: دخل في المحاق، وهو آخر الشهر القمري.

(٢) رمق: لحظ لحظاً خفيفاً، أو أطال النظر.

قَـدَحَـت كَـفّـاكَ زَنْـدَ هَـوىً فـي سَـوادِ الـقَـلْـبِ فَـاحْـتَـرَقَـا

حدّثني عمّي قال: حدثني أبو عبد الله الهِشاميّ عن أبيه قال: دخل محمد بن وُهَيب على أحمد بن هشام يوماً وقد مدحه، فرأى بين يديه غلماناً رُوقَةً[١] مُرداً[٢] وخدَماً بِيضاً فُرَّهاً[٣] في نهاية الحسن والكمال والنظافة، فدهِش لما رأى وبقي مُتَبَلّداً لا ينطق حَرفاً، فضحِك أحمد منه وقال له: ما لك؟ ويْحك! تكلّم بما تريد، فقال: [الكامل]

قـد كـانـت الأَصـنـامُ وَهْـي قَـدِيـمـةٌ كُـسِـرَتْ وَجَـدَّعَـهُـنَّ إبـراهـيـمُ
ولَـديْـكَ أصـنـامٌ سَـلِـمْـن مـن الأذى وصَـفَـت لَـهُـنَّ غَـضَـارَةٌ ونَـعِـيـمُ[٤]
وبِـنَـا إلـى صَـنَـمٍ نَـلُـوذُ بِـرُكْـنِـهِ فَـقْـرٌ وأنـتَ إذا هُـزِزْتَ كَـرِيـمُ

فقال له: اختر من شئت، فاختار واحداً منهم، فأعطاه إياه، فقال يمدحه:

[الكامل]

فَـضَـلَـتْ مَـكـارِمُـهُ عـلـى الأقـوام وعَـلا فَـحـازَ مَـكـارِمَ الأَيَّـامِ
وَعَـلَـتْـهُ أُبَّـهَـةُ الـجَـلالِ كـأنَّـهُ قَـمَـرٌ بـدا لـك مـن خِـلال غَـمـامِ
إنَّ الأمِـيـرَ عـلـى الـبَـرِيَّـة كُـلِّـهـا بـعـدَ الـخَـلـيـفـة أحـمـدُ بـنُ هـشـامِ

وأخبرني جعفرُ بنُ قُدامَة في خبره الذي ذكرتُه آنفاً عنه، عن الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال: لمَّا قدم المأمُونُ، لقِيَه أبو محمد الحسن بنُ سَهل، فدخلا جمِيعاً، فعارضَهُما ابنُ وُهَيب وقال: [البسيط]

الـيـومَ جُـدِّدَتِ الـنَّـعْـمـاءُ والـمِـنَـنُ فـالـحَـمْـدُ لله حَـلَّ الـعُـقْـدَةَ الـزَّمَـنُ
الـيـومَ أظـهَـرتِ الـدُّنـيـا مَـحـاسِـنَـهـا لِلنَّاس لما الْتَقَى المأمونُ والحَسَنُ

قال: فلما جلسا سألَه المأمون عنه فقال: هذا رجل من حِمْيَر، شاعر مطبوع، اتصل بي متوسلاً إلى أمير المؤمنين وطالباً الوصول مع نُظرائه، فأمر

(١) الروقة: الجميل من الغلمان والجواري يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع.
(٢) المرد: جمع أمرد، وهو الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته.
(٣) الفرّه: جمع فاره، وهو الجميل الحسن النشيط.
(٤) الغضارة: النعمة، طيب العيش.

المأمون بإيصاله مع الشعراء، فلما وقف بين يديه، وأذِن له في الإنشاد، أنشده قولَه: [الكامل]

طَلَلانِ طَالَ عليهما الأمَدُ ... دَثَرا فلا عَلَمٌ ولا نَضَدُ
لَبِسَا البِلَى فكأنَّما وَجَدَا ... بعد الأحِبّة مِثْلَ ما أَجِدُ
حُيِّيتُما طَلَلَيْنِ، حالهُما ... بَعْدَ الأحِبَّة غَيْرُ ما عَهِدُوا
إمَّا طَوَاكَ سُلُوُّ غانِيَةٍ ... فهَواك لا مَلَكٌ ولا فَنَدُ
إن كُنْتِ صادِقَةَ الهَوَى فرِدِي ... في الحُبِّ مَنْهَلِيَ الذي أَرِدُ
أَدَمِي هَرقْتِ وأنتِ آمنة ... أم ليس لي عَقْلٌ ولا قَوَدُ
إن كُنْتِ فُتِّ وخانني سَبَبٌ ... فلربّما يُخْطِىءُ مُجْتَهِدُ

حتى انتهى إلى قوله في مدح المأمون: [الكامل]

يا خَيْرَ مُنتَسِبٍ لمَكْرُمةٍ ... في المَجْدِ حَيْثُ تَبَحْبَحَ العَدَدُ
في كُلِّ أُنمُلةٍ لراحَتِهِ ... نَوءٌ يَسحُّ وعارِضٌ حَشِدُ(١)
وإذا القَنَا رَعَفَت أسِنَّتُهُ ... عَلَقاً وصُمٌّ كُعوبها قِصَدُ
فكأنَّ ضَوْءَ جَبِينِهِ قَمَرٌ ... وكأنَّهُ في صَولةٍ أَسَدُ
وكأنَّه رُوحٌ تُدَبِّرنا ... حَرَكاتُه وكأنَّنا جَسَدُ

فاستحسنها المأمونُ وقال لأبي محمد: احتكم له، فقال: أمير المؤمنين أولى بالحكم، ولكن إن أذِن لي في المسألة سألتُ له، فأما الحُكم فلا، فقال: سَلْ فقال: يُلحقه بجوائز مروان بن أبي حفصة، فقال: ذلك والله أردتُ، وأمر بأن تُعدّ أبياتُ قصيدتِه ويُعطَى لكل بيت ألف درهم، فعُدّت فكانت خمسين، فأُعطِي خمسين ألف درهم.

[مدحه المأمون والمطلب بن عبد الله]

قال الأصبهانيّ: وله في المأمون والحسن بنِ سهل خاصة مدائحُ شريفة نادرة، من عيونها قَولُه في المأمون في قصيدة أولُها: [الكامل]

العُذرُ إنْ أَنْصَفْتَ مُتَّضِحُ ... وشَهِيدُ حُبِّكَ أدمعٌ سُفُحُ
فضَحَت ضَمِيرَكَ عن وَدائِعِهِ ... إنّ الجُفونَ نَواطِقٌ فُصُحُ

---

(١) النوء: المطر، وهنا العطاء شبهه بالنوء. والحشد: الذي لا ينقطع ماؤه.

وإذا تَكَلَّمَتِ العُيونُ على إعجامِها فالسِّرُّ مُفتضَح
رُبَّما أَبِيتُ مُعانِقي قَمَرٌ للحُسْنِ فيه مخايل تَضِحُ[1]
نَشَرَ الجَمالُ على مَحاسِنِهِ بِدَعاً وأَذْهَبَ هَمَّه الفَرَحُ
يَخْتالُ في حُلَلِ الشّبابِ به مَرَحٌ ودَاؤُك أنه مَرِحُ
ما زالَ يُلْثِمُني مراشِفَهُ ويَعُلّني الإبريقُ والقَدَحُ
حتى اسْتَرَدَّ اللَّيْلُ خِلْعَتَه ونَشَا خِلالَ سَوادِه وَضَحُ
وَبَدا الصَّباحُ كأن غُرَّتَهُ وَجْهُ الخَليفةِ حين يُمتَدَحُ[2]

يقول فيها: [الكامل]

نَشَرَتْ بك الدُّنيا محاسِنَها وتَزَيَّنَتْ بِصِفاتِكَ المِدَحُ
وكأنَّ ما قد غابَ عَنْكَ له بإزاء طرفكَ عارِضاً شبحُ
وإذا سَلِمتَ فكلُّ حادِثَةٍ جلَلٌ فلا بُؤسٌ ولا تَرَحُ[3]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال: حدّثني أهلُنا أنّ محمد بنَ وُهَيْب قصد المُطَّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعيّ - عمّ أبي - وقد وَليَ الموصِل وكان له صديقاً حفِيّاً[4]، وكان كثيرَ الرِّفد له والثّواب على مدائحه، فأنشدَه قولَه فيه:

صوت

[المتقارب]

دِماءُ المُحِبِّينَ لا تُعْقَلُ أما في الهَوَى حاكِمٌ يَعدِلُ
تَعبَّدني حَوَرُ الغانِياتِ ودَانَ الشَّبابُ له الأَخطلُ
ونَظرةِ عَيْنٍ تَلافَيْتُها غِراراً كما يَنْظُر الأَحولُ
مُقسَّمةٍ بين وَجْهِ الحَبِيـ ـبِ وطَرْفِ الرَّقيبِ متى يَغفُلُ
أَذمُّ على غرباتِ النَّوى إليكَ السُّلُوَّ ولا أذهَلُ
وقالوا عَزاؤُك بعد الفِراقِ إذا حُمَّ مَكْروهُه أجملُ
أَقِيدي دَماً سفَكَتْهُ العُيونُ بإيماضِ كحلاء لا تُكحَلُ

---

(١) تضح: تتضح، تظهر.
(٢) في البيت تشبيه مقلوب، فقد شبه الصباح بوجه الخليفة تاركاً وجه الخليفة أكثر ضياء ونوراً من الصباح.
(٣) جلل: أمر هين، والكلمة من الأضداد.
(٤) الحفيّ: المبالغ في الإكرام والبر وإظهار السرور.

فكُلُّ سِهامِكَ لي مُقْصِدٌ وكُلُّ مواقِعِها مَقْتَلُ[1]
سلامٌ على المَنْزِلِ المُسْتَحِيلِ وإن ضَنَّ بالمَنْطِقِ المنزِلُ
وعَضْب الضَّريبة يَلْقى الخُطوبَ بِجِدٍّ عَنِ الدَّهْرِ لا يَنْكِلُ
تَغَلْغَلَ شَرْقاً إلى مَغْرِبٍ فلمّا تَبَدَّتْ له المَوْصِلُ
ثَوَى حيث لا يُسْتمالُ الأَريبُ ولا يُؤْلَفُ اللَّقِنُ الحُوَّلُ[2]
لَدى مَلِكٍ قابَلَتْهُ السُّعودُ وجانَبَهُ الأَنْجُمُ الأُفَّلُ
لأَيّامُهُ سَطَواتُ الزَّمانِ وإنْعامُهُ حينَ لا مَوْئِلُ
سما مَالِكٌ بك للباهِراتِ وأَوْحَدَكَ المَرْبأُ الأَطْوَلُ
وليس بَعِيداً بأن تَحْتَذِي مذاهِبَ آسادِها الأَشْبُلُ

قال: فوصله وأحسن جائزَته وأقام عنده مدة، ثم استأذنه في الانصراف فلم يأذن له، وزاد في ضيافته وجِراياته وجدّد له صلة، فأقام عنده بُرهة أُخرى، ثم دخل عليه فأنشده: [الطويل]

أَلاَ هل إلى ظِلِّ العَقِيقِ وأَهْلِهِ إلى قَصْرِ أَوْسٍ فَالحزيرِ مَعادُ؟
وهل لي بِأَكْنافِ المُصَلَّى فَسَفْحِهِ إلى السُّورِ مَغْدًى ناعمٌ ومُرادُ؟
فلم تُنْسِني نَهْرَ الأُبُلَّةِ نِيَّةٌ ولا عَرَصاتِ المَرْبِدَيْنِ بِعادُ[3]
هنالك لا تَبْني الكَواعِبُ خَيْمةً ولا تَتَهادى كَلْثَمٌ وسُعادُ
أَجِدِّيَ لا أَلْقَى النَّوَى مُطْمَئِنَّةً ولا يَزْدَهِيني مَضْجَعٌ ومِهادُ

فقال له: أبيتَ إلا الوطنَ والنّزاعَ إليه! ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، وأوقرَ له زَوْرقاً من طُرَف الموْصِل وأذِن له.

حدثني محمد بن يحيى الصُّولي قال: حدثني أبو عبد الله الماقُطانيّ عن عليّ بن الحُسين بن عبد الأعلى، عن سعيد بن وهيب قال: كان المأمونُ كثيراً ما يتمثّل إذا كربَهُ الأمرُ: [الطويل]

ألا رُبَّما ضَاقَ الفَضَاءُ بأهلِه وأمكَن مِنْ بَيْنِ الأسِنَّةِ مَخرَجُ

---

(١) مقصد: مصيب وقاتل.
(٢) اللقن: السريع الفهم.
(٣) العقيق وقصر أوس والحزير والمصلى والأبلة والمربدان: مواضع.

[شعره في ابن عباد]

قال الأصبهانيّ: وهذا الشعر لمحمد بن وُهَيب يقوله في ابن عَبّاد وزيرِ المأمون، وكان له صديقاً، فلما وَليَ الوزارةَ اطَّرحه لانقطاعه إلى الحسنِ بنِ سهْل فقال فيه قصيدة أوَّلُها: [الطويل]

تَكَلَّمَ بالوَحْيِ البَنَانُ المُخَضَّبُ ... ولِلَّه شَكْوى مُعجِمٍ كيف يُعرِبُ؟
أإيماءُ أطرافِ البنانِ وَوَجْهُها ... أبانا له كيف الضَّمِيرُ المُغَيَّبُ؟
وقد كان حُسْنُ الظَّنِّ أنْجَبَ مَرَّة ... فأَحْمَدَ عُقْبى أَمْرِهِ المتَعَقِّبُ
فلما تَدَبَّرَتِ الظُّنونُ مُراقِباً ... تَقَلُّبَ حالَيْها إذا هي تَكذِبُ
بَدَأْتَ بإحسانٍ فلما شَكَرْتُهُ ... تَنكَّرْتَ لي حتى كأنِّيَ مُذْنِبُ
وَكُلُّ فَتًى يَلْقَى الخطوبَ بِعَزْمِهِ ... له مَذْهَبٌ عَمَّن له عنه مَذْهَبُ
وهل يَصْرَعُ الحُبُّ الكريمَ وقَلْبُهُ ... عَلِيمٌ بما يأتي وَما يتجَنَّبُ
تأَنَّيْتُ حتى أوْضَحَ العِلْمُ أنَّني ... مَعَ الدَّهْرِ يَوْماً مُصعدٌ ومُصَوِّبُ
وأَلْحَقْتُ أَعْجازَ الأمورِ صُدُورَها ... وَقَوَّمها غَمْزُ القِداحِ المُقَلِّبُ
وأَيْقَنْتُ أَنَّ البأسَ للعِرضِ صائِنٌ ... وأنْ سَوْفَ أغضِي للقذى حين أرْغَبُ
أغادرتَني بَيْنَ الظُّنونِ مُمَيِّزاً ... شَواكِلَ أَمْرِ بَيْنَهُنَّ مُجَرِّبُ
يُقَرِّبني مَنْ كُنْتُ أُصْفِيكَ دُونَهُ ... بوِدّي وتَنْأَى بي فلا أَتَقَرَّبُ
فلِلَّهِ حَظِّي مِنْكَ كَيْفَ أَضَاعَهُ ... سُلوّك عنِّي وَالأُمورُ تَقَلَّبُ
أَبَعْدَكَ أَسْتَسْقِي بوارِقَ مُزنَةٍ ... وإن جادَ هَطَّالٌ مِنَ المُزْنِ هَيْدَبُ[1]
إذا ما رَأَيْتُ البَرْقَ أغضَيْت دُونَهُ ... وَقُلْتُ إذا ما لاحَ: ذَا البَرْقُ خُلَّبُ[2]
وإن سَنَحَتْ لي فُرْصَةٌ لم أُسامِها ... وَأَعْرَضْتُ عنها خَوْفَ ما أَتَرَقَّبُ
تأَدَّبْتُ عَنْ حُسْنِ الرّجاءِ فَلَنْ أَرَى ... أَعُودُ له إنَّ الزّمانَ مُؤدِّبُ

وقال له أيضاً: [الطويل]

هل الهَمُّ إلا كُربةٌ تتفَرَّج ... لها مُعقِب تُحدَى إليه وَتُزْعَجُ
وَما الدَّهْرُ إلا عائِدٌ مِثْلُ سالِفٍ ... وما العَيْشُ إلا جُدّةٌ ثم تَنْهَجُ[3]

---

(١) الهيدب: السحاب المتدلي الذي يدنو من الأرض وينصب كأنه خيوط متصلة.
(٢) البرق الخلب: الذي لا يتبعه مطر. كأنه يعد ويخلف.
(٣) تنهج: تبلى.

وَكيف أشِيمُ البَرْقَ وَالبَرْقُ خُلَّبٌ وَيُطْمِعُني رَيْعانُه المُتَبَلِّجُ[(١)]
وَكيف أُدِيمُ الصَّبْرَ لا بي ضَراعَةٌ ولا الرِّزْقُ مَحْظورٌ وَلا أنا مُحْرَجُ؟
ألا رُبَّما كان التَّصَبُّرُ ذِلَّةً وَأدْنَى إلى الحالِ التي هي أسْمَجُ
وَهل يَحْمِلُ الهَمَّ الفَتَى وَهْوَ ضامنٌ سُرَى اللَّيلِ رَحّالُ العَشيّاتِ مُدلِجُ[(٢)]
وَلاَ صَبْرَ ما أعْدَى عَلَى الدَّهْرِ مَطْلَبٌ وَأمْكَنَ إدْلاجٌ وَأصْحَرَ مَنْهَجُ[(٣)]
ألا رُبّما ضاقَ الفَضاءُ بأهْلِهِ وَأمْكَنَ مِنْ بَيْنِ الأسِنَّةِ مَخْرَجُ
وَقد يُركَبُ الخَطبُ الذي هو قاتِلٌ إذا لم يَكُنْ إلا عليْه مُعَرَّجُ

[مدحه الأفشين حين قتل بابك]

حدثني بعضُ أصحابنا عن أحمد بن أبي كامل قال: كان محمدُ بنُ وُهَيب تيّاهاً شديد الذّهاب بنفسه، فلمَّا قدم الأَفشِين - وقد قَتَل بابك - مدحَه بقصيدته التي أوَّلها: **[الهزج]**

طُلولٌ ومَغانِيها تُناجِيها وَتَبْكِيها

يقول فيها:

بَعثْتَ الخَيْلَ، والخَيْرُ عَقِيدٌ في نَوَاصِيها[(٤)]

وهي من جَيِّد شعره، فأنشدَناها ثم قال: ما لها عيبٌ سوى أنها لا أُختَ لها.

قال: وأمر المعتصم للشعراء الذين مَدحوا الأفشين بثلاثمائة ألف درهم جرت تفرِقَتُها على يد ابن أبي دُوَاد، فأعطى منها محمدَ بنَ وُهَيْب ثلاثين ألفاً، وأعطى أبا تَمَّام عشرة آلاف درهم. قال ابنُ أبي كامل: فقُلْت لعليّ بن يحيى المُنجِّم: ألا تعجب من هذا الحظّ؟ يُعطَى أبو تمام عشرة آلاف وابنُ وُهَيْب ثلاثين ألفاً، وبينهما كما بيْن السماء والأرض. فقال: لذلك عِلّة لا تعرفها؛ كان ابنُ وُهيب مُؤدّبَ الفتْحِ ابنِ خاقان، فلذلك وَصَل إلى هذه الحال.

---

(١) المتبلِّج: المنير.
(٢) المدلج: السائر آخر الليل أو كلّه.
(٣) أصحر: اتسع.
(٤) عقيد: معقود.

أخبرني محمدُ بنُ يَحْيى الصُّوليّ قال: حدّثني أبو زَكْوان قال: حدثني مَنْ دخل إلى محمد بن وُهَيب يعودُه وهو عليل قال: فسألتُه عن خبره فَتَشَكَّى ما به ثم قال: [الطويل]

نُفُوسُ المَنَايا بالنُّفُوسِ تَشعَّبُ ... وكُلٌّ له من مَذْهَبِ المَوْتِ مَذْهَبُ

نُراعُ لذِكرِ المَوْتِ ساعةَ ذِكْرِهِ ... وتَعتَرِضُ الدُّنيا فَنلْهُو ونلعَبُ

وآجالُنا في كُلِّ يَوْمٍ وليلةٍ ... إلينا على غِرَّاتِنا تتقَرَّبُ

أأيقنَ أنَّ الشَّيْبَ يَنْعَى حياتَهُ ... مُدِرٌّ لأخلافِ الخَطِيئةِ مُذنِبُ

يَقِينٌ كأنَّ الشَّكَّ أغْلَبُ أمْرِهِ ... عليه وعرفانٌ إلى الجَهْلِ يُنْسَبُ

وقد ذَمَّتِ الدُّنيا إلَيَّ نعِيمَها ... وخَاطَبَني إعْجَامُها وهو مُعْرِبُ

ولكنَّني منها خُلِقتُ لغَيْرِها ... وما كُنْتُ منه فهو عندي مُحبَّبُ

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدّثني أحمد بن أبي كامل قال: كنّا في مَجلسٍ ومعنا أبو يوسف الكِنديّ وأحمد بن أبي فَنَن، فتذاكرنا شعر محمد بنَ وُهَيْب فطَعَن عليه ابنُ أبي فنن وقال: هو متكلِّف حَسودٌ، وإذا أنشد شعراً لنفسه قَرّظه[1] ووصفه في نِصْف يوم وشكا أنّه مَظلوم مَنحوس الحظّ وأنّه لا تُقَصّر به عن مراتب القُدَمَاء حالٌ، فإذا أُنشِدَ شعر غيره حَسده، وإن كان على نَبيذ عَرْبد عليه، وإن كان صاحِياً عاداه واعْتَقَد فيه كلَّ مكروه. فقُلت له: كلاكما لي صديق، وما أمْتَنِع من وَصْفِكما جميعاً بالتّقَدُّم وحسن الشعر، فأخبرني عَمَّا أسألُك عنه إخبارَ مُنصِف، أَوَيُعَدّ مُتكلِّفاً مَنْ يقول: [الطويل]

أبَى لِيَ إغضاءَ الجُفونِ على القَذَى ... يَقِينيَ أن لا عُسْرَ إلاَّ مُفرَّجُ

ألا رُبَّما ضاق الفَضاءُ بأهْلِهِ ... وأمْكَنَ مِنْ بَيْنِ الأسِنَّةِ مَخرَجُ؟

أوَيُعَدّ متكلّفاً مَنْ يقول: [الطويل]

رَأَتْ وَضَحاً مِنْ مَفْرِقِ الرَّأْسِ راعَها ... شَرِيحين مُبْيَضٌّ به وبَهيمُ؟

فأمْسك ابنُ أبي فَنن، واندفَع الكِنْديّ فقال: كان ابنُ وُهَيْب ثِنْوِيّاً[2]. فقلتُ له: مِن أينَ عَلمتَ ذاك؟ أكلَّمَك على مَذهب الثَّنْوِيّة قطّ؟ قال: لا، ولكني استدلَلْت

---

(١) قرّظه: مدحه.

(٢) الثنوية: مذهب من مبادئه الإيمان بإلّهي النور والظلمة، وتقديس النار، والعكوف على الملذات.

من شعره على مذهبه، فقُلتُ: حيث يقول ماذا؟ فقال: حَيْث يقول:

طَــلَــلاَنِ طــال عــلــيــهــمــا الأمَــدُ

وحيث يقول:

تــفــتَــرُّ عــن سِــمْــطَــيْــنِ مــن ذَهــب

إلى غير ذلك مما يَسْتَعمِلُه في شعره مِن ذكر الاثنين. فشغَلَني واللَّهِ الضَّحكُ عن جوابه. وقلت له: يا أبا يوسف، مِثلُك لا ينبغي أن يتَكلّم فيما لم يَنفُذ فيه عِلمُه.

أخبرني أحمد بنُ عُبَيد الله بن عَمّار قال: حدَّثني أحمدُ بن سُليمان بن أبي شيخ عن أبيه قال:

سأل محمدُ بنُ وُهَيْب محمدَ بنَ عبد الملك الزَّيّات حاجةً فأبطأ فيها، فوقف عليه ثم قال له: [مجزوء الكامل]

طُــبِــعَ الــكَــريــمُ عــلــى وَفــائِــهْ ... وعَــلَــى الــتَّــفــضُّــل فــي إخــائِــهْ
تُــغْــنِــي عِــنَــايَــتُــه الــصــديــــ ... ــقَ عــنِ الــتَّــعَــرُّضِ لاقْــتِــضــائِــهْ
حَــسْــبُ الــكَــريــمِ حَــيــاؤهُ ... فَــكِــلِ الــكَــريــمَ إلــى حَــيــائِــهْ

فقال له: حَسْبُك فقد بَلَغتَ إلى ما أحبَبْتَ، والحاجَةُ تسبِقُك إلى مَنزلك. وَوَفى له بذلك:

صوت

[الطويل]

وِدِدْتُ على ما كانَ مِنْ سَرَفِ الهَوَى ... وغَيّ الأمـانـي أنّ مـا شِـئـتُ يُـفـعَـلُ
فـتـرجِـعَ أيّـامٌ تَـقـضَّـت ولَـذَّةٌ ... تـولَّـتْ، وهـل يُـثْـنَى مِـن الـدَّهـرِ أوّلُ!

الشعر لمُزاحم العُقَيليّ والغِناء لمقاسة بن ناصح، خفيف رمل بالبنصر عن الهشامِيّ. قال الهِشاميّ: وفيه لأحمد بن يَحيَى المكيّ رمل.

أخبار مزاحم ونسبه

[توفي نحو سنة ١٢٠ هـ/نحو سنة ٧٣٨ م]

[اسمه ونسبه]

هو مُزاحِم بنُ عَمْرو بن الحارِث بن مُصَرِّف بن الأعلم بن خُوَيْلد بن عَوْف ابن عامِر بن عُقَيْل بنِ كَعْبِ بنِ ربيعة بنِ عامر بنِ صعْصَعَة بن مُعاوية بن بَكْر بن هَوازِن. وقيل: مُزاحِم بنُ عَمْرو بن مُرَّة بن الحارث بن مُصَرِّف بن الأعلم، وهذا القول عندي أقرب إلى الصواب.

بدويٌّ شاعر فصيح إسلاميّ، صاحب قصيد ورجز، كان في زمن جرير والفرزدق. وكان جرير يصفه ويقرِّظه ويقدِّمه.

أخبرني محمد بنُ خلف بنِ المَرْزُبان قال: حدثني الفضلُ بنُ محمد قال اليزيديُّ عنِ إسحاق المَوْصِلِيّ قال: قال لي عُمارة بن عُقَيل: كان جريرُ يقول: ما مِن بيتين كنتُ أُحِبّ أن أكون سُبقتُ إليهما غير بيتين من قول مزاحم العُقَيْليّ: **[الطويل]**

وِدِدْتُ على ما كانَ مِنْ سَرَفِ الهَوَى ... وغَيّ الأماني أنّ ما شِئْتُ يُفعَلُ

فترجِعَ أيّامٌ مَضَيْنَ ولَذَّةٌ ... تولَّتْ، وهل يُثْنَى مِن العَيْشِ أوّلُ!

قال المفضّل: قال إسحاق: سَرَفُ الهوى: خطؤه، ومثله قولُ جرير: **[البسيط]**

أعْطَوْا هُنَيْدَةَ تَحْدُوها ثَمانِيَةٌ ... ما في عطائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ[1]

أراد أنهم يحفظون مواضعَ الصنائع، لا أنه وصفهم بالاقتصاد والتوسُّط في الجُود.

---

(١) هنيدة: مائة من الإبل.

قال إسحاق: وواعدَني زيادٌ الأعرابيّ موضعاً من المسجد، فطلبته فيه فلم أجده، فقلت له بعد ذلك: طلبتُك لموعدك فلم أجدك. فقال: أين طلبتَني؟ فقلت: في موضع كذا وكذا، فقال: هناك والله سَرِفْتُك، أي أخطأتُك.

أخبرني محمدُ بنُ مزيد بن أبي الأزهر قال: أنشدني حماد عن أبيه لمزاحم العُقَيْلِيّ قال ـ وكان يستجيدُها ويستحسنُها ـ: [الطويل]

لِصَفْرَاءَ في قَلْبِي مِنَ الْحُبِّ شُعبَة ... حِمًى لم تُبِحْهُ الغانياتُ صَمِيمُ
بها حَلَّ بَيتُ الحُبِّ ثُمَّ ابتَنَى بها ... فبانَتْ بُيوتُ الحَيِّ وهو مُقِيمُ
بَكَت دارُهم مِنْ نَأْيِهم فتهلَّلَت ... دموعي فأيَّ الجازِعِينَ أَلُومُ!
أَمُسْتَعْبِراً يبكِي مِنَ الحُزْنِ والجَوَى ... أَمَ اخَرُ يَبْكي شَجْوَهُ فَيَهِيمُ؟
تَضمَّنه مِنْ حُبِّ صَفْراء بعدما ... سلا هَيَضات الحبِّ فهو كَلِيمُ[1]
ومَنْ يَتَهَيَّضْ حبُّهُنَّ فُؤادَهُ ... يَمُتْ أو يَعِشْ ما عاشَ وهو سَقِيمُ[2]
كحَرَّان صادٍ ذِيدَ عن بَرْد مَشْربٍ ... وعن بَلَلاتِ الرِّيقِ فَهْوَ يَحُومُ[3]

[خطبته ابن عمه ورفض أبيها]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال:

أخبرنا محمد بن حَبِيب عن ابن أبي الدُّنيا العُقَيْليّ ـ قال ابن حبيب: وهو صاحب الكسائيّ وأصحابنا ـ قال: كان مزاحم العقيليّ خطب ابنة عم له دِنْيَةً[4] فمنعه أهلُها لإملاقه[5] وقلة ماله، وانتظروا بها رجلاً مُوسراً[6] في قومها كان يذكرها ولم يحقق، وهو يومئذ غائب. فبلغ ذلك مُزاحماً من فعلِهم، فقال لعمِّه: يا عمِّ، أتقطَع رَحِمِي وتختار عليّ غيري لفضل أباعرَ تحوزُها وطفيفٍ من الحظ تحظى به! وقد علمت أني أقرب إليك من خاطبها الذي تريده، وأفصح منه لساناً، وأجودُ كفّاً، وأمنع جانباً، وأغنى عن العشيرة! فقال له: لا عليك فإنها إليك صائرة، وإنما

(١) الهيضات: جمع هيضة، وهي معاودة الهم والحزن. والكليم: الجريح.
(٢) تهيّضه الحب: عاوده مرة بعد مرة.
(٣) ذِيدَ: دوفع مبني للمفعول من ذاد أي دافع.
(٤) ابنة عمه دنية: أي ابنة عمه أخي أبيه، أي لاصقة النسب.
(٥) الإملاق: الفقر.
(٦) موسراً: ذا يسار وغنى.

أُعَلِّل أمَّها بهذا، ثم يكون أمرها لك. فوثِق به، وأقاموا مدة، ثم ارتحلوا ومزاحم غائب، وعاد الرجل الخاطب لها فذاكروه أمرها، فرغب فيها، فأنكحوه إياها، فبلغ ذلك مزاحماً فأنشأ يقول: [الطويل]

نَزَلتُ بمُفْضَى سَيْلِ حَرْسَيْن والضُّحى ... يَسِيلُ بأطرافِ المخارِمِ آلُها[1]
بمسقِيَّةِ الأجفانِ أنفَدَ دمعَها ... مُقاربةُ الألاَّفِ ثُمَّ زِيالُها
فلما نَهاها اليأسُ أن تُؤنِسَ الحِمَى ... حِمَى البِئرِ جَلَّى عَبْرَة العَيْنِ جالُها
أيا ليلَ إن تَشْحَطْ بك الدارُ غُربَةً ... سوانا ويُعْيِي النَّفسَ فيك احتِيالُها
فكَمْ ثم كَمْ من عَبْرة قد رَدَدتُها ... سَريع على جَيْب القَمِيصِ انهِلالُها
خليليَّ هل من حِيلَة تَعْلَمانها ... يُقرِّب من ليلى إلينا احتِيالُها
فإنَّ بأعْلى الأخشَبَيْن أراكةً ... عَدَتني عنها الحَرْب دانٍ ظِلالُها
وفي فَرْعها لو تُستَطاعُ جَنابُها ... جنىً يجتَنِيه المُجْتَنِي لو يَنالُها
هنِيئاً لليْلَى مُهْجَةٌ ظَفِرَتْ بها ... وتَزْوِيجُ لَيْلَى حينَ حانَ ارتِحالُها
فقد حَبَسُوها مَحْبِس البُدْنِ وابْتَغَى ... بها الرِّبحَ أقوامٌ تَسَاخَفَ مَالُها[2]
فإنَّ مَعَ الرَّكْبِ الذين تحمَّلوا ... غمامةَ صَيْفٍ زَعْزَعَتْها شمالُها

[سجنه وهربه من السجن]

وقال محمد بنُ حَبيب في خَبره، قال ابنُ الأعرابيّ: وقع بين مُزاحم العُقَيْلي وبين رجل من بَني جعْدَة لِحَاءٌ[3] في ماء فتَشاتما وتَضاربا بِعِصِيِّهما، فشجَّه مُزاحم شجَّة أمَّتْه[4]، فاستعدَت بنو جَعْدة على مُزاحم فَحُبِس حبساً طويلاً، ثم هَرَب من السِّجن، فمكَث في قومه مدة، وعُزل ذلك الوالي وولي غيره، فسأله ابنُ عَمّ لمزاحم يقال له مُغلِّس أن يكتب أماناً لمزاحم، فكَتبه له، وجاء مُغلِّس والأمان معه، فَنَفَر مُزاحم منه وظنَّها حِيلةً من السُّلطان، فهَرَب وقال في ذلك: [الطويل]

أتاني بِقرطاسِ الأميرِ مُغَلِّسٌ ... فأفزَعَ قِرطاسُ الأميرِ فُؤادِيَا
فَقُلتُ له: لا مَرْحباً بك مرسلاً ... إلَيَّ ولا لي مِنْ أَمِيرِكَ داعِيَا

---

(١) حَرْسان: مثنى حَرْس. وهما ماءان من مياه بني عقيل بنجد. (معجم البلدان ٢/ ٢٤١).

(٢) تساخف مالها: قلّ مالها ورقّ حالها.

(٣) لحاء: تشاتم وتنازع وجدال.

(٤) أمته: وصلت إلى أم دماغه.

أَلَيْسَتْ جِبالُ القَهْرِ قُعْساً مكانُها ... وعَرْوَى وأجبالَ الوَحَافِ كما هِيا[١]
أخافُ ذُنُوبي أن تُعَدَّ بِبابِهِ ... وما قد أزَلَّ الكاشِحُونَ أمامِيَا[٢]
ولا أَسْتَرِيمُ عُقْبَةَ الأمْرِ بعدما ... تورَّطَ في بهماءِ كَعْبي وساقيا

أخبرني محمد بن مَزْيد، وأحمد بن جعفر جحظة قالا: حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق، عن أبيه قال: كان مُزاحمٌ العُقَيْليّ يهوَى امرأةً من قومه يقال لها مَيَّة، فتزوَّجت رجلاً كان أقربَ إليها من مزاحم، فمر عليها بعد أن دَخَلَ بها زوجُها، فوقَفَ عليها ثم قال: [الطويل]

أيَا شَفَتَيْ مَيٍّ أَمَا مِنْ شَرِيعةٍ ... مِنَ المَوْتِ إلا أنتما تُورِدَانِيَا!
ويا شَفَتَيْ مَيٍّ أما لِي إليكما ... سبيلٌ وهذا الموتُ قد حَلَّ دانِيَا!
ويا شَفَتَيْ مَيٍّ أما تَبذُلانِ لي ... بشيءٍ وإن أعطَيت أهلي وماليا!

فقالت: أعززْ عليّ يابن عمّ بأن تسأل ما لا سَبيل إليه، وهذا أمر قد حِيل دونه، فَالْه عنه. فانصرف.

أخبرني عليُّ بنُ سُلَيمان الأخفشُ قال: حدّثنا محمد بنُ يزيدَ النَّحويّ قال: حدَّثني عُمارة بن عُقَيل قال: قال لي أبي: قال عبد الملك بنُ مروان لجرير: يا أبا حَزْرة، هل تُحب أن يكون لك بشيء من شِعْرك شيءٌ من شِعْر غَيرِك؟ قال: لا، ما أُحِب ذلك، إلا أنَّ غُلاماً يَنْزل الرَّوضاتِ من بلاد بني عُقيل يقال له مُزاحِم العُقيليّ، يقول حَسناً من الشعر لا يقدر أحد أن يقول مثلَه، كنت أحِبّ أن يكون لي بعضُ شِعْره مُقَايَضة ببعض شِعري.

أخبرني محمدُ بنُ الحسنِ بن دُريد قال: حدَّثني عمِّي، عن العبَّاس بن هشام عن أبيه قال: كان مُزاحم العُقَيْليّ يَهوَى امرأةً من قَوْمه يقال لها ليلى، فغَاب غَيْبة عن بلاده، ثم عاد وقد زُوِّجت، فقال في ذلك: [الطويل]

أتانِي بظَهْرِ الغَيْبِ أن قد تَزَوَّجَتْ ... فظلَّتْ بيَ الأرضُ الفضاءُ تدُورُ
وزايَلَني لُبِّي وقد كان حاضِراً ... وكادَ جَنانِي عند ذاكَ يَطِيرُ

---

(١) جبال القهر: جبال في أسافل الحجاز مما يلي نجد من قبل الطائف. (معجم البلدان ٤/ ٤١٨). وعروى: هضبة بشمام (معجم البلدان ٤/ ١١٢). والوحاف: موضع في بلاد هذيل (معجم ما استعجم البكري ٤/ ١٣٧١).

(٢) الكاشحون: جمع كاشح، وهو العدو الذي يخفي عداءه في صدره ولا يظهره.

فَقلت وقد أيقنْتُ أن ليس بَيْنَنا ... تَلاقٍ وعَيْني بالدُّموعِ تَمُورُ
أيا سُرعةَ الأخبارِ حين تَزَوَّجتْ ... فهل يأتِيَنِّي بالطَّلاقِ بَشِيرُ
ولستُ بمُحْصٍ حُبَّ ليلى لسائِلٍ ... مِنَ النَّاسِ إلا أَنْ أقولَ كَثِيرُ

صوت

لها في سَوادِ القَلْبِ تِسعةُ أَسْهُمٍ ... وللناسِ طُرّاً مِنْ هَوَايَ عَشِيرُ(١)

قال ابن الكلبيّ: ومن الناس من يزعُم أَنَّ لَيْلَى هذه التي يَهْواها مُزاحم العُقيليّ هي التي كان يَهْواها المجنون، وأنهما اجتمعا هو ومُزاحم في حُبّها.

قال الأصبهانيّ: وقد أخبرني بشرح هذا الخبر الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بنِ الصّباح عن ابن الكلبيّ قال: كان مُزاحمُ بن مُرّة العُقَيْلي يَهوى امرأة من قُشَير يقال لها ليلى بنت مُوازِر، ويتحدّث إليها مدة حتى شاع أمْرُهما، وتحدّثت جَوارِي الحيِّ به، فنَهاه أهلُها عنها، وكانوا مُتجاوِرين، وشَكَوْه إلى الأشياخ من قومِه فَنَهَوْه واشتدُّوا عليه، فكان يتفَلَّت إليها في أوقات الغَفَلات، فيتحدّثان ويتَشاكيَان. ثم انتجَعَت بنُو قُشَير في ربيع لهم ناحِيَة غير تلك قد نضَّرها غَيْثٌ وأخصبَها، فبَعُد عليه خبرُها واشْتَاقَها، فكان يسأل عنها كلَّ وارد، ويُرسِل إليها بالسلام مع كل صادِر، حتى ورد عليه يوماً راكب من قومِها، فسأله عنها فأخبره أنها خُطِبت فَزُوِّجت، فوجَم طويلاً ثم أجهش باكِياً وقال: [الطويل]

أتاني بظَهْر الغَيْب أنْ قد تَزَوَّجتْ ... فظلَّتْ بي الأرضُ الفَضاءُ تَدُورُ

وذكر الأبيات الماضيةَ. وقد أنشدني هذه القصيدة لمُزاحم ابنُ أبي الأزهر، عن حمّاد، عن أبيه، فأتى بهذه الأبيات وزاد فيها:

وتُنشَر نفسي بعد مَوْتي بِذِكْرِها ... مراراً فموتٌ مرَّة ونُشورُ
عَجَجْت لربي عَجَّة ما مَلَكتُها ... وربّي بذِي الشَّوْقِ الحزينِ بَصِيرُ(٢)
لِيَرْحَمَ ما أَلقَى ويَعْلَمَ أَنّني ... له بالذي يُسدِي إليَّ شَكورُ
لئن كان يُهدي بردُ أنيابها العُلاَ ... لأحْوجَ مِنّي إنَّني لَفَقيرُ

---

(١) عَشِير: جزء من عشرة أجزاء.
(٢) عج الرجل: صاح رافعاً صوته.

[مكانته عند الشعراء]

حدّثني عَمِّي قال: حدّثني أبو أيوب المَدِينيّ قال: قال أبُو عدنان: أخبرنا تميمُ بنُ رافع قال: حُدِّثت أنّ الفرزْدقَ دخل على عبد الملك بن مَروان ـ أو بعضِ بنِيه ـ فقال له: يا فرزْدق، أتعرف أحداً أشعرَ منك؟ قال: لا، إلا غُلاماً من بني عُقَيل، يركب أعجازَ الإبل وَيَنْعت الفَلواتِ فيُجيد، ثم جاءه جرير فسأله عن مِثل ما سأل عنه الفَرزْدق فأجابه بجوابه، فلم يلبَث أن جاءه ذو الرُّمّة فقال له: أنت أشعرُ النَّاس؟ قال: لا، ولكن غلام من بني عُقيل يقال له مُزاحم يسكن الرَّوضات، يقول وَحْشِيّاً من الشعر لا يُقدرُ على مثله، فقال: فأنشدني بعض ما تحفظ من ذلك، فأنشده قوله: [الطويل]

خلِيلَيَّ عُوجَا بِي على الدَّارِ نَسْألِ مَتَى عهدُها بالظَّاعِنِ المُتَرحِّلِ
فعُجتُ وعاجوا فوقَ بَيْداء موَّرتْ بها الرِّيحُ جولانَ التُّرابِ المُنَخَّلِ[1]

حتى أتى على آخرها ثم قال: ما أعرف أحداً يقول قولاً يواصل هذا.

صوت

[الطويل]

أُكذِّب طَرْفي عنكِ في كُلِّ ما أرى وأُسمِع أُذْني منك ما ليس تَسْمَعُ
فلا كَبِدي تَبلَى ولا لكِ رَحمةٌ ولا عنك إقصارٌ ولا فيك مَطْمَعُ
لقِيتُ أموراً فيك لم ألقَ مِثْلَها وأعظمُ منها فيك ما أتوقعُ
فلا تسألِيني في هواكِ زِيادةً فأيْسَرُه يُجزِي وأدناهُ يُقْنِعُ

الشعر لبكر بن النَّطّاح، والغِناء لحسين بن محْرز ثقيل أول بالوُسطى عن الهشاميّ.

---

(١) موّرت: أثارت. والجولان: التراب تجول به الريح.

أخبار بكر بن النطاح ونسبه

[اسمه وكنيته ونسبه]

بكر بنُ النَّطَّاح الحنفيّ. يُكنى أبا وائل، هكذا أخبرنا وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب، وذكر غيره أنه عِجْليٌّ من بني سَعْد بن عِجْل، واحتجَّ مَنْ ذكر أنه عِجْليّ بقوله: [الطويل]

فإن يَكُ جَدُّ القومِ فِهْرَ بن مالِك فجَدِّيَ عِجْلٌ قَرْم بَكْرِ بن وَائِلِ

وأنكر ذلك مَنْ زعم أنه حَنَفيٌّ وقال: بل قال: [الطويل]

فَجَدِّي لُجَيْمٌ قَرْمُ بَكْرِ بنِ وائلِ

وعِجْل بنُ لُجيم وحنيفة بن لُجَيْمٌ أخوان.

وكان بكر بن النطّاح صُعلوكاً يُصيب الطَّريق، ثم أَقصر عن ذلك، فجعله أبو دُلَف من الجُند، وجعل له رِزْقاً سُلطانيّاً، وكان شُجاعاً بطلاً فارساً شاعراً حسن الشِّعر والتصرُّف فيه، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام.

[خبره مع أبي دلف]

فأخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيه قال: حدّثني أبي، قال: قال بكر بنُ النَّطّاح الحنفيّ قصيدتَه التي يقول فيها: [الطويل]

هنيئاً لإخواني ببَغدادَ عِيدُهم وعِيدِي بحُلوانٍ قِراعُ الكَتائِبِ

وأنشدها أبا دُلَف فقال له: إنك لتكثر الوصفَ لنفسك بالشَّجاعة، وما رأيتُ لذلك عندك أثراً قَطّ، ولا فيك! فقال له: أيُّها الأمير وأيّ غناء يكون عند الرجل الحاسِر الأعْزل؟ فقال: أعطوه فرساً وسيفاً وتُرساً ودرعاً ورمحاً، فأعطوْه ذلك أجمع، فأخذه وركب الفرسَ وخرج على وجهه، فلقيه مالٌ لأبي دُلف يُحمل من

بعض ضياعه، فأخذه وخرج جماعةٌ من غلمانه فمانعوه عنه، فجرحهم جميعاً وقَطَعَهم وانهزموا. وسار بالمال، فلم ينزل إلا على عشرين فرْسخاً، فلما اتصل خبرُه بأبي دُلف قال: نحن جَنَينا على أنفسنا، وقد كُنَّا أغنياءَ عن إهاجة أبي وائل، ثم كتب إليه بالأمان، وسوَّغه المالَ، وكتب إليه: صِرْ إلينا فلا ذنْب لك، لأنا نحن كنّا سبب فِعلك بتحريكنا إياك وتحريضنا؛ فرجَع ولم يزل معه يمتدحه، حتى مات.

[خبره مع الرشيد ويزيد بن مزيد]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال: حدثني محمدُ بنُ موسى قال: حدثني الحسنُ ابنُ إسماعيل عن ابن الحَفْصِيّ قال: قال يزيدُ بنُ مَزْيد: وجَّه إليَّ الرشيدُ في وقت يرتاب فيه البريءُ، فلمَّا مثُلت بين يديه قال: يا يزيدُ، مَنِ الذي يقول: [الطويل]

وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنَّا يَعِشْ بحُسامِهِ ... وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنْ سائِرِ النَّاسِ يَسْأَلِ

فقلت له: والذي شرَّفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه. قال: فمن الذي يقول: [الطويل]

وإن يَكُ جَدُّ القَوْمِ فِهْرَ بن مَالِك ... فَجدِّي لُجَيْمٌ قَرْمُ بَكْر بن وائِلِ

قلت: لا والذي أكرمك وشرَّفك يا أمير المؤمنين ما أعرفه. قال: والذي كرَّمني وشرَّفني إنك لتعرفه، أتظن يا يزيد أني إذا أوطأتُك بساطي وشرَّفتُك بصنيعتي أني أحتَمِلك على هذا؟ أوتظن أني لا أُراعي أُمورك وأتقصّاها، وتحسب أنه يخفى عليّ شيءٌ منها؟ والله إن عُيوني لعليك في خلواتك ومشاهدك، هذا جِلْفٌ من أجْلاف ربيعة عدا طورَه وألحق قُريشاً بربيعة فأْتني به. فانصرفتُ وسألتُ عن قائل الشعر، فقيل لي: هو بكر بن النطاح، وكان أحد أصحابي، فدعوتُه وأعلمتُه ما كان من الرشيد، فأمرتُ له بألفي درهم، وأسقطتُ اسمه من الديوان، وأمرتُه ألا يظهر ما دام الرشيدُ حيّاً، فما ظهر حتى مات الرشيد، فلما مات ظهر فألحقتُ اسمَه وزِدتُ في عطائه.

[بعض أخباره وشعره]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع قال: حدّثني محمد بن حمزة العلويّ قال: حدّثني أبو غسّان دَماذ قال: حضرتُ بكرَ بنَ النّطّاح الحنفيّ في منزل بعض الحنفيّين،

وكانت للحنفيّ جاريةٌ يقال لها رامِشْنة، فقال فيها بكر بن النطاح: [السريع]

حيَّتْك بالرَّامِشْنِ رامِشْنَةٌ أحسنُ من رامِشْنَةِ الآسِ
جاريةٌ لم يُقْتَسَمْ بُضْعُها ولم تَبِتْ في بَيْتِ نَخَّاسِ
أفْسَدْتَ إنساناً عَلَى أهلِهِ يا مُفْسِدَ النّاسِ على النّاسِ

وقال فيها: [الطويل]

أُكذِّب طَرْفي عنكِ والطَّرْف صادِقٌ وأُسمِعُ أُذْني منكِ ما لَيْس تَسْمَعُ
ولم أسكُنِ الأرضَ التي تَسْكُنِينَها لكي لا يقولوا صابرٌ ليس يَجْزَعُ
فلا كَبِدي تَبْلَى ولا لَكِ رَحْمَةٌ ولا عَنْكِ إقصارٌ ولا فيكِ مَطْمَعُ
لَقِيتُ أُموراً فيكِ لم ألقَ مثلَها وأعظَمُ منها منكِ ما أتوقَّعُ
فلا تَسْأليني في هَوَاكِ زِيَادة فأيْسَرُهُ يُجْزِي وأدْناهُ يُقْنِعُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، عن عليّ ابن الصبَّاح ـ وأظنه مُرسلاً وأن بينه وبينه ابنَ أبي سَعْد أو غيره، لأنه لم يَسْمع من عليّ بن الصَّباح ـ قال: حدّثني أبو الحسين الراوية، قال لي المأمون: أنشِدْني أشجعَ بيت وأعفَّه وأكرمَه من شِعْر المحدثين، فأنشدته: [الطويل]

ومَنْ يَفْتَقِرْ منّا يَعِشْ بحُسَامِهِ ومَنْ يَفْتَقِرْ مِنْ سائِرِ النَّاسِ يَسْألِ
وإنّا لنَلْهُو بالسُّيوفِ كما لَهَتْ عَروسٌ بعِقْدٍ أو سِخابِ قَرَنْفُلِ[1]

فقال: ويحكَ! مَنْ يقول هذا؟ فقلتُ: بكْرُ بنُ النطّاح، فقال: أحسن والله، ولكنه قد كَذَب في قوله، فما بالُه يسأل أبا دُلَف ويمتدحُه وينتجِعُه! هلاّ أكل خُبزَه بسَيْفه كما قال!

أخبرني الحسَن بن عليّ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدّثني أبو الحسن الكَسْكَرِيُّ قال: بَلَغني أن أبا دُلَف لَحِق أكراداً قَطَعوا الطّريق في عمله، وقد أردَف منهم فارسٌ رفِيقاً له خَلْفه، فطَعنهما جميعاً فأنفذهما، فتحدّث الناسُ بأنه نَظَم بطعنة واحدة فارِسَيْن على فرس، فلما قَدِم من وجهه دخَلَ إليه بكْرُ بن النَّطّاح فأنشده:

صوت

قالوا: ويَنْظِمُ فارسَيْنِ بطَعْنَةٍ يَوْمَ اللِّقاءِ ولا يَراهُ جَلِيلاَ

(١) سخاب قرنفل: عقد من قرنفل.

لا تَعْجَبوا فَلَو أنّ طُولَ قَناتِهِ ميلٌ إذاً نَظَمَ الفوارسَ ميلا

قال: فأمر له أبو دُلَف بعشرة آلاف درهم، فقال بَكْرٌ فيه: [الطويل]

له راحةٌ لو أن مِعْشارَ جُودِها على البَرِّ كان البَرُّ أندى مِنَ البَحْرِ
ولو أنّ خَلْقَ اللّه في جِسْم فارِسٍ وبارزَه كان الخَلِيَّ مِنَ العُمْرِ
أبا دُلَفٍ بُورِكْتَ في كُلِّ بَلْدةٍ كما بُورِكَتْ في شهْرِها لَيلةُ القَدْرِ

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عَمّار، وعيسى بنُ الحسين قالا: حدّثنا يعقوبُ ابنُ إسرائيل قال: حدّثني أبو زائدة، قال: كان بكْرُ بن النّطّاح الحنفيّ يتعشّق غُلاماً نَصرانيّاً ويُجَنُّ به، وفيه يقول: [البسيط]

يا مَنْ إذا دَرَس الإنْجيلَ كان له قَلْبُ التَّقِيِّ عَنِ القُرآنِ مُنْصَرِفا
إنِّي رأَيتُكَ في نَوْمي تُعانِقُني كما تُعانِقُ لامُ الكاتِبِ الألِفا

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال: حدّثني الحسن بن عبد الرحمٰن الرَّبعيّ قال: كان بكرُ بنُ النّطّاح يأتي أبا دُلَف في كل سَنة، فيقول له: إلى جَنْب أرضِي أرضٌ تُباع وليس يحضُرني ثمنُها، فيأمر له بخمسة آلاف درهم ويُعطِيه ألفاً لنفقته. فجاءه في بعض السنين فقال له مِثْل ذلك، فقال له أبو دُلَف: ما تَفْنَى هذه الأَرَضُون التي إلى جانب ضَيْعتك! فَغَضِب وانصرف عنه، وقال: [المنسرح]

يا نفسُ لا تجزَعي من التّلَفِ فإن في الله أعظَمَ الخَلَفِ
إن تَقْنَعي باليَسِيرِ تَغْتَبِطي ويُغْنِكِ الله عن أبي دُلَفِ

قال: وكان بَكْر بنُ النَّطاح يأتي قُرَّة بنَ مُحرِز الحنفيّ بكرْمان فيعطيه عشرة آلاف درهم. ويُجرِي عليه في كل شهر يقيم عنده ألفَ درهم، فاجتاز به قُرّة يوماً وهو ملازم في السّوق وغُرماؤه يُطالبونه بدَين، فقال له: ويحك! أما يكْفيك ما أُعطيك حتى تستدين وتُلازم في السّوق! فغضب عليه وانصرف عنه وأنشأ يقول:

[الوافر]

ألا يا قُرّ لا تَكُ سَامِرِيّاً فتَتْركَ مَنْ يَزُورك في جِهادِ[1]

(١) السامري: نسبة إلى السامري، وهو من قوم موسى عليه السلام الذي جعل من الذهب عجلاً وعبده وعبده بعض بني إسرائيل.

أتـعـجـب أنْ رأيـتَ عَـلَـيَّ دَيْـنـاً ... وقـد أودَى الـطَّـرِيـفُ مـع الـتِّـلادِ
مـلأتُ يَـدِي مِـنَ الـدُّنـيـا مِـراراً ... فـمـا طَـمِـعَ الـعَـوَاذِلُ فـي اقْـتِـصـادي
ولا وَجَـبَـتْ عَـلَـيَّ زَكـاةُ مـالٍ ... وهـل تَـجِـبُ الـزّكـاةُ عـلـى جَـوَادِ!

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيَد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه قال: كنت يوماً عند عليّ بن هشام، وعنده جماعة فيهم عُمارة بن عُقَيْل، فحدّثْتُه أنّ بَكْر بنَ النطّاح دخل إلى أبي دلف وأنا عنده، فقال لي أبو دلف: يا أبا محمد أنشدني مديحاً فاخراً تَسْتطرِفه، فبدَر إليه بَكْرٌ وقال: أنا أُنشدك أيها الأميرُ بَيْتين قلتُهما فيك في طريقي هذا إليك وأُحكِّمك، فقال: هاتِ، فإن شَهد لك أبو محمد رَضِينَا، فأنشده: [الوافر]

إذا كـانَ الـشِّـتـاءُ فـأنـتَ شَـمْـسٌ ... وإن حَـضَـرَ الـمَـصِـيـفُ فـأنـتَ ظِـلُّ
ومـا تَـدْرِي إذا أَعْـطَـيْـتَ مـالاً ... أتُـكْـثِـرُ فـي سَـمـاحِـكَ أم تُـقِـلُّ

فقلت له: أحسنَ والله ما شاء ووجبت مكافأته، فقال: أما إذ رضيتَ فأعطوه عشرة آلاف درهم، فحُمِلتْ إليه، وانصرفت إلى منزلي، فإذا أنا بعشرين ألفاً قد سبقت إليّ، وجّه بها أبو دلف. قال: فقال عُمارة لعليّ بن هشام: فقد قلت أنا في قريب من هذه القصّة: [الطويل]

ولا عَـيْـبَ فـيـهـم غـيـرَ أنَّ أكـفَّـهـم ... لأموالـهـم مِثْلُ السِّنينِ الحَواطِم[1]
وأنـهـمُ لا يُـورِثُـونَ بَـنِـيَّـهُـم ... ـ وإن وَرِثُوا خَيْراً ـ كُنوزَ الدَّراهِم

أخبرني عمّي قال: حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال: حدّثني أبو تَوْبة قال: كان مَعْقِل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطّاح، وكان بكر فاتِكاً صُعلوكاً، فكان لا يزال قد أحدَث حادثة في عمل أبي دلف، أو جنى جِناية، فيَهُمّ به فيقوم دونه معقل حتى يَتَخَلَّصه، فمات مَعقِلٌ فقال بكر بن النطاح يرثيه بقوله: [الطويل]

وحـدَّث عـنـه بـعـضُ مَـنْ قـالَ إنَّـه ... رَأتْ عَـيـنُـهُ فـيـمـا تَـرَى عَـيْـنُ حـالِـمِ
كـأنَّ الـذي يَـبْـكـي عـلـى قَـبْـرِ مَـعْـقِـلٍ ... ولـم يَـرَهُ يَـبـكـي عـلـى قَـبْـرِ حـاتِـم
ولا قَـبْـرِ كَـعْـبٍ إذْ يَـجـودُ بـنَـفْـسِـهِ ... ولا قَبْرِ حِلْفِ الجُودِ قَيْسِ بنِ عاصِم
فـأيـقَـنـتُ أنَّ الـلّـه فَـضَّـلَ مَـعْـقِـلاً ... عـلـى كُلِّ مَذْكُورٍ بَفَضْلِ الـمَكَـارِمِ

(١) السنين الحواطم: الشديدة القاسية القاحلة.

أخبرني عمّي قال: حدّثنا الكرانِيّ قال: حدّثني العُمَرِيّ قال: كان بكْرُ بن النّطّاح الحنفيّ أبو وائل بخيلاً، فدخل عليه عَبّاد بن المُمزِّق يوماً، فقدّم إليه خُبْزاً يابساً قليلاً بلا أُدْم، ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع، فقال عَبّادٌ يهجوه: [السريع]

مَنْ يَشْتَرِي مِنّي أبا وائِلٍ بكرَ بنَ نَطّاحٍ بفَلْسَيْنِ؟
كأنما الآكِلُ مِنْ خُبزِهِ يأكُلُهُ مِنْ شَحْمَةِ العَيْنِ

قال: وكان عَبّاد هذا هَجّاءً ملعوناً، وهو القائل:

أنا المُمزّقُ أعراضَ اللِّئامِ كما كان المُمزِّقُ أَعْراضَ اللِّئامِ أبي

أخبرني عمّي قال: حدّثنا أبو هِفّان قال: كان بكْرُ بن النّطّاح قصد مالك بنَ طَوْقٍ فمدحه، فلم يرض ثوابَه، فخرج من عنده وقال يَهْجوه: [المتقارب]

فليتَ جَدَا مالكٍ كُلَّه وما يُرتجى منه مِنْ مَطْلَبِ[1]
أُصِبْتُ بأَضْعافِ أضعافِهِ ولم أنتَجِعْهُ ولم أرغَبِ
أسأْتُ اخْتِياريَ منك الثّوابَ لِيَ الذّنبُ جَهْلاً ولم تُذنِبِ

وكتَبها في رقعة وبعث بها إليه، فلما قرأها وَجّه جماعة من أصحابه في طلبه، وقال لهم: الويْلُ لكم إن فاتكم بَكْر بنُ النَّطّاح، ولا بد أن تَنْكفِئوا على أثره ولو صار إلى الجَبل! فلَحِقوه فردُّوه إليه، فلما دخل دارَه ونظر إليه قام فتلقاه وقال: يا أخي، عَجِلْتَ علينا وما كُنّا نقتصر بك على ما سلف وإنما بعَثْنا إليك بنفقة، وعوّلنا بك على ما يتلوها، واعتذر كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه، ثم أعطاه حتى أرضاه، فقال بَكْرُ بن النَّطّاح يمدحه: [الطويل]

أقولُ لمُرتادٍ ندى غيرِ مالِكٍ كفى بَذْلَ هذا الخلقِ بعضُ عِداتِه
فَتًى جادَ بالأموالِ في كُلِّ جانبٍ وأنْهَبَها في عَوْدِهِ وبَداتِه
فلو خَذَلَتْ أموالُهُ بذْلَ كَفِّه لقاسَمَ مَنْ يَرجُوهُ شَطْرَ حَياتِه
ولو لم يَجِدْ في العُمْرِ قِسمةَ مالِهِ وجاز له الإعْطاءُ مِنْ حَسناتِه
لَجادَ بها من غَيْرِ كُفْرٍ بِرَبِّه وشارَكَهم في صَوْمِهِ وصَلاتِه

فَوَصله صِلة ثانية لهذه الأبيات، وانصرف عنه راضِياً.

هكذا ذكر أبو هِفّان في خبره وأحسَبه غلطاً، لأن أكثر مدائحِ بَكْر بن النَّطّاح

---

(١) الجدا: العطاء.

في مالك بن عليّ الخُزاعيّ ـ وكان يتولَّى طريق خُراسان ـ وصار إليه بكر بن النَّطاح بعد وفاة أَبي دُلَف ومدحه، فأحسن تَقَبُّلَه وجعله في جُنده، وأَسنَى له الرّزق، فكان معه، إلى أن قَتَله الشُّراة بحُلوان، فرثاه بكْرٌ بعدّة قصائد هي من غُرر شعره وعيونه.

[رثاؤه مالك بن علي الخزاعي]

فحدَّثني عمِّي قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر، عن أبي وائِلَةَ السَّدُوسِيّ قال: عاثت الشُّراةُ بالجبل عَيْثاً شديداً، وقتلوا الرجال والنساء والصِّبيان، فخرج إليهم مالكُ بنُ عليّ الخُزاعِيّ وقد وردُوا حُلوان، فقاتلهم قِتالاً شديداً فهزمهم عنها، وما زال يَتْبَعُهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها: حُدَّان[1]، فقاتلوه عندها قِتالاً شديداً، وثبت الفريقان إلى الليل حتى حجز بينهم، وأصابت مالكاً ضربةٌ على رأسه أثبتته[2]، وعُلِمَ أنه ميِّت، فأَمر بردِّه إلى حُلوان، فما بلغها حتى مات، فدفن على باب حلوان، وبُنيت لقبره قُبَّةٌ على قارعة الطريق، وكان معه بكر بنُ النَّطّاح يومئذٍ، فأبلى بَلاءً حسناً، وقال بَكْر يرثيه: [السريع]

يـا عَيْـنُ جُـودِي بـالـدُّموعِ السّـجامْ ... عـلـى الأمـيـر الـيـمـنـيّ الـهُـمـامْ
عـلـى فَـتَـى الـدّنـيـا وصِـنـديـدِهـا ... وفـارس الـدِّيـنِ وسَـيْـفِ الإمـامْ
لا تَـدْخَـرِي الـدَّمْـعَ عـلـى هـالـكٍ ... أيْـتَـم إذ أودى جَـمِـيـعَ الأنـامْ
طـابَ ثَـرَى حُـلـوانَ إذ ضُـمِّـنَـتْ ... عِـظـامَـهُ، سَـقْـيـاً لـهـا مِـنْ عِـظـامْ
أغـلِـقَـتِ الـخَـيـراتُ أبـوابَـهـا ... وامـتَـنَـعـت بـعـدَك يـابـنَ الـكِـرامْ
وأصـبـحَـتْ خَـيْـلُـكَ بـعـد الـوَجَـا ... والغَزو تَشكُو منك طُولَ الجَمامْ[3]
ارحَـلْ بـنـا نَـقـرُبْ إلـى مـالـكٍ ... كـيـمـا نُـحـيِّـي قَـبـرَهُ بـالـسّـلامْ
كـان لأهـلِ الأرضِ فـي كَـفِّـهِ ... غِـنًـى عَـنِ الـبـحـرِ وصَـوْبِ الـغَـمـامْ
وكـان فـي الـصُّبح كَـشَـمْـسِ الضُّحى ... وكـان فـي الـلَّـيْـل كـبَـدْرِ الـظّـلامْ
وسـائـلٍ يـعـجَـبُ مِـنْ مـوتِـهِ ... وقـد رآه وهـو صَـعْـبُ الـمَـرامْ
قُـلـتُ لـه عَـهْـدِي بـه مُـعـلِـمـاً ... يَـضْـرِبُـهـم عـنـد ارْتِـفـاعِ الـقَـتـامْ
والـحَـرْبُ مَـنْ طـاولـهـا لـم يَـكـدْ ... يُـفـلـتُ مِـنْ وَقْـعِ صـقـيـلٍ حُـسـامْ

---

(١) حُدّان: إحدى محالّ البصرة القديمة (معجم البلدان ٢/٢٢٧).
(٢) أثبته: قتله، أماته.
(٣) الوجى: الحفا.

لـم يـنـظُـرِ الـدَّهـرُ لـنـا إذ عـدا عـلـى رَبـيـع الـنّـاسِ فـي كـلّ عـامْ
لـن يَـسْـتَـقِـيـلـوا أبـداً فـقـدَهُ مـا هَـيَّـج الـشَّـجْـوَ دُعـاءُ الـحَـمـامْ[1]

قال: وقال أيضاً يرثيه: [الكامل]

أيُّ امـرئٍ خَـضَـبَ الـخـوارجُ ثـوبَـهُ بِـدَمٍ عَـشِـيَّـةَ راحَ مِـنْ حُـلْـوانِ
يـا حُـفْـرةً ضـمَّـتْ مـحـاسِـنَ مـالِـكٍ مـا فـيـكِ مـن كَـرَمٍ ومـن إحـسـانِ
لَـهْـفـي عـلـى الـبَـطَـلِ الـمُـعـرِّضِ خَـدَّهُ وجـبـيـنَـهُ لأسِـنَّـةِ الـفُـرسـانِ
خَـرَقَ الـكـتـيـبـةَ مُـعـلـمـاً مُـتَـكَـنِّـبـاً والـمُـرهـفـاتُ عـلـيـه كـالـنّـيـرانِ
ذهـبـت بَـشـاشَـةُ كـلّ شـيءٍ بـعـده فـالأرضُ مُـوحِـشـةٌ فـلا عُـمـرانِ
هَـدَمَ الـشُّـراةُ غَـداةَ مَـصْـرعِ مـالـكٍ شَـرَفَ الـعُـلا ومـكـارمَ الـبُـنـيـانِ
قَـتَـلـوا فـتـى الـعـربِ الـذي كـانـت بـه تَـقْـوى عـلـى الـلَّـزبـاتِ فـي الأزمـانِ[2]
حـرمـوا مَـعَـدّاً مـا لـديـه وأوقَـعُـوا عـصـبِـيَّـةً فـي قَـلـب كُـلّ يَـمـانـي
تَـركُـوهُ فـي رَهَـجِ الـعَـجـاجِ كـأنـه أَسَـدٌ يَـصـولُ بـسـاعِـدٍ وبَـنـانِ[3]
هَـوتِ الـجُـدودُ عـن الـسُّـعـودِ لـفـقـدهِ وتـمـسَّـكـتْ بـالـنَّـحْـسِ والـدَّبَـرَانِ[4]
لا يَـبْـعَـدَنّ أخُـو خُـزاعـةَ إذ ثَـوَى مـسـتَـشْـهِـداً فـي طـاعـةِ الـرَّحـمٰـن
عَـزَّ الـغُـواةُ بـه وذَلَّـت أُمـةٌ مَـحْـبُـوَّةٌ بـحـقـائـقِ الإيـمـانِ
وبَـكـاهُ مُـصـحَـفُـهُ وصَـدْرُ قَـنـاتِـهِ والـمُـسـلـمـونَ ودَوْلَـةُ الـسُّـلـطـانِ
وغَـدَتْ تُـعَـقَّـر خَـيـلُـهُ وتُـقَـسِّـمَـتْ أدراعُـهُ وسَـوابِـغُ الأبـدانِ
أَفـتُـحْـمَـد الـدُّنـيـا وقـد ذَهَـبَـتْ بِـمَـنْ كـان الـمُـجِـيـرَ لـنـا مـن الـحَـدَثَـانِ!

[شوقه إلى بغداد]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال: أنشدني أبو غسّان دماذ لبكر بن النَّطّاح يتشوَّق بغدادَ وهو بالجبل يومئذٍ: [المتقارب]

نَـسِـيـمُ الـمُـدام وبَـرْد الـسَّـحـرْ هـمـا هـيَّـجـا الـشّـوقَ حـتـى ظَـهَـرْ
تـقـولُ: اجـتَـنِـبْ دارَنـا بـالـنّـهـارِ وزُرْنـا إذا غـابَ ضـوءُ الـقَـمَـرْ

---

(١) الشجو: الحزن.
(٢) اللّزبات: جمع لزبة، وهي الشدة، أو القحط.
(٣) العجاج: الغبار. والرهج: ما أثير منه.
(٤) الجدود: الحظوظ. والسعود: كواكب. والدبران: منزل للقمر يشتمل على خمسة كواكب في برج الثور.

فـإنّ لـنـا حَـرَسـاً إن رأوْكَ نَـدِمْـتَ وأُعـطُـوا عـلـيـك الظَّـفَـرْ
وكـم صَـنَـعَ الـلّـه مـن مـرَّةٍ عـلـيـهـم وقـد أُمِـرُوا بـالـحَـذرْ
سَـقـى الـلّـه بـغـدادَ مـن بـلـدةٍ وسـاكـنَ بَـغْـدادَ صَـوْبَ الـمَـطَـرْ
ونُـبِّـئْـتُ أنّ جَـوارِي الـقُـصُـو رِ صَـيَّـرن ذِكْـرِي حـديـثَ الـسَّـمَـرْ
ألا رُبَّ سـائـلـةٍ بـالـعـرا قِ عُـنّـي وأخـرى تُـطِـيـلُ الـذِّكَـرْ
تـقـولُ: عَـهِـدْنـا أبـا وائِـلٍ كـظَـبْـي الـفَـلاةِ الـمَـلِـيـح الـحَـوَرْ
لـيـالـيَ كـنـتُ أزورُ الـقِـيـانَ كـأنَّ ثِـيـابِـي بَـهـارُ الـشَّـجَـرْ[1]

حدّثني جعفرُ بنُ قُدامة قال: حدَّثني ميمون بنُ هارون قال: كان بَكْر بنُ النَّطّاح يَهوَى جارية من جَوارِي القيان وتَهْواه، وكانت لبعض الهاشِمِيّين، يقال لها دُرّة، وهو يذكُرها في شعره كثيراً، وكان يَجْتَمع معها في منزل رجُل من الجُند من أصحاب أبي دُلَف يقال له: الفرْز، فسَعى به إلى مولاها، وأعلمه أنه قد أفسدَها وواطَأها على أن تهرُب معه إلى الجبل، فمنعه من لقائها وحَجَبه عنها، إلى أن خرج إلى الكَرَج مع أبي دُلَف، فقال بكر بن النَّطّاح في ذلك: [الخفيف]

أهـلُ دَارٍ بـيـن الـرُّصـافـة والـجِـسْـرِ أطـالـوا غَـيْـظـي بـطُـول الـصُّـدودِ
عـذَّبـونـي بـبُـعْـدِهـم وابْـتَـلَـوا قَـلْـ ـبـي بـحُـزْنـيـنِ: طـارِفٍ وتَـلِـيـدِ
مـا تَـهُـبُّ الـشَّـمـالُ إلا تَـنَـفَّـسْـ ـتُ وقـال الـفُـؤَادُ لـلـعَـيْـنِ: جُـودي
قـلَّ عـنـهـم صَـبْـري ولـم يـرحَـمُـونـي فـتـحـيَّـرت كـالـطَّـريـدِ الـشّـريـدِ
وَكَـلَـتْـنـي الأيـامُ فـيـكِ إلـى نـفـسِـ ـي فـأعـيَـيْـتُ وانـتـهـى مَـجْـهـودِي

وقال فيها أيضاً وفيه غناء من الرمل الطنبوريّ: [السريع]

الـعَـيـنُ تُـبْـدِي الـحُـبَّ والـبُـغْـضـا وتُـظـهِـر الإبـرامَ والـنَّـقْـضـا
دُرَّةُ مـا أنـصـفْـتِـنـي فـي الـهـوى ولا رَحِـمْـتِ الـجَـسَـدَ الـمُـنْـضَـى[2]
مـرَّت بـنـا فـي قُـرطُـق أَخْـضَـرٍ يـعـشَـق مـنـهـا بَـعـضُـهـا بَـعْـضـا
غَـضْـبَـى ولا واللهِ يـا أهـلَـهـا لا أشـرَبُ الـبـارِدَ أو تَـرْضَـى
كـيـف أطـاعَـتْـكـم بـهَـجْـرِي وقـد جَـعـلْـتُ خَـدّيَّ لـهـا أرْضـا!

وقال فيها أيضاً وفيه رمل طنبوري: [المنسرح]

صـدَّتْ فـأمـسـى لِـقـاؤُهـا حُـلـمـاً واسـتـبـدلَ الـطـرفُ بـالـدُّمـوع دَمـا

(١) البهار: نبت طيب الرائحة. (٢) المنضى: المضنى، الهزيل.

وسلَّطت حُبَّها على كَبِدي ... فأبدَلتْني بِصِحَّةٍ سَقَما
وصِرْتُ فرداً أبكِي لفُرْقَتِها ... وأقْرَعُ السِّنَّ بَعْدَها نَدَما
شَقَّ عليها قَوْلُ الوُشاةِ لها ... أصْبَحْتِ في أمْرِ ذا الفَتَى عَلَما
لولا شَقائي وما بُلِيتُ به ... مِنْ هَجْرِها ما اسْتَتَرْتُ ما اكتُتِما
كم حاجةٍ في الكتاب بُحتُ بها ... أبكيتُ منها القِرطاسَ والقَلَما

وقال فيها أيضاً، وفيه رمل لأبي الحَسَن أحمد بن جعفر جَحْظَة: [السريع]

بَعُدتِ عني فتغيَّرتِ لي ... وليس عندي لكِ تَغْييرُ
فَجدِّدي ما رَثَّ من وَصْلنا ... وكُلُّ ذَنْبٍ لك مَغْفورُ
أُطَيِّب النَّفْسَ بكتمانِ ما ... سارت به من غدْرِكِ العِيرُ
وَعدُكِ يا سَيِّدتي غرَّني ... منك ومَن يَعْشَقُ مَغْرورُ
يَحزُنُني عِلمِي بنَفْسي إذا ... قال خَليلي أنتَ مَهْجورُ
يا لَيْتَ مَن زَيَّنَ هذا لها ... جارَتْ لنا فيه المَقاديرُ
ساقِي النَّدامَى سَقِّها صاحِبي ... فإنني وَيْحك مَعْذورُ
أأشرَبُ الخَمْرَ على هَجْرِها ... إني إذاً بالهَجْرِ مَسْرورُ!

وفيها يقول وقد خرج مع أبي دُلَف إلى أصبهان: [الكامل]

يا ظبيةَ السِّيبِ التي أحْبَبْتُها ... ومَنحتُها لُطفِي ولِينَ جَناحِي
عَينايَ باكِيتانِ بعدَكِ للّذي ... أوْدَعْتِ قلبي مِن نُدوبِ جِراحِ
سَقْياً لأحمدَ من أخٍ ولِقاسِمٍ ... فَقَدا غُدوِّي لاهِياً ورَوَاحِي
وتَردُّدِي من بَيت فَرْزٍ آمِناً ... من قُربِ كُلِّ مُخالِفٍ ومُلاحِي
أيامَ تَغبِطُني المُلوكُ ولا أرى ... أحداً له كتدلُّلي ومَراحِي
تَصِفُ القِيانُ إذا خلونَ مجانَتِي ... ويَصِفْنَ للشَّربِ الكرامِ سماحِي

ومما يُغنَّى فيه من شعر بَكْرِ بن النَّطّاح في هذه الجارية قوله:

صوت

[الكامل]

هل يُبتَلى أحدٌ بمِثْلِ بلِيَّتي ... أم ليس لي في العالَمين ضَرِيبُ؟
قالت عَنانُ وأبصرتْنِي شاحباً: ... يا بَكْرُ مالكَ قد عَلاك شُحوبُ؟
فأجبتُها: يا أختُ لم يَلْقَ الذي ... لاقيتُ إلا المُبْتَلَى أيُّوبُ
قد كنتُ أَسْمَعُ بالهوى فأظُنُّهُ ... شَيْئاً يَلَذُّ لأهْلِهِ ويَطِيبُ

حتى ابتُلِيتُ بحُلْوِهِ وبمُرِّهِ ... فالحُلْوُ منه للقلوبِ مُذيبُ
والمُرُّ يَعجِزُ مَنْطِقي عن وَصْفِهِ ... للمُرِّ وصفٌ يا عَنانُ عَجيبُ
فأنا الشّقِيّ بحُلْوِهِ وبمُرِّهِ ... وأنا المُعَنَّى الهائِمُ المَكروبُ
يا دُرَّ حالَفَكِ الجَمالُ فَما لَه ... في وَجْه إنسانٍ سِواكِ نَصيبُ
كُلُّ الوُجوهِ تَشابَهتْ وَبَهَرْتِها ... حُسْناً فَوَجهُكِ في الوُجوهِ غريبُ
والشَّمْسُ يغرُبُ في الحِجابِ ضِياؤُها ... عنّا ويُشْرِقُ وَجهُكِ المَحْجوبُ

ومما يُغنَّى فيه من شِعْرِه فيها أيضاً: [الكامل]

غَضِب الحبيبُ عَلَيَّ في حُبّي له ... نَفْسي الفِداءُ لِمُذْنِبٍ غَضْبانِ
ما لي بما ذَكَرَ الرّسولُ يدانِ بل ... إن تَمّ رأيُكَ ذَا خَلَعْتُ عِناني
يا مَنْ يَتُوقُ إلى حَبيبٍ مُذنبٍ ... طاوعْتَهُ فَجزاكَ بالعِصْيانِ
هلاّ انتحرتَ فكنتَ أولَ هالكٍ ... إن لم يَكُن لك بالصُّدودِ يَدانِ
كنّا وكُنْتُم كالبَنانِ وَكَفِّها ... فالكفُّ مفردَةٌ بغَيْرِ بَنانِ
خُلِق السُّرورُ لمَعْشرٍ خُلِقوا له ... وخُلِقْتُ للعَبَراتِ والأحزانِ

صوت

ليتَ شِعْري أأَوّلُ الهَرْجِ هذا ... أم زَمانٌ من فِتْنَةٍ غَيْرِ هَرْجِ[(١)]
إن يَعِشْ مُصعَبٌ فَنَحْنُ بخَيْرٍ ... قد أتانا مِنْ عَيْشِنا ما نُرَجِّي
ملِكٌ يُطْعِمُ الطَّعامَ ويَسْقِي ... لَبَنَ البُخْتِ في عِساسِ الْخَلَنْجِ[(٢)]
جَلَبَ الخَيْلَ مِنْ تِهامَةَ حتّى ... بلَغَتْ خَيْلُهُ قُصُورَ زَرَنْجِ[(٣)]
حيث لم تأْتِ قَبْلَهُ خَيْلُ ذِي الأكـ ... ـتافِ يُوجِفْنَ بينَ قُفٍّ ومَرْجِ[(٤)]

عروضه من الخفيف. الشعر لعبيد اللّه بن قيس الرُّقيات، والغناء ليُونُس الكاتب ماخوري بالبنصر، وفيه لمالك ثاني ثقيل بالخنصر في مَجْرى البنصر عن إسحاق.

---

(١) الهرج: الفتنة والاختلاط.

(٢) البخت: الإبل الخراسانية. والعساس: جمع عُسّ، وهو القدح الكبير. والخلنج: شجر تصنع من خشبه القصاع والآنية.

(٣) زرنج: مدينة هي قصبة سجستان. (معجم البلدان ٣/١٣٨).

(٤) ذو الأكتاف: هو سابور بن هرمز، قاتل العرب ونزع أكتاف من قتلهم.

مقتل مصعب بن الزبير

[٢٦ - ٧٧ هـ/ ٦٤٧ - ٦٩٠ م]

وهذا الشعر يقوله عُبَيْد الله بن قَيْس لمُصْعَب بن الزّبير لما حَشَدَ للخروج عن الكُوفة لمُحاربة عبد الملك بن مَرْوان. وكان السبب في ذلك، فيما أجاز لنا الحَرَمِيّ بن أبي العلاء روايته عنه، عن الزُّبير بن بَكار، عن المدائني قال:

لما كانت سنة اثنتين وسبعين، استشار عبدُ الملك بن مروان عبدَ الرحمٰن بنَ الحكم في المسير إلى العراق ومُناجزة[1] مُصْعَب، فقال: يا أمير المؤمنين، قد واليتَ بين عامين تغزو فيهما وقد خَسِرت خيلُك ورجالُك، وعامُك هذا عامٌ حاردٌ فأرحِ نفسك ورَجِلَك ثم ترى رأيك. فقال: إني أُبادر ثلاثة أشياء، وهي أنّ الشام أرضٌ بها المال قليل فأخاف أن ينفد ما عندي، وأشرافُ أهل العراق قد كاتبوني يدعونني إلى أنفسهم، وثلاثةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ قد كبروا ونفِدت أعمارُهم، وأنا أُبادِر بهم الموتَ أُحبّ أن يحضُروا معي.

ثم دعا يَحيَى بن الحكم ـ وكان يقول: مَن أراد أمراً فليُشاور يحيى بن الحكم فإذا أشار عليه بأمر فليعمل بخلافه. فقال: ما ترى في المسير إلى العراق؟ قال: أرى أن ترضى بالشام وتقيم بها وتدع مُصعباً بالعراق، فلعن الله العراق! فضحك عبدُ الملك. ودعا عبدَ الله بن خالد بن أسيد فشاوره، فقال: يا أمير المؤمنين قد غزوتَ مرة فنصرك الله، ثم غزوتَ ثانية فزادك الله بها عِزاً، فأقم عامَكَ هذا.

فقال لمحمد بن مروان: ما ترى؟ قال: أرجو أن ينصُرك الله أقمتَ أم غزوتَ، فشَمِّر فإن الله ناصرك. فأمر الناسَ فاستعدوا للمسير، فلما أجمع عليه

---

(١) المناجزة: المبارزة، القتال.

قالت عاتكةُ بنتُ يزيد بنِ مُعاوية زوجته: يا أمير المؤمنين وجِّه الجُنودَ وأقم، فليس الرأيُ أن يُباشر الخليفةُ الحرب بنفسه، فقال: لو وجَّهتُ أهلَ الشام كُلّهم فعلِم مُصعَب أنّي لَستُ معهم لهلك الجيشُ كله، ثم تمثل: [الطويل]

ومُسْتَخبِرٍ عنّا يُرِيدُ بنا الرَّدَى ومُستَخبراتٍ والعُيونُ سواكِبُ

ثم قدَّم محمدَ بن مَرْوان ومعه عبد الله بن خالد بن أسيد وبِشْرَ بن مروان، ونادى مُناديه: إن أمير المؤمنين قد استعمل عليكم سيّد الناس محمد بن مروان. وبلغ مُصعبَ بن الزبير مسيرُ عبد الملك، فأراد الخُروجَ فأبى عليه أهلُ البصرة وقالوا: عدوُّنا مُطِلٌّ علينا ـ يعنون الخوارج ـ فأرسل إليهم بالمهلّب وهو بالموْصل، وكان عاملَه عليها، فولاّه قتالَ الخوارج، وخرج مُصعب فقال بعض الشعراء: [الرجز]

أكُلَّ عامٍ لكَ با جُمَيْرا تَغزُو بنا ولا تُفِيد خَيْرا

[القتال بين عبد الملك ومصعب بن الزبير]

قال: وكان مُصعب كثيراً ما يخرُج إلى با جَميرا يريد الشام ثم يرجع، فأقبل عبد الملك حتى نزل الأخنونيّة ونزل مُصعب بمَسْكِن إلى جنب أوانا وخَنْدَق خَنْدقاً ثم تحول ونزل دير الجَاثَلِيق[1] وهو بمسكن، وبين العسكرين ثلاثة فراسخ ـ ويقال فرسخان ـ فقدّم عبد الملك محمداً وبشراً أخويه وكلُّ واحدٍ منهما على جيش والأميرُ محمد، وقدّم مُصعبٌ إبراهيمَ بنَ الأشتر، ثم كتب عبد الملك إلى أشرافِ أهلِ الكوفة والبصرة يدعُوهم إلى نفسه ويمنِّيهم، فأجابوه وشرطُوا عليه شروطاً، وسألوه ولاياتٍ، وسأله ولايةَ أصبهان أربعون رجلاً منهم، فقال عبد الملك لمن حضره: ويْحكم! ما أصبهان هذه! تعجُّباً ممن يطلبها، وكتب إلى إبراهيمَ بن الأشتر: لك ولايةُ ما سقى الفراتُ إن تبعتني. فجاء إبراهيمُ بالكتاب إلى مصعب فقال: هذا كتاب عبد الملك، ولم يَخُصُصني بهذا دون غيري من نظرائي، ثم قال: فأطعني فيهم، قال: أصنع ماذا؟ قال: تدعوهم فتضرب أعناقَهم. قال: أقتُلهم على ظن ظننته! قال: فأوقِرْهم حديداً وابعثْ بهم إلى أرض المدائن حتى تَنقضيَ الحرب، قال: إذاً تفسد قلوبُ عشائرهم، ويقول الناس: عبث مصعب بأصحابه. قال: فإن لم تفعل فلا تمدّني بهم فإنهم كالمومسة تريد كل يوم خليلاً، وهم يريدون كل يوم أميراً.

---

(١) با جميرا، والاخنونية، ومسكن وأوانا، ودير الجاثليق: مواضع. (انظر معجم البلدان).

أرسل عبد الملك إلى مُصعَب رجلاً يدعوه إلى أن يجعل الأمر شورى في الخلافة، فأبى مُصعَب، فقدّم عبد الملك أخاه محمداً ثم قال: اللّهم انصر محمداً - ثلاثاً - ثم قال: اللّهم أنصر أصلحنا وخيرنا لهذه الأمة. قال: وقدّم مُصعَب إبراهيمَ بن الأشتر، فالتفت المقدمتان وبين عسكر مُصعَب وعسكر ابن الأشتر فرسخ، ودنا عبد الملك حتى قرب من عسكر محمد، فتناوشوا، فقُتل رجل على مقدمة محمد يقال له فراس، وقُتِل صاحب لواء بشر وكان يقال له أُسَيد، فأرسل محمد إلى عبد الملك أنَّ بشراً قد ضيَّع لواءه. فصرف عبدُ الملك الأمر كله إلى محمد، وكفّ الناسُ وتواقفوا، وجعل أصحابُ ابن الأشتر يهمّون بالحرب ومحمد بن مروان يكف أصحابه، فأرسل عبدُ الملك إلى محمد: ناجِزْهم، فأبى، فأوفد إليه رسولاً آخر وشتمه، فأمر محمد رجلاً فقال له: قف خلفي في ناس من أصحابك فلا تَدَعَنّ أحداً يأتيني من قِبَل عبد الملك. وكان قد دَبّر تدبيراً سديداً في تأخير المناجزة إلى وقت رآه فكره أن يُفسِد عبد الملك تدبيره عليه، فوجّه إليه عبدُ الملك عبدَ الله بن خالد بن أسيد، فلما رأوْه أرسلوا إلى محمد بن مرْوان: هذا عبد الله بن خالد بن أسيد، فقال: رُدُّوه بأشد ممّا رددتم مَنْ جاء قبله، فلما قرب المساء أمر محمدُ بنُ مَرْوان أصحابه بالحرب، وقال: حرِّكوهم قليلاً، فتهايج الناس، ووجه مُصعَب عتّاب بنَ ورقاءَ الرِّياحيّ يُعَجِّز إبراهيم، فقال له: قد قلت له: لا تُمِدّنِي بأحد من أهل العراق فلم يقبل، واقْتَتَلوا، وأرسل إبراهيم بن الأشتر إلى أصحابه - بحضرة الرسول ليرى خلافَ أهل العراق عليه في رأيه - ألا تنصرفوا عن الحرب حتى ينصرف أهلُ الشام عنكم، فقالوا: ولم لا ننصرف؟ فانصرفوا وانهزم الناس حتى أتوا مصعباً. وصبر إبراهيم بن الأشتر فقاتل حتى قُتل. فلما أصبحوا أمر محمد بن مروان رجلاً فقال: انطلق إلى عسكر مصعب فانظر كيف تراهم بعد قتل ابن الأشتر، قال: لا أعرف موضع عسكرهم، فقال له إبراهيم بن عديّ الكنانيّ: انطلق فإذا رأيت النخل فاجعله منك موضع سيفك، فمضى الرجل حتى أتى عسكر مصعب، ثم رجع إلى محمد فقال: رأيتهم منكسرين. وأصبح مصعب فدنا منه، ودنا محمد بن مروان حتى التقوا، فترك قوم من أصحاب مصعب مصعباً وأتوا محمد بن مروان، فدنا إلى مصعب ثم ناداه: فداك أبي وأمي، إن القوم خاذِلوك ولك الأمان، فأبى قبولَ ذلك، فدعا محمدُ بن مروان ابنَه عيسى بن مصعب، فقال له أبوه: انظر ما يريد محمد، فدنا منه فقال له: إني لكم ناصح؛ إن القوم خاذِلوكم ولك ولأبيك الأمان، وناشدَه. فرجع إلى أبيه فأخبره، فقال: إني

أظن القوم سيَفون، فإن أحببت أن تأتيَهم فأْتِهم، فقال: والله لا تتحدث نساء قريش أني خذلتك ورغبت بنفسي عنك، قال: فتقدم حتى أحتسبك، فتقدم وتقدم ناس معه فقُتل وقُتلوا، وترك أهل العراق مصعباً حتى بقي في سبعة.

[مقتل مصعب]

وجاء رجل من أهل الشام ليحتز رأس عيسى، فشد عليه مصعب فقتله، ثم شد على الناس فانفرجوا، ثم رجع فقعد على مِرفقة ديباج، ثم جعل يقوم عنها ويحمل على أهل الشأم فيفرِجون عنه، ثم يرجع فيقعد على المرفقة، حتى فعل ذلك مراراً، وأتاه عبيد الله بن زياد بن ظَبْيان فدعاه إلى المبارزة، فقال له: اَعزُب[1] يا كلب، وشد عليه مصعب فضربه على البيضة فهشمها وجرحه، فرجع عبيد الله فعصّب رأسه، وجاء ابن أبي فَرْوة كاتبُ مصعب فقال له: جُعلتُ فداك، قد تركك القوم وعندي خيل مضمَّرة فاركبها وانج بنفسك، فدفع في صدره وقال: ليس أخوك بالعبد. ورجع ابن ظَبْيان إلى مصعب، فحمل عليه، وزرق[2] زائدة بن قدامة مصعباً ونادى: يا لثارات المختار! فصرعه، وقال عبيد الله لغلام له: احتَزَّ رأسه، فنزل فاحتز رأسه، فحمله إلى عبد الملك، فقال: إنه لما وضعه بين يديه سجد. قال ابن ظَبيان: فهممت والله أن أقتله فأكون أفتكَ العرب، قتلتُ ملكين من قريش في يوم واحد، ثم وجدت نفسي تنازعني إلى الحياة فأمسكت.

قال: وقال يزيد بن الرِّقاع العامِليّ أخو عديّ بن الرقاع وكان شاعر أهل الشام: [الطويل]

نَحْنُ قَتَلْنا ابنَ الحواريِّ مُصْعَباً ... أخَا أسدٍ والمَذْحِجيَّ اليمانيا

يعني ابن الأشتر، قال:

ومَرَّتْ عُقابُ المَوْتِ منا بمُسْلمٍ ... فأهْوَتْ له ظُفْراً فأصبَحَ ثاويا

قال الزبير: ويروى هذا الشعر للبَعِيث اليَشْكُرِيّ، ومسلم الذي عناه هو مسلم بن عمرو الباهليّ.

---

(١) اعزب: اغرب، ابتعد.

(٢) زرقه: رماه بالمزراق، وهو رمح قصير أخف من العنزة.

[مقتل مسلم بن عمرو الباهلي]

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدّثنا محمد بن الحكم، عن عَوانةَ قال: كان مسلم بن عمرو الباهليّ على ميسرة إبراهيم بن الأشتر، فطُعن وسقط فارتُثَّ[1]، فلما قُتل مصعب أرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية أن يطلب له الأمانَ من عبد الملك، فأرسل إليه: ما تصنع بالأمان وأنت بالموت؟ قال: ليسلَم لي مالي ويأمن ولدي. قال: فحمل على سرير فأُدخل على عبد الملك بن مروان، فقال عبد الملك لأهل الشام: هذا أكفر الناس لمعروف، ويحك أكفرتَ معروفَ يزيد بن معاوية عندك؟ فقال له خالد: تُؤمِّنه يا أمير المؤمنين، فأمَّنه، ثم حُمل فلم يبرح الصَّحْنَ حتى مات، فقال الشاعر: **[الطويل]**

نَحْنُ قَتَلْنا ابنَ الحَوارِيّ مُصْعَباً أخا أَسَدٍ والمَذْحِجِيَّ اليمانيا

حدّثنا محمد بن العباس قال: حدثنا أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنيّ قال: قال رجل لعبيد الله بن زياد بن ظَبْيان: بماذا تحتجّ عند الله عز وجل من قتلك لمصعب؟ قال: إن تُركتُ أحتجّ رجوتُ أن أكون أخطب من صَعْصَعَة بن صُوحان.

[بين مصعب وسكينة بنت الحسين]

وقال مصعب الزبيريّ في خبره: قال الماجشون: فلما كان يوم قَتْل مصعب دخل إلى سُكَينة بنت الحسين عليه السلام فنزع عنه ثيابه، ولبس غِلالة[2] وتوشح بثوب، وأخذ سيفه، فعلمت سُكينة أنه لا يريد أن يرجع فصاحت من خلفه: واحُزناه عليك يا مصعب، فالتفت إليها وقد كانت تخفي ما في قلبها منه، فقال: أَوَكُل هذا لي في قلبك! فقالت: أي والله، وما كنت أُخفي أكثر، فقال: لو كنت أعلم أن هذا كله لي عندك لكانت لي ولك حال، ثم خرج ولم يرجع.

قال مصعب: وحدثني مصعب بن عثمان أن مصعب بن الزبير لما قدمت عليه سُكينة أَعطى أخاها عليَّ بن الحسين عليهما السلام ـ وهو كان حملها إليه ـ أربعين ألف دينار. قال مصعب: وحدثني معاوية بن بكر الباهليّ قال: قالت سُكينة: دخلتُ على مصعب وأنا أحسن من النار الموقدة. قال: وكانت قد ولدت منه بنتاً، فقال

(١) ارتث: حمل من المعركة جريحاً وفيه رمق.
(٢) الغلالة: شعار يلبس تحت الثوب، وتحت الدرع.

لها سميها زَبْراء، فقالت: بل أُسميها باسم بعض أُمهاتي، فسمتها الرَّباب.

قال: فحدثني محمد بن سلام، عن شعيب بن صخر، عن أُمه سُعْدة بنت عبد الله بن سالم قالت: لقيتُ سُكينةَ بنت الحسين بين مكة ومِنًى فقالت: قفي يا بنتَ عبدِ الله، ثم كشفت عن ابنتها فإذا هي قد أثْقَلَتْها باللؤلؤ. فقالت: والله ما ألبسْتها إياه إلا لتفضحه، قال: فلما قُتل مصعب وَلِيَ أمرَ ماله عروةُ بن الزبير، فزوّج ابنَه عثمانَ بن عروة ابنةَ أخيه من سكينة وهي صغيرة فماتت قبل أن تبلغ، فورث عثمان بن عروة منها عشرة آلاف دينار. قال: ولما دخلت سُكَينة الكوفةَ بعد قتل مصعب خطبها عبدُ الملك فقالت: والله لا يتزوجني بعده قاتِله أبداً. وتزوجت عبدَ اللَّه بن عثمان بن عبد اللَّه بن حكيم بن حِزام، ودخلتْ بينها وبينه رَمْلَةُ بنت الزبير أُخت مصعب حتى تزوجها خوفاً من أن تصير إلى عبد الملك، فولدت منه ابناً فسمته عثمان ـ وهو الذي يُلقَّب بقرين ـ ورُبَيحة بنت عبد الله بن عثمان؛ فتزوج رُبَيْحَة العباسُ بن الوليد بن عبد الملك.

[رثاء عبيد الله بن قيس الرقيات مصعباً]

ثم مات عبد الله بن عثمان عنها فتزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فقال عبيد الله بن قيس الرقيات يرثي مصعباً:

صوت

[مجزوء الكامل]

إن الـــرَّزِيَّـــة يَـــوْمَ مَـــسْـــكِـــنَ ... والـمُـصِـيـبَـةَ والـفَـجِـيـعَـهْ

بـــابـــن الـــحـــواريّ الـــذي ... لـم يَـعْـده يَـوْمُ الـوَقِـيـعَـهْ

غَـــدَرتْ بـــه مُـــضَـــرُ الـــعِـــرا ... ق وأمْـكَـنَـتْ مـنـه رَبِـيـعَـهْ

تَـــالـــلَّـــه لـــو كـــانَـــتْ لـــه ... بـالـدَّيْـرِ يَـوْمَ الـدَّيـرِ شِـيـعَـهْ

لـــوجَـــدْتُـــمُـــوهُ حـــيـــنَ يُـــد ... لِـجُ لا يُـعـرِّسُ بـالـمَـضِـيـعَـهْ

غنّاه يونس الكاتب من كتابه، ولحنه خفيف رمل بالوُسطى، وفيه لمُوسى شَهواتٍ خفيف رمل بالبِنْصر عن حَبَش، وقيل: بل هو هذا اللحن، وغلَط من نسبه إلى موسى.

وقال عديّ بن الرِّقاع العامليّ يذكُر مقتلَه:

[المتقارب]

لَعَمْرِي لقد أَصْحَرَتْ خيلُنا بأكنافِ دِجْلَةَ للمُصْعَبِ[١]
يَهُزّون كُلَّ طويلِ القنا ةِ مُعْتَدِلِ النَّصْلِ والثَّعلبِ[٢]
فِداؤُك أُمّي وأبناؤُها وإنْ شَئْتَ زِدتُ عليهم أَبي
وما قلتُها رَهبَةً إنما يَحُلُّ العِقابُ على المُذْنِبِ
إذا شَئْتُ دافعْتُ مُسْتَقْتلاً أُزاحِمُ كالجَمَلِ الأَجْرَبِ
فَمَنْ يَكُ منّا يَبِتْ آمِناً ومَنْ يَكُ مِنْ غيرِنا يَهرُبِ

غنّاه معبد من رواية إسحاق ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى.

وقال ابن قيس يرثي مُصعَباً: [الطويل]

لقد أورَثَ المِصْرَيْن خِزْياً وذِلَّةً قتيلٌ بدَيْرِ الجاثَليقِ مُقِيمُ[٣]
فما قاتَلتْ في اللَّهِ بَكْرُ بنُ وائِلٍ ولا صَبَرَتْ عند اللِّقاءِ تَميمُ
ولكنه رامَ القِيامَ ولم يَكُنْ لها مُضَرِيٌّ يَوْمَ ذاك كَرِيمُ

[مصعب يسأل عن قتل الحسين عليه السلام]

قال الزبير: وكان مصعب لمّا قدم الكوفَة يسأل عن الحسين بن عليّ عليه السلام وعن قتله، فجعل عروةُ بنُ المغيرة يحدّثه عن ذلك، فقال متمثلاً بقول سُليمان بن قَتّة: [الطويل]

فإن الأُلى بالطَّفِّ مِنْ آلِ هاشمٍ تأَسَّوْا فسَنُّوا للكِرامِ التَّأَسِّيا[٤]

قال عروة: فَعلِمت أن مُصْعباً لا يفرّ أبداً.

قال الزبير: وقال أبو الحكم بن خلاد بن قُرَّة السّدُوسيّ: حدثني أبي قال: لما كان يوم السَّبَخة[٥] حين عَسْكر الحجاج بإزاء شبيبٍ الشاري قال له الناس: لو تنحّيت أيها الأمير عن هذه السّبخة؟ فقال لهم: ما تنحُّوني ـ والله ـ إليه أنتنُ، وهل

(١) أصحرت: برزت في الصحراء.
(٢) الثعلب: طرف الرمح في أسفل السنان.
(٣) المصران: الكوفة والبصرة.
(٤) الطف: أرض من ناحية الكوفة فيها استشهد الحسين بن علي عليهما السلام. (معجم البلدان ٤/ ٣٦).
(٥) السبخة: موضع بالبصرة. (معجم البلدان ٣/ ١٨٣).

ترك مصعبُ لكريم مَفَرّاً؟ ثم تمثّل قولَ الكَلْحَبَة: [الطويل]

إذا المَرْءُ لم يَغْشَ المكارِهَ أوشَكَتْ حِبالُ الهُوَيْنَى بالفتى أن تَقَطَّعَا

[خطبة عبد الله بن الزبير بعد مقتل أخيه مصعب]

قال الزبير: وحدّثني المدائنيّ عن عَوَانَةَ والشّرقيُّ بن القطاميّ عن أبي جَنابٍ قال: لما أتى عبدَ الله بن الزبير قتلُ مصعب أضرب عن ذكره أياماً حتى تحدثت به إماءُ مكة في الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم، فنظرتُ إليه والكآبة على وجهه، وجبينُه يرشَحُ عرقاً، فقلت لآخر إلى جنبي: ما له لا يتكلم؟ أتُراه يَهاب المنطق؟ فوالله إنه لخطيب، فما تُراه يهاب؟ قال: أراه يريد أن يذكر قتلَ مصعب سَيّدِ العرب فهو يفْظَعُ لذكره، وغيرُ ملوم، فقال: الحمد الله الذي له الخلق والأمر ومالك الدنيا والآخرة، يُعِزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء، ألا إنه لم يَذِلّ والله من كان الحق معه وإن كان مفرداً ضعيفاً، ولم يَعِزّ من كان الباطل معه، وإن كان في العُدّة والعَدد والكثرة، ثم قال: إنه قد أتانا خَبرٌ من العراق بلدِ الغدر والشقاق فساءَنا وسرّنا، أتانا أن مصعباً قُتل رحمة الله عليه ومغفرته؛ فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لذعة يجدها حميمُه عند المصيبة، ثم يرعَوِي من بعد ذو الرأي والدين إلى جميل الصبر. وأما الذي سرّنا منه فإنا قد علمنا أن قتله شهادة له وأن الله عز وجل جاعل لنا وله ذلك خِيرةً إن شاء الله تعالى. إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن كانوا يأخذونه منه وأخسَرِه، أسلموه إسلاَمَ النَّعَم المُخَطَّم، فقُتِل، ولئن قتل لقد قتل أبوه وعمه وأخوه وكانوا الخيارَ الصالحين، إنا والله ما نموت حَتْف أنوفنا، ما نموت إلا قَتْلاً، قَعْصاً بين قِصَد الرِّماح وتحت ظلال السّيوف وليس كما يموت بنو مروان، والله ما قتل رجلٌ منهم في جاهلية ولا إسلام قط، وإنما الدنيا عاريةٌ من المَلِك القهار، الذي لا يزول سلطانه، ولا يبيد ملكه، فإن تُقبِل الدنيا عليّ لا آخذُها أخْذ الأشِر البطرِ، وإن تُدبِر عني لا أبْكِ عليها بكاء الخرِف المُهْتَر. ثم نزل.

[رجل من بني أسد يرثي مصعباً]

وقال رجلٌ من بني أسد بن عبد العزّى يرثي مُصعباً: [الطويل]

لَعَمْرُكَ إنّ المَوْتَ منا لمُولَعٌ بِكُلِّ فَتَى رَحْبِ الذّراعِ أَرِيبِ

فإنْ يَكُ أَمْسَى مُصْعَبٌ نالَ حَتْفَهُ ... لقد كانَ صُلْبَ العُودِ غيرَ هَيُوبِ
جميلَ المُحَيَّا يُوهِنُ القِرْنَ غَرْبُهُ ... وإن عَضَّهُ دهْرٌ فَغَيْرُ رَهُوبِ
أتاه حِمامُ المَوْتِ وَسْطَ جُنودِهِ ... فطاروا شِلالاً واسْتَقى بِذَنُوبِ[١]
ولو صَبروا نالُوا حُباً وكرامةً ... ولكنَّهم وَلَّوْا بغيرِ قُلوبِ[٢]

قال: وقال عبد الملك يوماً لجلسائه: من أشجع الناس؟ فأكثروا في هذا المعنى، فقال: أَشجعُ الناس مُصعبُ بنُ الزبير، جمع بين عائشة بنتِ طلحة وسُكَينَة بنت الحسين وأمَة الحَمِيد بنت عبد الله بن عاصم، وولي العراقين[٣]، ثم زحف إلى الحرب، فبذلتُ له الأمانَ والحِباء والولاية والعفو عمَّا خلص في يده، فأبى قبول ذلك، واطرح كل ما كان مشغوفاً به من ماله وأهله وراء ظهره، وأقبل بسيفه قَرِماً[٤] يقاتل وما بقي معه إلا سبعةُ نفر حتى قُتل كريماً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شبّة قال: لمّا وَلِي مُصعبُ ابنُ الزبير العراقَ أقرّ عبد العزيز بن عبد الله بن عامر على سِجِسْتان وأمدّه بخيل، فقال ابنُ قيس الرُّقَيّات: **[الخفيف]**

لَيتَ شِعْري أَأَوَّلُ الهَرْجِ هذا ... أم زَمانٌ مِنْ فِتْنَةٍ غَيْرِ هَرْجِ؟
إنْ يَعِشْ مُصْعَبٌ فنحنُ بِخَيْرٍ ... قد أتانا من عَيْشنا ما نُرَجّي
أُعطِيَ النّصرَ والمهابةَ في الأعداءِ ... حتى أتَوْه مِنْ كُلِّ فجِّ
حيث لم تَأْتِ قَبْلَهُ خَيْلُ ذي الأكـ ... ـتافِ يوجِفْنَ بين قُفٍّ ومَرجِ
مَلِكٌ يُطْعِمُ الطّعامَ ويَسْقي ... لَبَنَ البُخْتِ في عِساسِ الخَلَنْجِ

قال الزبير: حدَّثني عمّي مصعب أن عبيد الله بن قيس كان عند عبد الملك، فأقبل غِلمان له معهم عِساس خَلَنْج فيها لبن البخت، فقال عبد الملك: يابن قيس، أين هذا من عِساس مصعب التي تقول فيها: **[الخفيف]**

مَلِكٌ يُطْعِمُ الطّعامَ ويَسْقي ... لَبَنَ البُخْتِ في عِساسِ الخَلَنْجِ

(١) شلالاً: متفرقين.

(٢) الحبا: جمع حبوة، وهي العطية.

(٣) العراقان: البصرة والكوفة.

(٤) القرم: الشديد الرغبة في القتال.

فقال: لا أين يا أمير المؤمنين، لو طرحتَ عِساسَك هذه في عُسٍّ من عساس مصعب لوَسِعها وتَغلغلت في جوفه، فضحك عبد الملك ثم قال: قاتلك الله يا بنَ قيس، فإنك تأبَى إلا كرماً ووفاءً.

[يونس الكاتب والوليد بن يزيد]

حدّثني عمّي قال: حدّثني أحمد بن الطيب قال: قال لي أحمد بن إبراهيم ابن إسماعيل بن داود: خرج يونس الكاتب من المدينة يُريد الشام بتجارة، فبلغ الوليدَ بن يزيد مكانُه فأتته رُسُله وهو في الخان، وذلك في خلافة هشام، والوليدُ يومئذ أميرٌ، فقالوا له: أجِب الأميرَ، قال: فذهبتُ معهم، فأدخلوني عليه ولا أدري من هو إلا أنه حسنُ الوجه نبيل، فسلمت عليه، فأمرني بالجلوس فجلست، ودعا بالشراب والجواري، فكنَّا يومَنا وليلتنا في أمر عجيب، وغنيتُه فأعجبه غنائي، وكان ممّا أعجبه:

لَـيْـتَ شِـعْـرِي أَأَوَّل الـهَـرْجِ هـذا أم زَمـانٌ مِـنْ فِـتْـنـةٍ غَـيْـرِ هَـرْجِ؟

فلم يزل يستعيده إلى الصبح، ثم اصطبح عليه ثلاثة أيام، فقلت: أيها الأمير، أنا رجل تاجر قدمتُ هذا البلدَ في تجارة لي، وقد ضاعت، فقال: تخرج غداً غُدْوةً وقد رَبِحت أكثرَ من تجارتك! وتَمَّم شُربه. فلما أردتُ الانصراف لحقني غلام من غلمانه بثلاثة آلاف دينار، فأخذتها ومضيت، فلما أفضت الخلافة إليه أتيتُه، فلم أزل مقيماً عنده حتى قُتِل.

قال أحمد بن الطيب: وذكر مُصْعب الزُّبَيْريّ أنّ يونس قال: كنتُ أشربُ مع أصحاب لي فأردت أن أبُول، فقمت وجلست أبُولُ على كثيب رمل، فخطر ببالي قولُ ابنِ قَيْس:

لـيـت شـعـري أَأَوَّل الـهَـرْج هـذا

فغنيت فيه لحناً استحسنتُه وجاء عجباً من العجب، فألقيتُه على جاريتي عاتكة، وردّدته حتى أخذتْه، وشاع لي في الناس، فكان أولَ صوت شاع لي وارتفع به قَدْري وقُرِنتُ بالفُحول من المغنّين، وعاشرت الخلفاء من أجله، وأكسبني مالاً جليلاً.

صوت

ألا نـادِ جِـيـرانَـنـا يَـقـصِـدُوا فـنَـقْـضـي الـلُّـبـانَـةَ أو نَـعْـهـدُ
كـأَنَّ عـلـى كَـبـدِي جَـمْـرةً حِـذاراً مِـنَ الـبَـيْـنِ مـا تَـبْـرُدُ

الشعر لكُثَيِّر، والغناء لأشْعَب المعروف بالطمع، ثاني ثقيل بالوُسْطى، وفي البيت الثاني لابن جامع لحن من الثقيل الأول بالبنصر عن حَبَش.

ذكر أشعب وأخباره

[اسمه وكنيته ونسبه]

هو أشعَب بنُ جُبَير، واسمه شُعَيب، وكُنْيَتُه أبو العلاء، كان يقال لأمه: أم الخَلَنْدَج، وقيل: بل أم جميل، وهي مولاة أسماء بنت أبي بكر واسمها حُمَيدة. وكان أبوه خرج مع المختار بن أبي عُبَيْد، وأسره مُصْعب فضرب عنقه صَبْراً[1]، وقال: تخرج عليّ وأنت مولاي؟ ونشأ أشعَب بالمدينة في دور آل أبي طالب، وتَوَلّتْ تربيتَه وكَفَلَتْه عائشةُ بنت عثمان بن عفان.

وحُكي عنه أنه حكى عن أمه أنها كانت تُغري بين أزواج النبيﷺ، وأنها زَنَت فَحُلِقت وطِيف بها، وكانت تنادي على نفسها: من رآني فلا يَزْنين، فقالت لها امرأة كانت تطّلع عليها: يا فاعلة، نهانا الله عزّ وجل عنه فعصيناه، أوَ نطيعك وأنت مجلودة محلوقة راكبة على جمل!.

وذكر رَضْوان بن أحمد الصَّيْدلانِيّ فيما أجاز لي روايته عنه، عن يوسف بن الداية، عن إبراهيم بن المهدي، أن عُبَيْدة بن أشْعَب أخبره - وقد سأله عن أوّلهم وأصلهم - أن أباه وجدّه كانا مَوْلَيَيْ عثمان، وأن أمه كانت مولاة لأبي سفيان بن حرب، وأن ميمونَة أُم المؤمنين أخذتها معها لمّا تزوجها النبيﷺ، فكانت تدخل إلى أزواج النبيﷺ فيستَظرِفْنها، ثم إنها فارقت ذلك وصارت تنقل أحاديثَ بعضهن إلى بعض وتغري بينهن، فدعا النبيُّﷺ عليها فماتت.

وذكروا أنه كان مع عثمان - رضي الله عنه - في الدار، فلما حُصِر جرَّد مماليكُه السيوفَ ليقاتلوا، فقال لهم عثمان: من أغمد سيفه فهو حُرٌّ، قال أشعَبُ: فلما وقعتْ والله في أذني كنتُ أولَ من أغمد سيفه، فأُعتِقتُ.

---

(١) قتل صبراً: حبس حتى قتل.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثني إسحاق الموصليّ قال: حدّثني الفضل بن الرَّبيع قال: كان أشعبُ عند أبي سنة أربع وخمسين ومائة، ثم خرج إلى المدينة فلم يلبث أن جاء نعيُه. وهو أشعَبُ بن جُبَير، وكان أبوه مولى لآل الزُّبَيْر، فخرج مع المختار، فقتله مُصْعَب صبراً مع من قتل.

أخبرني الجوهريّ قال: حدّثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدّثنا أحمد بن إسماعيل اليزيديّ قال: حدّثني التَّوَزيّ، عن الأصمعيّ قال: قال أشعب: نشأت أنا وأبو الزّناد في حِجْر عائشة بنت عثمان، فلم يزل يعلوا وأسفل حتى بلغنا هذه المنزلة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال: حدّثنا الزّبير بن بكّار قال: حدثنا عبيد الله بن الحسن والي المأمون على المدينة قال: حدثني محمد بن عثمان بن عفان قال: قلت لأشعب: لي إليك حاجة، فحلف بالطلاق لابنة وَرْدان: لا سألتُه حاجة إلا قضاها، فقلت له: أخبرني عن سنّك، فاشتد ذلك عليه حتى ظننت أنه سيُطَلِّق، فقلت له: على رِسْلك، وحلفتُ له إني لا أذكر سنّه ما دام حيّاً، فقال لي: أمّا إذ فعلت فقد هوّنت عليّ، أنا والله حيث حُصِر جدّك عثمان بن عفان، أسعى في الدار ألتقط السهام. قال الزبير: وأدركه أبي.

أخبرني أحمد قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثني محمد بن عبد الله اليعقوبيّ عن الهيثم بن عديّ قال: قال أشعب: كنت ألتقط السهامَ من دار عثمان يوم حوصِر، وكنت في شبيبتي ألحق الحُمُرَ الوحشية عدْواً.

أخبرني أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثنا عبد الرحمٰن بن الجهم أبو مسلم وأحمد بن إسماعيل قالا: أخبرنا المدائنيّ قال: كان أشعب الطامع ـ واسمه شُعيب ـ مولى لآل الزبير من قِبل أبيه، وكانت أمه مولاة لعائشة بنت عثمان بن عفان؛ وكانت بغت فضُربت وحُلِقت وطيف بها وهي تنادي: من رآني فلا يزنين، فأشرفت عليها امرأة فقالت: يا فاعلة، نهانا الله عز وجل عن الزنا فعصيناه، ولسنا ندعه لقولك وأنت محلوقة مضروبة يطاف بك.

أخبرني أحمد قال: حدثنا أحمد بن مَهْرُويه قال: كتب إليّ ابنُ أبي خَيْثَمة يخبرني أن مصعب بن عبد الله أخبره قال: اسم أشعب شُعيب، ويكنى أبا العلاء، ولكنّ الناس قالوا أشعب فبقيت عليه، وهو شعيب بن جُبير مولى آل الزبير، وهم يزعمون اليوم أنهم من العرب، فزعم أشعب أن أُمه كانت تُغري بين أزواج النبيﷺ

ورَحِمِهم، وامرأة أشعب بنت وردان، ووردان الذي بنى قبر النبيﷺ حين بنى عمرُ بن عبد العزيز المسجد.

أخبرني أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم قال: وكتب إليّ ابنُ أبي خيثمة يخبرني أنّ مصعب بن عبد الله أخبره قال: كان أشعبُ من القرّاء للقرآن، وكان قد نَسَك وغزا، وكان حسنَ الصوت بالقرآن، وربما صلّى بهم القيام.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثني محمدُ بن القاسم قال: حدثني أحمدُ بن يحيى قال: أخبرنا إسحاقُ بن إبراهيم قال:

كان أشعب مع ملاحته ونوادره يغني أصواتاً فيجيدها، وفيه يقول عبد الله بن مصعب الزّبيريّ:

صوت

[السريع]

إذا تَمَزَّزْتُ صُراحِيَّةً ... كَمِثْلِ رِيحِ المِسْكِ أو أَطْيَبُ
ثُمَّ تَغَنَّى لي بأَهْزاجِهِ ... زَيدُ أخو الأنصارِ أو أشْعَبُ
حَسِبْتُ أنّي مَلِكٌ جالِسٌ ... حَفَّت به الأمْلاكُ والمَوْكِبُ
وما أُبالي وإلهِ الوَرَى ... أَشَرَّقَ العالَمُ أم غَرَّبُوا

غنَّى في هذه الأبيات زيد الأنصاريّ خفيف رمل بالبنصر.

وقد روى أشعب الحديث عن جماعة من الصحابة.

أخبرني عمي قال: حدثني عبد الله بن أبي سعد أن الربيع بن ثعلب حدثهم قال: حدثني أبو البختري: حدّثني أشعب، عن عبد الله بن جعفر، قال: قال رسول اللهﷺ: «لو دعيتُ إلى ذراع لأجبتُ، ولو أُهدِي إليّ كُراعٌ لقبلتُ».

[بينه وبين سالم بن عبد الله]

قال ابنُ أبي سعد، ورُوِي عن محمد بن عباد بن موسى عن عتّاب بن إبراهيم، عن أشعب الطامع ـ قال عتاب: وإنما حملت هذا الحديث عنه لأنه عليه ـ قال: دخلت إلى سالم بن عبد الله بستاناً له فأشرف عليّ وقال: يا أشعب، ويلك لا تسأل، فإني سمعتُ أبي يقول: سمعتُ رسولَ اللهﷺ يقول: «ليأتينَّ أقوامٌ يومَ

القيامة ما في وجوههم مُزْعةُ لحم[١]، قد أخلقوها بالمسألة».

ويروى عن يزيد بن وهب المؤمّليّ عن عثمان بن محمد، عن أشعب، عن عبد الله بن جعفر: أن النبيﷺ تَخَتَّم في يمينه.

أخبرني أحمد قال: حدَّثني عمرُ بن شبّة قال: حدّثني الأصمعيّ، عن أشعب قال: استنشدَني ابنٌ لسالم بن عبد الله بن عمر غناءَ الرُّكبان بحضرة أبيه سالم فأنشدته، ورأسُ أبيه سالم في بتٍّ[٢] فلم ينكر ذلك.

[بعض أخباره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدَّثني أبو مسلم عن عبد الرحمٰن بن الحكم، عن المدائني قال: دفعت عائشةُ بنت عثمان أشعبَ في البزّازين فقالت له بعد حول: أتوجّهت لشيء؟ قال: نعم، تعلمتُ نصف العمل وبقي نصفُه، قالت: وما تعلمتَ؟ قال: تعلمتُ النشرَ وبقي الطيّ.

قال المدائنيُّ: وقال أشعب: تعلقت بأستار الكعبة فقلت: اللَّهم أذهب عني الحرص والطلب إلى الناس، فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يعطني أحدٌ شيئاً، فجئت إلى أُمي فقالت: ما لك قد جئتَ خائباً؟ فأخبرتُها، فقالت: لا والله لا تدخل حتى ترجع فتَسْتقيل ربّك، فرجعتُ فقلت: يا رب أقِلْني، ثم رجعت، فلم أمُرّ بمجلس لقريش وغيرهم إلا أعطوني وَوُهِب لي غلامٌ، فجئت إلى أُمي بحمار مُوقَر[٣] من كل شيء، فقالت: ما هذا الغلام؟ فخِفتُ أن أُخبرها بالقصة فتموت فرحاً، فقلت: وهبوا لي، قالت: أي شيء؟ قلت: غَين، قالت: أيّ شيء غَيْن؟ قلت: لام، قالت: وأيّ شيء لام؟ قلت: ألف، قالت: وأيّ شيء ألف؟ قلت: ميم، قالت: وأيّ شيء ميم؟ قلت: غلام. فغشي عليها، ولو لم أقطّع الحروف لماتت الفاسقة فرحاً.

أخبرني أحمد قال: حدّثني محمد بن القاسم قال: حدّثني العباس بن ميمون قال: سمعت الأصمعيّ يقول: سمعتُ أشعبَ يقول: سمعتُ الناس يموجون في

---

(١) مزعة لحم: قطعة لحم.
(٢) البتّ: الطيلسان.
(٣) موقر: محمل حملاً ثقيلاً.

أمر عثمان. قال الأصمعيّ: ثم أدرك المهديّ.

أخبرني أحمد قال: حدّثني محمد بن القاسم قال: حدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق بن سَعيد الرّبيعيّ قال: حدّثني هند بن حَمدان الأرقميّ المخزوميّ قال: أخبرني أبي قال: كان أشعبُ أزرَقَ أحولَ أكشفَ أقرَعَ.

قال: وسمعت الأرقميَّ يقول: كان أشعب يقول: كنت أسقي الماء في فتنة عثمان بن عفان. والله أعلم.

أخبرني أحمد قال: حدّثني محمد بن القاسم قال: حدثنا عيسى بن موسى قال: حدثنا الأصمَعِيُّ قال: أصاب أشعب ديناراً بالمدينة، فاشترى به قطيفة، ثم خرج إلى قُباء يعرِّفها، ثم أقبل عليَّ فيما أحسب ـ شك أبو يحيى ـ فقال: أتُراها تُعرّف.

قال أحمد: وحدثناه أبو محمد بن سعد قال: حدثني أحمد بن معاوية بن بكر قال: حدثني الواقِدِيُّ قال: كنت مع أشعب نريد المُصَلّى، فوجد ديناراً، فقال لي: يا بنَ واقد، قلت: ما تشاء؟ قال: وجدت ديناراً فما أصنع به؟ قال: قلت: عرِّفه، قال: أم العلاء إذاً طالق، قال: قلت: فما تصنع به إذاً؟ قال: أشتري به قطيفة أُعرِّفها. قال: وحدثني محمد بن القاسم قال: وحدّثنيه محمد بن عثمان الكُريزيّ، عن الأصمعيّ أن أشعب وجد ديناراً فتحرّج من أخذه دون أن يُعرِّفه، فاشترى به قطيفة، ثم قام على باب المسجد الجامع فقال: من يتعرف الوَبِدَة؟

أخبرني أحمد الجوهريّ قال: حدثني محمد بن القاسم قال: سألت العَنَزِيّ، ! فقال: الوَبدُ من كل شيء: الخَلَق؛ وبِدَ الثوبُ ووَمِد إذا أخْلَق.

أخبرنا أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثنا عيسى بن موسى، قال: حدثنا الأصمعيّ قال: رأيت أشعب يغنّي وكأن صوتَه صوتُ بلبل.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا محمد بن القاسم بن عبد الله في رفقة فيها ألف مَحْمَل، وكان ثَمّ قاصٌّ يقصّ عليهم، فجئتُ فأخذتُ في أُغنية من الرقيق، فتركوه وأقبلوا إليّ، فجاء يشكوني إلى سالم فقال: إن هذا صرف وجوه الناس عني، قال: وأتيت سالماً ـ وأحسبه قال ـ والقاسمَ، فسألتهما بوجه الله العظيم، فأعطياني، وكانا يبغضانني أو أحدهما يبغضني في الله، قال: قلنا: لا تجعل هذا في الحديث قال: بلى.

حدّثنا أحمد: قال: حدّثنا محمد بن القاسم قال: وحدّثناه قَعْنَب بن محرز الباهليّ قال: أخبرنا الأصمعيُّ، عن أشعب قال: قدم علينا قاصٌّ كوفيٌّ يقُصّ في رُفقته، وفيها ألف بعير، فخرجْنا وأحرمنا من الشّجرة بالتّلبية، فأقبل الناس إليّ وتركُوه. قال ابنُ أمّ حُميد: فجاء إليّ عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فقال: إنّ مولاك هذا قد ضَيَّق عليّ معيشتي.

أخبرنا أحمد قال: حدّثنا محمد بن القاسم قال: أخبرنا أبو مسلم عبد الرحمٰن بن الجهْم عن المَدَائنيّ قال: تغدّى أشعب مع زياد بن عبد الله الحارثيّ، فجاءُوا بمَضِيرة[1]، فقال أشعب لخبّاز: ضعها بين يديّ، فوضعها بين يديه، فقال زياد: من يُصلّي بأهْل السّجن؟ قال: ليس لهم إمام، قال: أَدخلوا أشعب يصلّي بهم، قال أشعب: أَو غَيْرَ ذلك أصلح الله الأمير؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف ألاّ آكُلَ مضيرةً أبداً.

أخبرنا أحمد قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: حدثني قعنب بن المحرز، قال: حدّثنا الأصمعيّ قال: ولّى المنصورُ زيادَ بن عبد الله الحارثيّ مكة والمدينة، قال أَشعب: فلقيتُه بالجُحْفة[2] فسلّمتُ عليه، قال: فحضر الغداء، وأُهدِي إليه جَدْي فطبخه مَضيرة، وحُشِيت القِبَة[3] قال: فأكلتُ أكلاً أتملّح به، وأنا أعرف صاحبي، ثم أُتِي بالقِبَة، فشققْتُها، فصاح الطّبّاخ: إنا لله! شقّ القِبَة، قال: فانقطعت، فلما فرغْت قال: يا أَشعب، هذا رمضان قد حضر، ولا بدّ أن تصلي بأهل السجن، قلت: والله ما أَحفظ من كتاب الله إلا ما أُقيم به صلاتي، قال: لا بدَّ منه، قال: قلت: أو لا آكل جَدْياً مضيرة؟ قال: وما أَصنع به وهو في بطنك؟ قال: قلت: الطّريق بعيد أُريد أن أَرجع إلى المدينة، قال: يا غلام، هات ريشة ذَنَب ديك ـ قال أشعب: والجحفة أطول بلاد الله ريشة ذنب ديك ـ قال: فأُدخلت في حلقي فتقيّأتُ ما أَكلْتُ، ثم قال لي: ما رأْيك؟ قال: قلت: لا أُقيم ببَلْدة يصاح فيها: شقَّ القبة، قال: لك وظيفة على السلطان وأكره أن أكسرها عليك، فقل ولا تُشطِط قال: قلت: نصف دِرهم كِراء حمار يُبلِّغني المدينة، قال: أنصفت، وأعطانيه.

---

(١) المضيرة: طعام من لحم مطبوخ باللبن.
(٢) الجحفة: قرية كبيرة على طريق المدينة من مكة، وهي ميقات أهل مصر والشام. (معجم البلدان ٢/ ١١١).
(٣) القِبَة: هنة ذات أطباق متصلة بالكرش.

[بعض طرائفه]

أخبرنا أحمد قال: حدَّثنا محمد بن القاسم، قال أخبرني أبو مسلم، عن المدائنيّ قال: أُتِيَ أشعبُ بفالُوذجة عند بعض الولاة، فأكل منها، فقيل له: كيف تراها يا أشعب؟ قال: امرأته طالق إن لم تكُن عُمِلت قبل أن يوحيَ الله عز وجل إلى النحل.

أخبرنا أحمد قال: حدّثنا محمد بن القاسم قال: حدّثنا عبد الله بن شعيب الزُّبيريّ عن عمِّه. قال أبو بكر: وحدثني ابن أبي سعْد قال: حدّثني عبد الله بن شعيب ـ وهو أتمُّ من هذا وأكثر كلاماً ـ قال:

جاء أشعب إلى أبي بكر بن يحيى من آل الزبير، فشكا إليه، فأمر له بصاع من تمر، وكانت حال أشعب رثَّة، فقال له أبو بكر بن يحيى: ويحك يا أشعب! أنت في سِنّك وشهرتك تجيء في هذه الحال فتضع نفسك فتُعْطَى مثل هذا؟ اذهب فادخُل الحمام فاخْضِب لحيتَك، قال أشعب: ففعلتُ، ثم جئتُه فألبسني ثيابَ صوف له وقال: اذهب الآن فاطلب، قال: فذَهبت إلى هشام بن الوليد صاحب البغلة من آل أبي ربيعة، وكان رجلاً شريفاً موسِراً، فشكا إليه فأمر له بعشرين ديناراً، فقبضها أشعب وخرج إلى المسجد، وطفِق كلما جلس في حلقة يقول: أبو بكر بن يحيى، جزاه الله عني خيراً، أعرف الناس بمسألة، فعل بي وفعل، فيقص قصته، فبلغ ذلك أبا بكر فقال: يا عدوَّ نفسه! فضحتني في الناس، أفكان هذا جزائي!

أخبرنا أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم قال: أخبرني محمد بن الحسين بن عبد الحميد قال: حدثني شيخٌ أنه نظر إلى أشعب بموضع يقال له الفَرْع[1] يبكي وقد خضب بالحناء، فقالوا: يا شَيْخ ما يبكيك؟ قال: لغربة هذا الجناح، وكان على دار واحدة ليس بالفُرع غيره.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: أخبرني محمد بن الحسين قال: حدثني أبي، قال: نظرتُ إلى أشعب يُسَلِّم على رسول الله ﷺ قال: وهو يدعو ويَتَضَرَّع، قال: فأدمْتُ نظري إليه، فكلما أدمْتُ النظر إليه كلَّح

(١) الفرع: قرية من نواحي الربذة بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكة. (انظر معجم البلدان ٤/ ٢٥٢).

وبثَّ أصابعه في يده بحذائي حتى هَرَبت فسألت عنه فقالوا: هذا أشعب.

أخبرني أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم بن عجلان الفهْريّ قال: إن أشعب مرّ برشٍّ قد رُشَّ من الليل في بعض نواحي المدينة فقال: كأن هذا الرش كَساءٌ بَرْنَكانيٌ[١] فلما توسطه قال: أظنني والله قد صدقت، وجلس يلمس الأرض.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثني محمد بن الحسين قال: حدثنا بعض المدنيين قال: كان لأشعب خرقٌ في بابه، فينام ويُخرج يدَه من الخرق ويطمع أن يجيءَ إنسانٌ فيطرح في يديه شيئاً؛ من الطمع.

أخبرني أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدّثنا الزبير قال: حدّثني عبد الرحمٰن بن عبد الله الزهريّ قال: صلّى أشعب يوماً إلى جانب مَرْوان بن أبان بن عثمان، وكان مروانُ عظيمَ الخَلق والعَجيزة، فأفلتت منه ريحٌ عند نهوضه، لها صوت، فانصرف أشعب من الصلاة، فَوَهِم الناس أنه هو الذي خرجت منه الريح، فلما انصرف مروان إلى منزله جاءه أشعب فقال له: الدِّية، فقال: دِيَةُ ماذا؟ فقال: دية الضرطة التي تحمَّلتها عنك، والله وإلا شهّرتك، فلم يدعْه حتى أخذ منه شيئاً صالحاً.

أخبرنا أحمد قال: حدّثنا محمد بن القاسم قال: حدثني إبراهيم بن الجنيد، قال: حدثني سوّار بن عبد الله قال: حدثني مهديّ بن سليمان المِنقريّ مولى لهم، عن أشعب قال: دخلت على القاسم بن محمد وكان يبغضني في الله وأُحبّه فيه، فقال: ما أدخلك عليّ؟ اخرج عني، فقلت: أسألك بالله لما جَدَدْتَ[٢] عِذْقاً[٣]، قال: يا غلام، جُدّ له عِذقاً، فإنه سأل بمسألة لا يفلح من رَدَّها أبداً.

أخبرنا أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم قال حدثنا الرّياشيّ قال: حدثني أبو سلمة أيوب بن عمر، عن المحرزيّ، وهو أيوب بن عباية أبو سليمان قال: كان لأشعب عليّ في كل سنة دينار، قال: فأتاني يوماً ببُطحان[٤] فقال: عجّل لي ذلك

---

(١) كساء برنكاني: كساء من صوف.

(٢) جَدَّ: قطع.

(٣) العِذْق: الكباسة والكباسة من النخل كالعنقود من العنب.

(٤) بطحان: وادٍ بالمدينة. (معجم البلدان ١/ ٤٤).

الدينار، ثم قال: لقد رأيتُني أخرج من بيتي فلا أرجع شهراً مما آخذ من هذا وهذا وهذا.

أخبرنا أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم، قال: حدثني عليّ بن محمد النوفليّ قال: سمعتُ أبي يحكي عن بعض المدنيين قال: كَبِر أشعبُ فملّه الناس وَبَرد عندهم، ونشأ ابنُه فتغنّى وبكى وأَندَر[1]، فاشتهى الناس ذلك، فأخصب وأجدب أبوه، فدعاه يوماً وجلس هو وعجوزه، وجاء ابنُه وامرأتُه فقال له: بلغني أنك قد تغنّيت وأندرتَ وحَظِيتَ، وأن الناس قد مالوا إليك فهلم حتى أُخايرَك[2]، قال: نعم، فتغنّى أشعب. فإذا هو قد انقطع وأرعَد، وتغنّى ابنُه فإذا هو حسنُ الصوت مطرب، وانكسر أشعب.ثم أندر فكانَ الأمر كذلك، ثم خطبا فكان الأمرُ كذلك، فاحترق أشعب فقام فألقى ثيابه، ثم قال: نعم، فمن أين لك مثل خُلُقِي؟ مَنْ لك بمثل حديثي؟ قال: وانكسر الفتى، فنَعَرت[3] العجوز ومن معها عليه.

أخبرني أحمد قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال: حدثني عليّ بن الحسين بن هارون قال: حدثني محمد بن عباد بن موسى قال: حدثني محمد بن عبد الله بن جعفر بن سليمان وكان جارَنا هنا قال: حدثني محمد بن حرب الهلاليّ ـ وكان على شُرطة محمد بن سليمان ـ قال:

دخلتُ على جعفر بن سليمان وعنده أشعب يحدّثه قال:

كانت بنتُ حسين بن عليّ عند عائشة بنت عثمان تربّيها حتى صارت امرأة، وحج الخليفة فلم يبق في المدينة خَلْق من قريش إلا وافى الخليفة إلا مَن لا يصلُح لشيء، فماتت بنت حسين بن عليّ، فأرسلت عائشةُ إلى محمد بن عمرو بن حَزم وهو والي المدينة، وكان عفيفاً حديداً[4] عظيمَ اللّحية، له جاريةٌ مُوكّلة بلحيته إذا ائتزر لا يأتزر عليها، وكان إذا جلس للناس جَمَعَها ثم أدخلها تحت فخذه. فأرسلت عائشة: يا أخي قد ترى ما دخل عليّ من المصيبة بابنتي، وغَيبةِ أهلِي وأهلِها، وأنت الوالي، فأمّا ما يكفي النساء من النساء فأنا أكفيكه بيدي وعيني،

---

(١) أندر: أتى بنادر من قول أو فعل.

(٢) خايره: غالبه ليعرف من الأفضل.

(٣) نَعَرَ: صاح وصخب وصوّت.

(٤) حديداً: قوياً.

وأما ما يكفي الرجالَ من الرجال فاكفنيه، مُرْ بالأسواق أن ترفع، وأمر بتجويد عمل نعشها، ولا يحملها إلا الفقهاء الألِبّاء من قريش بالوقار والسكينة، وقم على قبرها ولا يدخلْه إلا قرابتُها من ذوي الحِجا والفضل، فأتى ابنَ حزم رسولُها حين تغدّى ودخل ليَقِيل، فدخل عليه فأبلغه رسالتها، فقال ابنُ حزم لرسولها: اقرىء ابنة المظلوم السلام وأخبرها أني قد سمعت الواعيةَ[١] وأردت الركوب إليها فأمسكت عن الركوب حتى أبرِد، ثم أُصلّي، ثم أُنفّذِ كلّ ما أمرت به. وأمر حاجبَه وصاحبَ شُرطته برفع الأسواق، ودعا الحرسَ وقال: خذوا السّياط حتى تحولوا بين الناس وبين النعش إلا ذوي قرابتها بالسكينة والوقار، ثم نام وانتبه وأُسرِج له، واجتمع كلُّ من كان بالمدينة، وأتى بابَ عائشة حين أُخرِج النعشُ، فلما رأى الناس النعش التقفوه، فلم يملك ابنُ حزم ولا الحرسُ منه شيئاً، وجعل ابنُ حزم يركض خلف النعش ويصيح بالناس من السّفلة والغوغاء: اربَعوا أي ارفقوا فلم يسمعوا، حتى بُلِغ بالنعش القبرُ، فصلى عليها، ثم وقف على القبر فنادى: مَنْ ها هنا من قريش؟ فلم يحضره إلا مروانُ بنُ أبان بن عثمان، وكان رجلاً عظيم البطن بادناً لا يستطيع أن ينثني من بطنه، سخيفَ العقل، فطلع وعليه سبعةُ قمصٍ، كأنها دَرَج، بعضُها أقصرُ من بعض ورداءٌ عدنيّ يثمن ألفي درهم، فسلّم وقال له ابن حزم: أنت لعَمري قريبُها، ولكنّ القبرَ ضيّق لا يسعك، فقال: أصلح الله الأمير إنما تضيق الأخلاق. قال ابن حزم: إنا لله، ما ظننت أن هذا هكذا كما أرى، فأمر أربعة فأخذوا بضَبْعِه[٢] حتى أدخلوه في القبر، ثم أتى خراءُ الزّنج، وهو عثمان بن عمرو بن عثمان فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله، ثم قال: وا سيدتاه وا بنت أُختاه! فقال ابن حزم: تالله لقد كان يبلغني عن هذا أنه مخنّث، فلم أكن أرى أنه بلغ هذا كله، دَلّوه فإنه عورة هو والله أَحق بالدفن منها، فلما أُدخلا قال مروان لخِراء الزنج: تنحّ إليك شيئاً فقال له خراء الزنج: الحمد لله رب العالمين، جاء الكلب الإِنسيّ يطرد الكلب الوحشيّ، فقال لهما ابن حزم: اسكُتا قبّحكما الله وعليكما لعنته، أيكما الإِنسيّ من الوحشيّ، والله لئن لم تسكتا لآمرنّ بكما تدفنان، ثم جاء خالٌ للجارية من الحاطبيّين وهو ناقةٌ من مرض لو أخذ بعوضة لم يضبطها فقال: أَنا خالها وأُمي سودة وأُمها حفصة، ثم رمى بنفسه في القبر، فأصاب ترقوة

---

(١) الواعية: الصراخ على الميت.

(٢) الضبع: ما بين الإبط إلى نصف العضد.

خراء الزنج فصاح: أوه أصلح الله الأمير دقّ والله عرقوبي، فقال ابن حزم: دق اللَّهُ عرقوبَك وترقوتَك اسكُت ويلك، ثم أقبل على أصحابه فقال: ويحكم إني خُبِّرت أَن الجارية بادن، ومروانُ لا يقدر أن ينثني من بطنه، وخراء الزنج مخنّث لا يَعقِل سُنّة ولا دفناً، وهذا الحاطبيّ لو أخذ عصفوراً لم يضبطه لضعفه، فمن يدفن هذه الجارية؟ والله ما أمرتْني بهذا بنتُ المظلوم، فقال له جلساؤه: لا والله ما بالمدينة خَلْق من قريش، ولو كان في هؤلاء خير لما بَقوا، فقال: من ها هنا من مواليهم؟ فإذا أبو هانىء الأعمى وهو ظئر[1] لها، فقال ابنُ حزم: من أنت رحمك الله؟ قال: أنا أبو هانىء ظئر عبد الله بن عمرو بن عثمان وأنا أدفِن أحياءهم وأمواتهم، فقال: أنا في طلبك، ادخُل رحمك الله، فادفن هؤلاء الأحياء، حتى يُدلَّى عليك الموتى ثم أقبل على أصحابه فقال: إنا لله ـ وهذا أيضاً أعمى لا يبصر، فنادوا: من ها هنا من مواليهم فإذا برجل يزيديّ يقال له أبو موسى قد جاء، فقال له ابنُ حزم: من أنت أيضاً؟ قال: أنا أبو موسى صالمين، وأنا ابن السميط سميطين والسعيد سعيدين، والحمد لله رب العالمين، فقال ابن حزم: والله العظيم لتكونن لهم خامساً، رَحِمكِ الله يا بنت رسول الله، فما اجتمع على جيفة خنزير ولا كلب ما اجتمع على جثتك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وأظنه سقط رجل آخر.

أخبرني أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني اليعقوبيّ محمد ابن عبد الله قال: حدثني أبو بكر الزلال الزبيريّ، قال: حدثني من رأى أشعب وقد علّق رأسَ كلبه وهو يضربه ويقول له: تنبح الهديةَ وتُبصبِص للضيف.

[ارضاعه جدياً من لبن زوجته]

أخبرنا أحمد، قال: حدثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد، قال: حدّثني محمد بن محمد الزّبيري أبو الطّاهر قال: حدّثني يحيى بن محمد بن أبي قتيلة قال: غَذَا أشعَبُ جَدْياً بلبن زوجته وغيرِها حتى بلغ الغايةَ قال: ومن مبالغته في ذلك أن قال لزوجته: أي ابنةَ وَرْدان، إني أحِب أن تُرضِعيه بلبنك. قال: ففعلت، قال: ثم جاء به إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد فقال: بالله إنه لابني، قد رضع بلبن زوجتي وقد حَبوتُك به، ولم أرَ أحداً يستأهله سواك، قال: فنظر إسماعيلُ إلى فتنة

(١) الظئر: المرأة ترضع ولد غيرها وترأمه، وزوجها ظئر للرضيع أيضاً.

من الفتن فأمر به فذُبح وسُمِط، فأقبل عليه أشعب، فقال: المكافأة، فقال: ما عندي والله اليوم شيء، ونحن من تعرف، وذلك غير فائت لك، فلما يئس منه قام من عنده فدخل على أبيه جعفر بن محمد، ثم اندفع يشهَق حتى التقت أضلاعُه، ثم قال: أَخْلِني، قال: ما معنا أحد يسمع ولا عينَ عليك، قال: وثب ابنُك إسماعيل على ابني فذبحه وأنا أنظر إليه، قال: فارتاع جَعْفر وصاح: وَيْلك! وفيم؟ وتريد ماذا؟ قال: أمَّا ما أُرِيد فوالله ما لي في إسماعيل حِيلَة ولا يسمَع هذا سامِعٌ أبداً بعدك. فجزاه خيراً وأدخله منزلَه، وأخرج إليه مائتَي دِينار وقال له: خذ هذه ولك عندنا ما تُحِبُّ. قال: وخرج إلى إسماعيل لا يُبصِر ما يطأ عليه، فإذا به مُتَرسِّل في مَجْلِسه، فلما رأى وجهَ أبيه نَكِره، وقام إليه، فقال: يا إسماعيل أو فَعَلْتَها بأشْعَب؟ قتلتَ ولدَه، قال: فاستضْحك وقال: جاءني بِجَدْي من صِفَته كذا، وخَبَّره الخَبَر، فأخبره أَبوه ما كان منه وصار إليه. قال: فكان جعفر يقول لأشْعب: رَعَبْتَنِي رَعَبَك الله فيقول: رَوْعةُ ابنِك والله إيّاي في الجَدْي أكبر من رَوْعتك أنت في المائتي الدِّينار.

[حزنه لوفاة خالد بن عبد الله]

أخبرنا أحمدُ قال: حدّثنا عبد الله بن عَمْرو بن أبي سَعْد، قال: حدّثني محمدُ بنُ إسحاق المُسَيَّبِيّ قال: حدَّثني عُمَير بنُ عبدِ الله بن أبي بَكْر بن سُليمان بن أبي خَيْثمة ـ قال: وعميْر لقبٌ واسمُه عبد الرحمٰن ـ عنْ أشعب قال: أتيتُ خالدَ بن عبد الله بن عَمْرو بن عُثْمان بن عفان ليلة أسأله، فقال لي: أنت على طريقة لا أُعطِي على مِثْلها، قلت: بلى جُعِلْتُ فِداءَك، فقال: قم فإن قُدِر شيء فسيكون، قال: فقمت، فإني لَفِي بعض سِكك المدينة، إذ لَقِيني رجل فقال: يا أشعب إن كان الله قد ساق إليك رزقاً فما أنتَ صانع؟ قلت: أشكر الله وأشكر مَنْ فعله، قال: كم عيالُك؟ فأخبرتُه قال: قد أُمِرْتُ أن أُجرِيَ عليك وعلى عِيالِك ما كنتَ حيّاً، قال: مَن أمرك؟ قال: لا أُخْبِرك ما كانت هذه فوق هذه، يُريد السماء، وأشار إليها قال: قلت: إن هذا معروف يُشْكَر، قال: الذي أمرني لم يرد شكرك، وهو يتمنى ألاّ يَصل مِثْلَك. قال: فمكثتُ آخُذ ذلك إلى أن تُوُفِّي خالدُ بنُ عبد الله بن عمرو بن عُثْمان، قال: فشهِدتْه قُريشٌ وحَفَل له الناس قال: فَشَهِدتُه فَلقِيني ذلك الرجلُ فقال: يا أشعب انْتِفْ رأسَك ولحيتَك، هذا والله صاحِبُك الذي كان يُجري عليك ما كنتُ أُعطِيك، وكان والله يَتَمَنَّى مباعدة مثْلك، قال: فحمله والله الكرمُ إذْ سَألتَه

أن فعل بك ما فعل، قال عمير: قال أشعبُ: فَعمِلت بنفسي والله حينئذٍ ما حلّ وحَرُم.

أخبرني أحمد قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: حدّثنا الزّبير ابن بَكّار قال: كان أشعب يوماً في المسجد يدعو وقد قبّض وجْهَه فصيّره كالصُّبرة[١] المجموعة، فرآه عامر بن عبد الله بن الزبير فحصبه[٢] وناداه: يا أشعب، إذا تناجي ربك فناجه بوجه طلق، قال: فأرخى لَحْيَه[٣] حتى وقع على زَوره[٤]، قال: فأعرض عنه عامر وقال: ولا كلّ هذا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني الزُّبَير، قال: حدثني مُصْعَب قال: جزّ أشعبُ لِحْيَتَه فبعث إليه نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَيرْ: ألم أقل لك إن البطّال[٥] أملح ما يكون إذا طالت لِحْيَتُه فلا تَجْزُزْ لِحْيَتَك.

[طرائف من بخله وطمعه]

أخبرني أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثنا أبو الحسن أحمد ابن يحيى قال: أخبرنا أبو الحسن المَدائنيّ قال: وقف أشعَبُ على امرأة تعمل طبقَ خُوصٍ[٦] فقال: لِتُكَبِّرِيه فقالت: لم؟ أتريد أن تَشتريَه؟ قال: لا، ولكن عسى أن يشتريه إنسان فيُهدِيَ إليّ فيه، فيكون كبيراً خير من أن يكون صغيراً.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز، قال: حدثني محمد بن القاسم قال: أخبرنا أحمد بن يحيى قال: أخبرنا المدائنيّ، قال: قالت صديقةُ أشعب لأشعبَ: هبْ لي خاتَمك أذكرك به، قال: اذكريني أنّي منعتُك إياه؛ فهو أحبّ إليّ.

أخبرني أحمد قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: أخبرنا أبو مُسْلِم قال: أخبرنا المَدائِني قال: قال أشعب مرة للصبيان: هذا عمرو بنُ عثمان

---

(١) الصُّبْرَة: الكومة.

(٢) حصبه: رماه بالحصباء، والحصباء: صغار الحجارة.

(٣) اللَّحْي: عظم الحنك.

(٤) الزور: أعلى وسط الصدر.

(٥) البطال: المتعطل.

(٦) الخوص: ورق النخل.

يقسّم مالاً، فمضوا، فلما أبطأوا عنه اتّبعهم؛ يحسب أنّ الأمر قد صار حقّاً كما قال.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أحمد بن يحيى، قال: أخبرنا المدائنيّ قال: دعا زيادُ بنُ عبد الله أشعبَ فتغدّى معه، فضرب بيده إلى جَدْي بين يديه، وكان زياد أحد البخلاء بالطعام، فغاظه ذلك، فقال لخدمه: أخبروني عن أهل السجن ألهم إمام يصلّي بهم؟ وكان أشعبُ من القرّاء لكتاب الله تعالى، قالوا: لا، قال: فأدخلوا أشعب فصيِّروه إماماً لهم، قال أشعبُ: أو غير ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف لك - أصلحك الله - ألاّ أذُوقَ جَدْياً أبداً، فخلاّه.

أخبرنا أحمد قال: حدّثنا محمد بن القاسم، قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ قال: رأيتُ أشعبَ بالمدينة يُقَلّب مالاً كثيراً فقلتُ له: ويحك ما هذا الحرص! ولعلك أن تَكونَ أيسرَ ممّن تطلب منه! قال: إني قد مَهَرتُ في هذه المسألة، فأنا أكره أن أدعَها فتَنْفلِت منّي.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: أخبرنا أبو مسلم قال: أخبرنا المدائنيُّ قال: قيل لأشعب: ما بَلَغ من طمعك؟ قال: ما رأيتُ اثنين يتسارّان قَطّ إلا كنت أراهما يأمران لي بشيء.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: حدثنا أبو مسلم قال: أخبرنا المدائنيُّ قال: قال أشعبُ لأمه: رأيتُكِ في النوم مطْليَّةً بعسل وأنا مطليٌّ بعَذِرة[١]: فقالت: يا فاسقُ هذا عملُك الخبيثُ كساكه الله عز وجل، قال: إن في الرؤيا شيئاً آخر، قالت: ما هو؟ قال: رأيتُني ألطَعُكِ[٢] وأنت تَلْطَعِيني، قالت: لعَنَك الله يا فاسق.

أخبرنا أحمد قال: حدثني محمد بن القاسم قال: أخبرنا أبو مسلم قال: أخبرنا المدائنيّ قال: كان أشعبُ يتحدَّثُ إلى امرأة بالمدينة حتى عُرِف ذلك، فقالت لها جاراتها يوماً: لو سألتِه شيئاً فإنه مُوسِر، فلما جاء قالت: إن جاراتي ليَقُلْنَ لي: ما يصلُك بشيء، فخرج نافراً من منزلها، فلم يَقربْها شهريْن، ثم إنه جاء

(١) العذرة: الغائط.
(٢) ألطعك: ألحَسُكِ.

ذات يوم فجلس على الباب، فأخرجت إليه قدحاً ملآن ماءً، فقالت: اشرب هذا من الفزع، فقال: اشربيه أنت من الطمع.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثني محمد بن القاسم قال: أخبرنا أبو مسلم وأحمد بن يَحيى ـ واللّفظ لأحمد ـ قال: أخبرنا المدائنيّ عن جَهْم بن خلف قال: حدّثني رجلٌ قال: قلتُ لأشعب: لو تحدّثت عندي العَشِيّة؟ فقال: أكره أن يجيء ثقيل، قال: قلت: ليس غَيرُك وغَيْري. قال: فإذا صلّيْتُ الظهرَ فأنا عندك، فصلّى وجاء، فلما وضَعَت الجاريةُ الطعامَ إذا بصديق لي يَدُقّ الباب، فقال: ألا ترى قد صرتُ إلى ما أكره؟ قال: قلت: إن عندي فيه عَشْرَ خصال، قال: فما هي؟ قال: أولُها أنه لا يأكل ولا يشرب، قال: التِّسْعُ الخصال لك، أدخله. قال أبو مسلم: إن كرهْتَ واحدةً منها لم أُدخِله.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال: أخبرنا أبو مسلم قال: أخبرنا المدائنيّ قال: دخل أشعبُ يوماً على الحسين بن عليّ وعنده أعرابيٌّ قبيح المنظر مختلف الخِلقة، فسبح أشعبُ حين رآه، وقال للحُسيْن عليه السلام: بأبي أنت وأُمي، أتأذن لي أن أسْلح عليه؟ فقال الأعرابيُّ: ما شئتَ، ومع الأعرابيّ قوسٌ وكِنانة، ففوّق له سهماً وقال: والله لَئِن فعَلْت لتكونَنّ آخرَ سَلحة سَلحْتها، قال أشعبُ للحسين: جُعِلتُ فداءَك، قد أخذني القُولَنج[1].

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثني محمد بن القاسم، قال أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيّ قال: ذَكر أشعبُ بالمدينة رجُلاً قبيح الاسم، فقيل له: يا أبا العلاء، أتعرِف فُلاناً؟ قال: ليس هذا من الأسماء التي عُرِضت على آدم.

وجَدْتُ في بعض الكتب، عن أحمد بن الحارث الخراز، عن المدائنيّ قال: توضّأ أشعبُ فغسل رِجلَه اليسرى وترك اليمنى فقِيل له: لِمَ تركتَ غَسْل اليمنى؟ قال: لأنّ النبيّ ﷺ قال: «**أُمّتي غُرٌّ مُحَجّلُون من آثار الوضوء، وأنا أُحِبُّ أن أكون أغرّ مُحجَّلاً مُطلقَ اليمنى**».

وأخبرت بهذا الإسناد قال: سَمِع أشعبُ حُبّى المَدينيَّة تقول: اللّهم لا تُمِتْني حتى تغفرَ لي ذُنوبي، فقال لها: يا فاسقة أنت لم تسألي الله المغفرة إنما سألتِه عمرَ الأبد، يُريدُ أنه لا يغفِر لها أبداً.

(١) القولنج: مرض معوي.

أخبرنا أحمد بنُ عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثني محمد بن القاسم قال: أخبرنا المدائنيّ، عن فُلَيح بن سُليمان قال: ساوم أشعبُ رجُلاً بقَوْس عربيَّة فقال الرجلُ: لا أنقُصُها عن دينار، قال أشعبُ: أُعتق ما أملك لو أنها إذا رُمِيَ بها طائر في جَوّ السماء ووقع مشوياً بين رغِيفين ما أخذتها بدِينار.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: أخبرنا مسلم، قال: أخبرنا المدائني قال: أهدى رجلٌ من بني عامر بن لُؤيّ إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر بن محمد فالوذجة، وأشعب حاضر، قال: كُلْ يا أشعب، فلما أكل منها قال: كيف تجدُها يا أشعب؟ قال: أنا بَرِيء من الله ورسوله إن لم تكن عُمِلت قبل أن يُوحِي الله عزّ وجلّ إلى النَّحل، أي ليس فيها من الحلاوة شيء.

أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد بن القاسم قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أخبرنا المدائنيُّ قال: سأل سالم بن عبد الله أشعبَ عن طَمَعِه، قال: قلتُ لصِبْيانِي مرّة: هذا سالِم قد فَتَح بابَ صدقة عمر، فانطلِقوا يُعطِكم تمراً، فمضَوا، فلما أبطأوا ظَنَنْتُ أنّ الأمرَ كما قلتُ فاتّبعتُهم.

أخبرني أحمد بنُ عبد العزيز قال: حدثني محمد بنُ القاسم قال: أخبرنا أبو مسلم قال: أخبرني المدائنيّ قال: بينا أشعبُ يوماً يتغدّى إذ دخلت جارةٌ له، ومع أشعب امرأته تأكل، فدعاها لتتغدّى، فجاءت الجارة فأخذت العُرقُوب بما عليه - قال: وأهلُ المدينة يسمونه عُرقوبَ ربّ البيت - قال: فقام أشعَب فخرج ثم عاد فدقّ الباب، فقالت له امرأته: يا سخِين العَيْن ما لك! قال: أدخل؟ قالت: أتَسْتأْذِنُ أنت، وأنت ربُّ البيت؟ قال: لو كنتُ ربَّ البيت ما كانت العُرْقوبُ بين يدي هذه.

أخبرني بعضُ أصحابنا قال: حدثنا أحمد بنُ سعيد الدّمشقيّ قال: حدثنا الزبير، قال: حدّثني مصعب قال: قال لي ابن كُلَيْب: حدّثتُ مَرّة أشعب بمُلحة فبكَى، فقلت: ما يبكيك؟ قال: أنا بمنزلة شجرة الموز إذا نشأتْ ابنتُها قُطِعت، وقد نشأتَ أنتَ في مواليّ وأنا الآن أموت، فإنما أبكي على نفسي.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويه قال: حدثنا الزُّبير بن بكّار، قال: كان أشعبُ الطّمع يُغنّي وله أصواتٌ قد حُكِيت عنه، وكان ابنُه عُبيدة يغنّيها، فمِنْ أصواته هذه: [الوافر]

أروني مَنْ يَقُومُ لكم مقامي إذا ما الأمْرُ جَلَّ عَنِ الخِطابِ

إلـى مَـنْ تَـفْـزَعـونَ إذا حَـثَـوْتُـم بـأيـديـكـم عَـلَـيَّ مِـنَ الـتُّـرابِ[١]

[أشعب وسكينة بنت الحسين]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخفّاف قال: حدثنا أحمد بن سعيد الدّمشقيّ قال: حدّثنا الزبير بن بكّار قال: حدّثنا شُعَيب بن عُبيدة بن أشعب، عن أبيه، عن جدّه قال: كانت سُكَينة بنتُ الحسين بن عليّ ﷺ عند زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان قال: وقد كانت أحلَفته ألاّ يمنعها سفراً ولا مدخلاً ولا مخرجاً فقالت: اخرج بنا إلى حُمران[٢] من ناحية عُسْفان، فخرج بها فأقامت، ثم قالت له: اذهب بنا نعتمر، فدخل بها مكة، فأتاني آتٍ، فقال: تقول لك ديباجةُ الحرَم ـ وهي امرأة من ولد عتّاب بن أسيد ـ: لك عشرون ديناراً إن جئتَني بزيد بن عمرو الليلة في الأبطح. قال أشعب: وأنا أعرف سُكَينة وأعلم ما هي، ثم غلب عليّ طباع السوء والشره، فقلت لزيد فيما بيني وبينه: إن ديباجة الحرم أرسلت إليّ بكيت وكيت، فقال: عِدْها الليلة بالأبطح، فأرسلت إليها فواعدتُها الأبطح وإذا الديباجة قد افترشت بساطاً في الأبطح وطرحت النمارق، ووضعت حشايا وعليها أنماط، فجلستُ عليها، فلما طلع زيد قامت إليه، فتلقّته وسلّمت عليه، ثم رجعت إلى مجلسها، فلم ننشب أن سمعنا شحيج بغلة سكينة، فلما استبانها زيد قام فأخذ بركابها، واختبأتُ ناحية، فقامت الديباجة إلى سكينة فتلقَّتها وقبّلت بين عينيها، وأجلستها على الفراش، وجلست هي على بعض النمارق، فقالت سكينة: أشعبُ والله صاحبُ هذا الأمر، ولستُ لأبي إن لم يأت يصيح صياح الهرة لن يقوم لي بشيء أبداً، فطلعتُ على أربع أصيح صِياح الهرة، ثم دعت جاريةً معها مجمر كبير فحفنت منه وأكثرت، وصبّت في حجر الديباجة، وحفنت لمن معها فصبّته في حجورهن وركِبتْ وركب زيد وأنا معهم، فلما صارت إلى منزلها قالت لي: يا أشعب أفعلتَها؟ قلت: جعلت فداءك، إنما جعلتْ لي عشرين ديناراً، وقد عرفتِ طمعي وشرهي، والله لو جعلت لي العشرين ديناراً على قتل أبويّ لقتلتهما، قال: فأمرت بالرحيل إلى الطائف، فأقامت بالطائف وحوّطت من ورائها بحيطان ومنعت زيداً أن يدخل عليها. قال: ثم قالت لي يوماً: قد أثمنا في زيد وفعلنا ما لا يحل لنا، ثم أمرت بالرحيل إلى

(١) حثا عليه التراب: ألقاه عليه ورماه به.

(٢) حُمْران: ماء في ديار الرباب. (معجم البلدان ٢/ ٣٠١).

المدينة، وأذنت لزيد فجاءها.

قال الزّبير: وحدّثني عبدُ الله بن محمد بن أبي سَلَمة قال: جاء أشعبُ إلى مجلس أصحابنا فجلس فيه، فمرّت جارية لأحدهم بحُزمة عَراجين[١] من صدقة عمر، فقال له أشعبُ: فديتُك، أنا محتاج إلى حطب فَمُرْ لي بهذه الحزمة، قال: لا، ولكن أُعطيك نصفَها على أن تحدّثني بحديث ديباجة الحرم، فكشف أشعبُ ثوبَه عن استه واستوفز وجعل يخنس[٢] ويقول: إن لهذا زماناً، وجعلت خصيتاه تخطّان الأرض، ثم قال: أعطاني والله فلان في حديث ديباجة الحرم عشرين ديناراً، وأعطاني فلان كذا، وأعطاني فلان كذا، حتى عدّ أموالاً، وأنت الآن تطلبها مني بنصف حزمة عراجين! ثم قام فانصرف.

وفي ديباجة الحرم يقول عمرُ بن أبي ربيعة:

صوت

ذَهبتَ ولم تُلْمِمْ بديباجةِ الحَرَمْ وقد كُنْتَ منها في عَناءٍ وفي سَقَمْ

جُنِنْتَ بها لمّا سَمِعْتَ بِذِكْرِها وقد كُنتَ مَجْنوناً بجاراتها القُدُمْ

إذا أنتَ لَمْ تَعْشَقْ ولم تَدْرِ ما الهَوَى فَكُنْ حَجَراً بالحزْنِ مِنْ حَرَّةٍ أصمّ

غناه مالك بن أبي السّمح من رواية يونس عن حبيش.

قال الزبير: وحدثني شعيب بن عبيدة عن أبيه قال: دخل رجل من قريش على سكينة بنت الحسين عليهما السلام، قال: فإذا أنا بأشعب مُتَفَحّج[٣] جالس تحت السرير، فلما رآني جعل يقرقر مثل الدجاجة فجعلت أنظر إليه وأعجب، فقالت: ما لك تنظر إلى هذا؟ قلت: إنه لعجب، قالت: إنه لخبيث، قد أفسد علينا أُمورنا بغباوته، فحضنتُه بَيْضَ دجاج، ثم أقسمت إنه لا يقوم عنه حتى ينفق. وهذا الخبر عندنا غير مشروح، ولكن هذا ما سمعناه، ونسخته على الشرح من أخبار إبراهيم ابن المهديّ التي رواها عنه يوسف بن إبراهيم، وقد ذكر في أخبار سكينة.

---

(١) العراجين: جمع عرجون، وهو العلق، وقيل: هو العذق إذا يبس واعوجّ.

(٢) استوفز: قعد منتصباً غير مطمئن. وخنس: تأخر.

(٣) المتفحج: المفرج بين رجليه.

وروى عن أحمد بن الحسن البزّار: وجدتُ بخط ابن الوشّاء عن أبي الوشاء، عن الكديمي عن أبي عاصم قال: قيل لأشعب الطامع: أرأيت أحداً قط أطمعَ منك، قال: نعم كلباً يتبعني أربعة أميال على مضغ العِلك[١].

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، وعمي عبد العزيز بن أحمد، وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالوا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني مصعب، عن عثمان بن المنذر، عن عبد الله بن أبي بشر بن عثمان بن المغيرة قال: سمعتُ جلبةً شديدة مقبلة من البلاط[٢]، وأسرعت فإذا جماعة مقبلة، وإذا امرأة قد فرعتهم طولاً[٣]، وإذا أشعب بين أيديهم بكفّه دُفٌّ وهو يغنّي به ويرقص ويحرف استه ويحركها ويقول:

[مجزوء الوافر]

ألا حَـيِّ الـتـي خَـرَجَـتْ قُـبـيـلَ الـصُّـبْـحِ فـاخْـتَـمَـرَتْ[٤]
يُـقـالُ بِـعَـيْـنِـهـا رَمَـدٌ ولا والله مـا رمِـدَتْ

فإذا تجاوز في الرقص الجماعةَ رجع إليهم يُخالطهم ويستقبل المرأة فيغنّي في وجهها وهي تَبْسَم وتقول: حسبك الآن، فسألت عنها، فقالوا: هذه جارية صُرَيم المغنية استلحقها صريم عند موته، واعترف بأنها بنته، فحاكمت ورثَته إلى السلطان، فقامت لها البينةُ فألحقها به وأعطاها الميراثَ منه، وكانت أحسنَ خلقِ الله غناءً، كان يُضرَب بها المثل في الحجاز فيقال: أحسن من غناء الصُّرَيْمِيَّة.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا الدمشقيّ قال: حدثنا الزّبير بن بكّار قال وحدّثني أبي قال: اجتازت جنازة الصُّرَيْمِيّة بأشعب وهو جالس في قوم من قريش فبكى عليها ثم قال: ذهب اليوم الغناءُ كله، وعلى أنها الزانية كانت - لا رحمها الله - شرَّ خلق الله، فقيل: يا أَشْعب ليس بين بكائك عليها ولعْنِك إيّاها فصلٌ في كلامك، قال: نعم، كنّا نجيئها الفاجرة بكبش، فيُطبخ لنا في دارها ثم لا تعشّينا - يشهد الله - إلا بسِلْق.

---

(١) العلك: اللبان.

(٢) البلاط: موضع بالمدينة مبلط بالحجارة بين مسجد الرسول ﷺ وسوق المدينة. (معجم البلدان ١/ ٤٧٧).

(٣) فرعتهم طولاً: علتهم وفاقتهم.

(٤) اختمرت: لبست الخمار.

[بينه وبين الغاضري]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمد بن زهير قال: حدثنا مصعب قال: بلغ أشعب أن الغاضريّ قد أخذ في مثل مذهبه ونوادره، وأن جماعة قد استطابوه، فرقبه حتى علم أنه في مجلس من مجالس قريش يحادثهم ويُضحكهم فصار إليه، ثم قال له: قد بلغني أنك قد نحوتَ نحوي وشَغَلت عنّي مَنْ كان يألفُني فإن كنت مثلي فافعل كما أفعل، ثم غَضَّن وجهَه[١] وعرّضه وشنَّجه حتى صار عرضُه أكثرَ من طوله، وصار في هيئة لم يعرفه أحد بها، ثم أرسل وجهَه وقال له: افعل هكذا، وطوّل وجهه حتى كاد ذقنه يجوز صدرَه، وصار كأنه وجهُ الناظر في سيفِه، ثم نزع ثيابه وتحادب فصار في ظهره حدبةٌ كسنام البعير، وصار طولُه مقدارَ شبر أو أكثر، ثم نزع سراويلَه وجعل يمد جلد خُصييه حتى حكّ بهما الأرض، ثم خلاّهما من يده ومشى وجعل يخنِس وهما يَخُطّان الأرض، ثم قام فتطاول وتمدّد وتمطّى حتى صار أطولَ ما يكون من الرجال، فضحك والله القوم حتى أُغمِي عليهم وقطع الغاضريَّ فما تكلم بنادرة، ولا زاد على أن يقول: يا أبا العلاء لا أعاود ما تكره، إنما أنا تلميذُك وخرِّيجُك، ثم انصرف أشعب وتركه.

[من أخلاقه وأخلاق أمه]

أخبرني رضوانُ بن أحمد الصيدلانيّ قال: حدّثنا يوسف بن إبراهيم، عن إبراهيم بن المهديّ، عن عبيدة بن أشعب، عن أبيه: أنه كان مولده في سنة تسع من الهجرة، وأن أباه كان من مماليك عثمان، وأنّ أُمّه كانت تنقل كلام أزواج النبيﷺ بعضهن إلى بعض، فتُلقي بينهن الشّرّ، فتأذّى رسول اللهﷺ بذلك، فدعا الله عز وجل عليها فأماتها، وعُمِّر ابنُها أشعب حتى هلك في أيام المهديّ.

وكان في أشعب خِلالٌ، منها أنه كان أطيبَ أهل زمانه عِشرة وأكثرَهم نادرة، ومنها أنه كان أحسنَ الناس أداءً لغناءٍ سمعه، ومنها أنه أقوم أهل دهره بحجج المعتزلة وكان أمرأً منهم.

---

(١) غضن وجهه: ثناه وقطبه.

[بينه وبين عبد الله بن عمر]

قال إبراهيم بن المهديّ: فحدثني عُبَيْدةُ بن أشعب، عن أبيه قال: بلغني أن عبد الله بن عمر كان في مال له يتصدق بثمرته، فركبتُ ناضحاً[١] ووافيتُه في ماله، فقلتُ: يابن أمير المؤمنين ويابن الفاروق أوقِرْ لي بعيري هذا تَمْراً، فقال لي: أمِنَ المهاجرين أنتَ؟ قلتُ: اللهمّ لا، قال: فمن الأنصار أنت؟ فقلت: اللهم لا، قال: أفمن التابعين بإحسان؟ فقلت: أرجو، فقال: إلى أن يُحَقَّق رجاؤك، قال: أفمن أبناء السبيل أنت؟ قلت: لا، قال: فَعلامَ أوقِر لك بَعِيرَك تَمْراً؟ قلت: لأني سائل، وقد قال رسول اللهﷺ: «إن أتاك سائل على فرس فلا تردَّه»، فقال: لو شئنا أن نقول لك: إنه قال: لو أتاك على فرس، ولم يقل أتاك على ناضِح بعير لقلنا، ولكنّي أُمسِك عن ذلك لاستغنائي عنه؛ لأني قلت لأبي عمر بن الخطاب: إذا أتاني سائل على فرس يسألني أعطيته؟ فقال: إني سألت رسول اللهﷺ عما سألتني عنه، فقال لي: نعم إذا لم تصب راجِلاً. ونحن أيها الرَّجل نُصِيب رجّالة فعلام أُعطيك وأنت على بعير؟ فقلت له: بحق أبيك الفاروق، وبحق الله عز وجل، وبحق رسول اللهﷺ لما أوقرته لي تَمْراً، فقال لي عبد الله: أنا مُوقِرُه لك تَمْراً، ووحق الله ووحق رسوله لئن عاودت استحلافي لا أبررتُ لك قسمك، ولو أنك اقتصرت على استحلافي بحق أبي عليّ في تمرة أعطيكها لما أنفذت قسمك، لأني سمعت أبي يقول: إن رسول اللهﷺ قال: لا تُشدُّ الرّحالُ إلى مسجد لرجاء الثواب إلا إلى المسجد الحرام ومسجدي بِيَثْرِب، ولا يُبِرُّ امرؤٌ قَسَم مُستَحْلِفه إلا أن يستَحْلِفَه بحق الله وحق رسوله، ثم قال للسودان في تلك الحال: أوقِرُوا له بعيرَه تمراً، قال: ولما أخذ السودان في حشو الغرائر قلتُ: إن السودان أهلُ طرب، وإن أَطْربتُهم أجادوا حَشوَ غرائري، فقلت: يا بنَ الفاروق، أتأذن لي في الغناء فأُغَنِّيك؟ فقال لي: أنت وذلك، فاندفعت في النَّصْب[٢]، فقال لي: هذا الغناء الذي لم نزل نعرفه. ثم غنَّيته صوتاً آخر لطُوَيْس المغنِّي وهو: **[الطويل]**

خلِيلَيَّ ما أُخْفِي مِنَ الحُبِّ ناطِقٌ ... ودَمْعي بما قُلْتُ الغَداةَ شَهيدُ

فقال لي عبد الله: يا هناهُ، لقد حَدَث في هذا المعنى ما لم نكن نعرفه، قال:

---

(١) الناضح: البعير يستقى عليه.

(٢) النَّصب: غناء يشبه الحداء، إلا أنه أرق منه.

ثم غَنَّيتُه لابن سُرَيْج: [السريع]

يـا عَـيْـنُ جـودي بـالـدُّمـوعِ الـسِّـفـاحْ وابْـكـي عـلـى قَـتْـلَـى قُـرَيْـشِ الـبِـطـاحْ

فقال: يا أشْعَب، ويحك، هذا يَحْيِقُ الفؤاد ـ أراد: يحرق الفؤاد، لأنه كان ألثغ لا يُبِين بالراء ولا باللام. قال أشعَب: وكان بعد ذلك لا يراني إلا استعادني هذا الصوت.

[من نوادره]

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكَّار قال: حدثني عمي قال: لقِي أشعبَ صديقٌ لأبيه فقال له: ويحك يا أشعب، كان أبوك ألحَى وأنت أثط[1] فإلى مَنْ خرجت؟. قال: إلى أمّي.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: أخبرنا أحمد بن أبي خَيْثَمة قال: حدثنا مُصْعَبُ بن عبد الله، عن مُصْعب بن عثمان قال: لقِي أشعبُ سالمَ بن عبد الله بن عمر فقال: يا أشعب، هل لك في هَرِيس[2] قد أُعِدَّ لنا؟ قال: نعم، بأبي أنت وأمي. قال: فصِر إليّ، فمضى إلى منزله، فقالت له امرأتُه: قد وَجَّه إليكَ عبدُ الله بن عمرو بن عثمان يدعوك. قال: ويحكِ، إن لسالِم بن عبد الله هريسةً قد دعاني إليها، وعبدُ الله بن عمرو في يدي متى شئت، وسالم إنما دَعْوَتُه للناس فَلْتة، وليس لي بُدٌّ من المُضِيّ إليه. قالت: إذاً يغضَب عبدُ الله، قال: آكل عنده، ثم أصير إلى عبد الله. فجاء إلى سالم وجعل يأكل أكْلَ مُتَعالل فقال له: كُلْ يا أشعب وابعث ما فَضَل عنك إلى منزلك، قال: ذاك أردت بأبي أنتَ وأمّي، فقال: يا غلام، احمل هذا إلى منزله، فحمله ومضى معه فجاء به امرأته فقالت له: ثَكِلتْك أُمُّك، قد حَلَف عبدُ الله أن لا يُكَلّمك شهراً، قال: دَعِيني وإياه، هاتي شيئاً من زَعْفران، فأعطته ودخل الحمَّام يمسح على وجهه ويديه وجلس في الحمام حتى صَفَّرَه، ثم خرج متكئاً على عصا يُرعد، حتى أتى دارَ عبد الله بن عمرو، فلما رآه حاجبُه قال: ويحكَ، بلغتْ بك العلّةُ ما أرى؟ ودخل وأعلم صاحبَه فأذِن له، فلما دخل عليه إذَا سالمُ بنُ عبد الله عنده، فجعل يزيدُ في الرِّعدَة ويُقاربُ الخَطْوَ، فجلس وما يَقدر أن

---

(١) الأثطّ: الخفيف شعر اللحية أو الحاجبين.

(٢) الهريس: القمح المحروس.

يستَقِلّ، فقال عبد الله: ظَلمْنَاك يا أشعب في غَضَبِنا عليك، فقال له سالم: ما لك ويلك! ألم تكن عندي آنفاً وأكلتَ هَرِيسة؟ فقال له: وأيّ أكلٍ ترى بي؟ قال: ويلك! ألم أقل لك كيْتَ وكَيْت وتَقُلْ لي كَيْتَ وكَيْتَ؟ قال له: شُبِّه لك، قال: لا حَوْل ولا قوة إلا بالله، والله إني لأَظُنّ الشيطانَ يتشبّه بك. ويلك! أجادٌّ أنت؟ قال: عليَّ وعليَّ إن كنتُ خرجتُ منذ شهر. فقال له عبدُ الله: اعزُب ويحَك أَتَبْهَته، لا أمَّ لك! قال: ما قلتُ إلا حقّاً، قال: بحياتي اصدُقْني وأنت آمِنٌ من غضبي، قال: لا وحياتك لقد صدَق. ثم حدَّثه بالقصة فضحك حتى استَلْقَى على قفاه.

[ابنه يذكر بعض طرائفه]

أخبرني رضوان بن أحمد بن يوسف بن إبراهيم، عن إبراهيم بن المهديّ أنّ الرشيدَ لمّا ولاّه دمشقَ بعث إليه عبدَ الله بنَ أشعب، وكان يَقْدُم عليه من الحجاز إذا أراد أن يَطرَب.

قال إبراهيم: وكان يحدِّثني من حديث أبيه بالطرائف. عادَلتُه[1] يوماً وأنا خارج من دمشق في قبّة على بغل لألهوَ بحديثه، فأصابنا في الطريق بردٌ شديد فدعوتُ بدُوَّاج[2] سَمُّور[3] لألبسه، فأُتِيت به فلما لبستُه أقبلتُ على ابن اشعب فقلت: حدِّثني بشيء من طمع أبيك. فقال لي: مالك ولأبي، ها أنا إذ دعوت بالدُّوَّاج فما شَككتُ والله في أنك إنما جئتَ به لي، فضحكتُ من قوله، ودعوتُ بغيره فلبستُه وأعطيتُه إياه، ثم قلت له: ألأبيك ولدٌ غيرك؟ فقال: كثير، فقلت: عشرة؟ قال: أكثر، قلت: فخمسون؟ قال: أكثر كثير، قلت: مائة؟ قال: دع المئين وخذ الألوف، فقلت: ويلك! أيُّ شيء تقوله؟ أشعبُ أبوك ليس بينك وبينه أب، فكيف يكون له ألوف من الولد؟ فضحك ثم قال: لي في هذا خبر ظريف، فقلت له: حدثني به، فقال:

كان أبي منقطعاً إلى سُكَينة بنتِ الحسين، وكانت متزوجة بزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان وكانت محبّة له، فكان لا يستقر معها، تقول له: أُريد الحج فيخرج معها، فإذا أفْضَوا إلى مكة تقول: أريد الرجوعَ إلى المدينة، فإذا عاد إلى المدينة،

(١) عادلته: ركبت معه.

(٢) الدوّاج: اللحاف الذي يلبس.

(٣) السَّمّور: حيوان بري يتخذ من جلده فراء ثمينة.

قالت: أريد العمرةَ، فهو معها في سفر لا ينقضي. قال عبد الله: فحدثني أبي قال: كانت قد حلَّفته بما لا كفّارة له ألا يتزوج عليها ولا يتسرَّى ولا يُلِمّ بنسائه وجواريه إلا بإذنها، وحجَّ الخليفةُ في سنة من السنين فقال لها: قد حج الخليفةُ ولا بدَّ لي من لقائه، قالت: فاحلِفْ بأنك لا تدخلُ الطائفَ، ولا تُلمّ بجواريك على وجه ولا سبب، فحلف لها بما رضِيتْ به من الأيْمان على ذلك، ثم قالت له: احلِفْ بالطلاق، فقال: لا أفعل، ولكن ابعثي معي بثقتك، فدعتْني وأعطتني ثلاثين ديناراً وقالت لي: اخرُج معه، وحلّفتني بطلاق بنت وردان زوجتي ألا أُطلِقَ له الخروجَ إلى الطائف بوجه ولا سبب، فحلفتُ لها بما أثلج صدرها، فأذِنَتْ له فخرج وخَرجْتُ معه. فلما حاذَيْنا الطائف قال لي: يا أشعب، أنت تعرفُني وتعرف صنائعي عندك، وهذه ثلاثمائة دينار، خُذْها بارَكَ الله لك فيها وأْذنْ لي أَلُمّ بجَواريَّ فلما سمعتُها ذهب عقلي ثم قلت: يا سيدي. هي سُكَيْنة، فالله الله فيّ. فقال: أوَ تعلم سكينةُ الغيبَ! فلم يزل بي حتى أخذتُها وأذِنتُ له، فمضى وبات عند جواريه. فلما أصبحنا رأيت أبيات قوم من العرب قريبة منا، فلبستُ حُلَّةَ وَشْيٍ كانت لزيد قيمتُها ألفُ دينار، وركبتُ فرسَه وجئتُ إلى النساء فسلّمتُ فردَدْنَ ونسبنني فانتسبتُ نسبَ زيد، فحادثْنني وأنِسن بي. وأقبل رجال الحيّ، وكلما جاء رجل سأل عن نسبي فخُبِّر به هابني وسلّم عليّ وعَظّمني وانصرف، إلى أن أقبل شيخٌ كبير منكر مبطون، فلما خُبِّر بي وبنسبي شال حاجِبَيه عن عينيه، ثم نظر إليّ وقال: وأبي ما هذه خلقةُ قُرَشيّ ولا شمائلُه، وما هو إلا عبدٌ لهم نادّ، وعلمت أنه يريد شراً، فركبتُ الفرسَ ثم مضيتُ، ولحقني فرماني بسهم فما أخطأ قَربُوس السرج[١]، وما شككتُ أنه يلحقني بآخر يقتلني فسلحْتُ - يعلم الله - في ثيابي فلوّثها ونفذ إلى الحُلَّةُ فصيّرها شُهْرة[٢]، وأتيتُ رحْلَ زيد بن عمرو فجلست أغسل الحُلّة وأجففها، وأقبل زيد بن عمرو، فرأى ما لحق الحُلّة والسرج، فقال لي: ما القصة ويلك! فقلت: يا سيدي الصدقُ أنجى! وحدثته الحديثَ فاغتاظ ثم قال لي: ألم يكفِك أن تلبس حلتي وتصنع بها ما صنعت، وتركب فرسي وتجلس إلى النساء حتى انتسبت بنسبي وفضحتني، وجعلتني عند العرب وَلاّجاً[٣] جَمّاشاً[٤]، وجرى عليك ذُلٌّ نُسِب إليّ، أنا نَفِيٌّ من أبي ومنسوبٌ إلى أبيك إن لم أَسُؤْك وأَبْلُغْ في ذلك.

---

(١) قربوس السرج: حنو السرج.

(٢) الشهرة: ظهور الشيء في شنعة.

(٣) الولاّج: الكثير الولوج.

(٤) الجماش: الكثير التعرض للنساء.

ثم لقِي الخليفة وعاد ودخلنا إلى سُكينة، فسألتْه عن خبره كله فخبرها حتى انتهى إلى ذكر جواريه، فقالت: إيه وما كان من خبرك في طريقك؟ هل مَضيْتَ إلى جواريك بالطائف؟ فقال لها: لا أدري، سلي ثِقَتك. فدعتني فسألتني، وبدأتُ فحلفتُ لها بكل يمين محرجة أنه ما مرّ بالطائف ولا دخلها ولا فارقني، فقال لها: اليمينُ التي حلَف بها لازمة لي إن لم أكن دخلتُ الطائف وبتُّ عند جواريَّ وغسَّلْتُهن[1] جميعاً، وأخذ مني ثلاثمائة دينار، وفعل كذا وكذا، وحدَّثها الحديث كله وأراها الحلَّةَ والسرج، فقالت لي: أفعلتَها يا أشعب؟ أنا نَفِيَّة من أبي إن أنفقتَها إلا فيما يسوؤك، ثم أمرت بكبس منزلي[2] وإحضارها الدنانير فأُحضرت، فاشترتْ بها خشباً وبيضاً وسِرْجيناً[3]، وعملت من الخشب بيتاً فحبستني فيه وحلفت ألا أخرج منه ولا أُفارقه حتى أحضن البيضَ كلّه إلى أن يَنْقبَ، فمكثت أربعين يوماً أحضن لها البيض حتى نَقِبَ، وخرج منه فراريج كثيرة فَرَبَّتْهُنَّ وتناسَلن فكنَّ بالمدينة يسمَّين بنات أشعب ونسلَ أشعب، فهؤلاء إلى الآن بالمدينة نَسْلٌ يزيد على الألوف، كلهن أهلي وأقاربي.

قال إبراهيم: فضحكتُ والله من قوله ضحكاً ما أذكر أني ضحكتُ مثلَه قط ووصلته، ولم يزل عندي زماناً حتى خرج إلى المدينة وبلغني أنه مات هناك.

أخبرني أحمدُ قال: حدّثنا مُصْعب بن عبد الله بن عثمان قال: قال رجل لأشعب: إنّ سالم بنَ عبد الله قد مضى إلى بستان فلان ومعه طعام كثير، فبادَر حتى لحِقه فأغلق الغلامُ البابَ دونَه، فتسوّر عليه، فصاح به سالم: بناتي ويلك بناتي، فناداه أشعب: **﴿لقد علِمتَ ما لنا في بناتِك من حقٍّ وإنَّكَ لتعلم ما نريد﴾**[4]، فأمر بالطعام فأخرج إليه منه ما كفاه.

[أشعب يقوقىء مثل الدجاجة]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدّثنا أحمدُ بن سعيد قال: حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال: حدّثني عمِّي قال: بعثتْ سُكَينة إلى أبي الزّناد فجاءها تستفتيه في شيء،

---

(١) غسّلها: جامعها.

(٢) كبس المنزل: هجم عليه فجأة.

(٣) السرجين: الزبل.

(٤) سورة هود، الآية: ٧٩.

فاطّلع أشعبُ عليه من بيت وجعل يُقَوْقِيء مثلَ ما تُقَوْقِيء الدجاجة، قال: فسبح أبو الزّناد وقال: ما هذا؟ فضحكتْ وقالت: إن هذا الخبيث أفسد علينا بعضَ أمرنا، فحلفتُ أن يحضُن بيضاً في هذا البيت ولا يفارقه حتى يَنْقُب، فجعل أبو الزّناد يعجب من فعلها.

وقد أخبرني محمدُ بن جعفر النحوي بخبر سُكَينة الطويل على غير هذه الرواية، وهو قريب منها، وقد ذكرتُه في أخبار سكينة بنت الحسين مفرداً عن أخبار أشعب هذه في أخبارها مع زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا أحمدُ بن أبي خَيْثَمة قال: حدثنا مُصْعب، قال: حدثني بعض المدنيين قال: كان لأشعب خرْق في بابه، فكان ينام ثم يُخرِج يدَه من الخَرْق يطمع في أن يجيء إنسان يطرح في يده شيئاً من شدة الطمع، فبعث إليه بعضُ من كان يعبث به من مُجّان آل الزبَيْر بعبدٍ له فسلح في يده، فلم يعد بعدها إلى أن يُخرج يده.

وأخبرني به الجوهري، عن ابن مَهْرُويه، عن محمد بن الحسن، عن مُصْعب، عن بعض المدنيين فذكر نحوَه ولم يذكر ما فعل به الماجِن.

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهرِيّ قال: حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدّثني محمد بن محمد الزُّبَيْرِيّ أبو طاهر قال: حدثنا يَحْيى بنُ محمد بن أبي قتيلة قال: حدثني إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج أنّ أشعبَ حَدَّثه قال: جاءني فِتْيَة من قُرَيْش فقالوا: إنا نحب أن تُسمِع سالم بن عبد الله بن عمر صوتاً من الغناء وتُعلِمنا ما يقول لك، وجعلوا لي على ذلك جُعْلاً فَتَنَني، فدخلتُ على سالم فقلت: يا أبا عمر، إنّ لي مُجالسةً وحُرمة ومودة وسِنّاً، وأنا مُولعٌ بالتَّرنم، قال: وما التَّرنُّم. قلت: الغناء، قال: في أي وقت؟ قلت: في الخَلْوة ومع الإخوان في المُنْزه، فأُحب أن أُسمِعَك، فإن كَرِهْتَه أمسكتُ عنه، وغنَّيْتُه فقال: ما أرى بأساً، فخرجتُ فأعلمتُهم، قالوا: وأي شيء غنيته؟ قلت: غنيتُه:

قَـرِّبـا مَـربَـطَ الـنّـعَـامَـةِ مِـنّـي ... لَـقَـحَـتْ حَـرْبُ وائـلٍ عـن حِـيـالـي

فقالوا: هذا بارد ولا حركة فيه، ولسنا نرضى، فلما رأيت دَفْعَهم إياي وخفتُ ذهابَ ما جعلوه لي رجعتُ فقلت: يا أبا عمر، آخر، فقال: مالي ولك؟ فلم أملِّكه كلامَه حتى غنيتُ، فقال: ما أرى بأساً، فخرجت إليهم فأعلمتُهم فقالوا:

وأي شيء غنيته؟ فقلت: غنَّيتُه قوله: [الخفيف]

لـم يُـطِـيـقـوا أنْ يَـنْـزِلـوا ونَـزلـنـا وأخـو الـحَـرْبِ مَـنْ أطـاقَ الـنِّـزالا

فقالوا: ليس هذا بشيء، فرجعتُ إليه فقال: مَهْ، قلت: وآخر، فلم أملّكه أمره حتى غنيتُ: [الكامل]

غَـيَّـضْـنَ مِـنْ عَـبَـراتِـهـنَّ وقُـلْـنَ لـي: مـاذا لَـقِـيـتَ مِـنَ الـهَـوَى ولَـقِـيـنـا

فقال: نَهَلاً نَهَلاً[1]، فقلت: لا والله إلا بذاك السّداك، وفيه تمر عَجْوة من صَدَقة عمر فقال: هو لك، فخرجتُ به عليهم وأنا أَخْطر فقالوا: مَهْ، فقلت: غنَّيتُ الشيخ: غَيَّضْن من عَبراتِهنّ وقُلْنَ لي.........

فطرب وفرض لي فأعطاني هذا، وكذّبتُهم، والله ما أعطانِيه إلا استكفافاً حتى صَمتُّ.

قال ابن أبي سعد: السِّداك: الزَّبيلُ الكبير. وفرض لي أي نقَّطني، يعني ما يهبُه الناس للمغنِّين ويُسمُّونه النُّقَط.

[غناؤه وألحانه]

حدّثني الجوهريّ قال: حدثنا محمدُ بن القاسم قال: حدثني قَعْنَبُ بنُ المحرز عن الأصمعيّ قال: حدّثني جعفر بن سليمان قال: قدِم أشعبُ أيامَ أبي جعفر، فأطاف به فتيان بني هاشم وسألوه أن يُغَنِّيَهُم فغنّى فإذا ألحانُه مُطرِبة وحلقُه على حاله، فقال له جعفر بن المنصور: لمن هذا الشعر والغناء: [مجزوء الوافر]

لِـمَـن طَـلَـلٌ بِـذاتِ الـجَـيْـشِ أمـسـى دارِسـاً خَـلَـقـا؟

فقال له: أخذتُ الغناء عن مَعبد، وهو للدّلال، ولقد كنتُ آخذُ اللحن عن مَعْبد فإذا سُئل عنه قال: عليكم بأشعب فإنه أحسَنُ تأديةً له مني.

أخبرني محمد بن مَزْيد قال: حدثنا حمّاد بن إسحاق، عن أبيه، عن عبد الله بن مصعب قال: قدِم جَرِيرٌ المدينةَ، فاجتمع إليه الناسُ يستنشدونه ويسألونه عن شعره، فيُنشِدهم ويأخذون عنه وينصرفون، ولزمه أشعبُ من بينهم فلم يفارقْه، فقال

(١) النهل: ما أكل من الطعام.

له جرير: أراك أطولَهم جلوساً وأكثرَهم سؤالاً، وإني لأظنُك ألأمَهم حَسَباً، فقال له: يا أبا حَزْرة، أنا والله أنفعهُم لك، قال: وكيف ذلك؟ قال: أنا آخذ شِعْرَك فأُحسِّنُه وأُجوِّدُه، قال: كيف تُحسِّنه وتُجَوّده؟ قال: فاندفع فغناه في شعره والغناء لابن سُرَيْج:

صوت

[الكامل]

يا أختَ ناجِيَةَ السَّلامُ عليكم ... قَبْلَ الرَّحيلِ وقبل لَوْمِ العُذَّلِ

لو كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُم ... يَوْمَ الرّحيل فَعَلْتُ ما لم أفْعَلِ

قال: فطرِب جرَير حتى بكى وجعل يزحف إليه حتى لصقت ركبتُه بركبته وقال: أشهد أنك تُحَسِّنه وتُجوِّده، فأعطاه من شعره ما أراد، ووصله بدنانير وكسوة.

حدّثني أحمدُ بن عبد العزيز قال: حدثنا محمدُ بن القاسم قال: حدثني أبي قال: قال الهَيْثَم بن عَدِي: لقيتُ أشعب فقلت له: كيف ترى أهلَ زمانِك هذا؟ قال: يسألونك عن أحاديث الملوكِ ويُعطون إعطاءَ العبيد.

[أشعب وأم عمر بنت مروان]

حدّثني أحمدُ قال: حدّثني محمدُ بن القاسم قال: حدثنا أحمدُ بنُ يحْيى قال: أخبرنا مُصعب قال: حجَّت أم عمر بنت مَرْوان فاستَحْجَبت[١] أشعب وقالت له: أنت أعرفُ الناس بأهل المدينة، فأْذن لهم على مراتبهم، وجلستْ لهم مَلِياً، ثم قامت فدخلت القائلة، فجاء طُوَيْس فقال لأشعب: استأذِن لي على أم عمر، فقال: ما زالت جالسة وقد دَخَلت، فقال له: يا أشعب ملكتَ يومين فلم تَفُتَ بَعْرَتين ولم تَقْطَع شَعْرتين، فدقَّ أشعبُ البابَ ودخل اليها، فقال لها: أنشُدكِ الله يا بنَة مَرْوَان، هذا طُويْس بالباب فلا تتعرَّضي للسانه ولا تُعَرِّضيني، فأذِنَت له، فلما دخل إليها قال لها: والله لئن كان بابك غُلقاً لقد كان باب أبيك فُلُقاً[٢]، ثم أخرج دُفَّه ونقر به وغنَّى.

---

(١) استحجبه: جعله حاجباً عنده.

(٢) باب فُلُق: مفتوح.

[الكامل]

مـا تـمـنـعـي يَـقـظـى فـقـد تُـؤْتَـيْـنَـه ... فـي الـنَّـومِ غـيـر مُـصَـرَّد مَـحْـسُـوبِ
كـان الـمُـنَـى بِـلِـقـائِـهـا فَـلِـقـيـتُـهـا ... فَـلَـهَـوْتُ مِـنْ لَـهْـوِ امْـرِىءٍ مَـكْـذوبِ

قالت: أيهما أحَبُّ إليك العاجِلُ أم الآجل؟ فقال: عاجِلٌ وآجِل، فأمرت له بكُسْوة..

أخبرني الجوهريّ قال: حدثني ابن مَهْرويه، عن أبي مُسْلم، عن المدائني، قال: حدّث رجل من أهلِ المدينة أشعبَ بحديث أعجبه فقال له: في حديثك هذا شيء قال: وما هو؟ قال: تَقْلِيبُه على الرأس.

[بينه وبين الوليد بن يزيد]

أخبرني الجوهري قال: حدثني ابن مَهْرُويه قال: أخبرنا أبو مسلم قال: حدثنا المدائنيّ قال: بعث الوليدُ بن يزيد إلى أشعب بعدما طَلَّق امرأتَه سُعْدَة فقال له: يا أشعبُ، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلّغ رسالتي سُعْدة، فقال له: أحضِر المالَ حتى أنظر إليه، فأحضر الوليد بِدرَةً فوضعها أشعب على عنقه، ثم قال: هات رسالتَك يا أمير المؤمنين، قال: قل لها: يقول لك: [الوافر]

أَسُـعْـدَةُ هـل إلـيـكِ لـنـا سَـبـيـلٌ ... وهـل حـتـى الـقِـيـامَـة مِـنْ تـلاقِـي؟
بـلـى، ولـعـلَّ دَهْـراً أن يُـوَاتِـي ... بِـمَـوْتٍ مِـنْ حَـلِـيـلـكِ أو طَـلاقِ
فـأُصْـبِـحَ شـامِـتـاً وتَـقَـرَّ عَـيْـنـي ... ويُـجْـمَـعُ شَـمْـلُـنـا بـعـد افْـتِـراقِ

قال: فأتى أشْعبُ الباب، فأُخبِرت بمكانه، فأمرتْ ففُرِشَت لها فُرُش وجلستْ فأذِنتْ له فدخل فأنشدها ما أمره، فقالت لخدمها: خذوا الفاسق، فقال: يا سيدتي إنها بعشرة آلاف دِرْهَم، قالت: والله لأقتلنَّك أو تبلّغه كما بلغتني، قال: وما تَهَبِين لي؟ قالت: بِساطي الذي تحتي، قال: قومي عنه، فقامت فطواه ثم قال: هاتي رسالتَك جُعِلتُ فِداءك، قالت: قل له: [الطويل]

أتـبـكـي عـلـى لُـبْـنَـى وأنـتَ تَـرَكْـتَـهـا ... فـقـد ذَهَـبَـتْ لُـبْـنَـى فـمـا أنـت صـانِـعُ؟!

فأقبل أشعبُ فدخل على الوليد فأنشده البيتَ، فقال: أوَّه قتلتني والله، ما تُراني صانعاً بك يابنَ الزانية؟ اختر إمَّا أن أُدلِّيَكَ منكَّساً في بئر، أو أرمِيَ بك من فوق القصر مُنكساً، أو أضربَ رأسَك بعمودي هذا ضربة، فقال: ما كنتَ فاعلاً بي

شيئاً من ذلك قال: ولم؟ قال: لأنَّك لم تَكُن لتُعذِّب رأساً فيه عَيْنان قد نَظرتا إلى سُعْدَة فقال: صدَقْتَ يابْنَ الزّانِيَة، اخرُج عَنّي.

وقد أخبرني بهذا الخَبَر محمدُ بن مَزيد، عن حَمّاد، عن أبيه، عن الهَيْثَم بن عديّ، أنَّ سُعْدَة لَمَّا أنشدَها أشعَبُ قوله: [الوافر]

أسُعْدَةُ هل إليكِ لنا سَبِيلٌ وهل حَتَّى القيامةِ مِنْ تَلاقي؟!

قالت: لا والله لا يكونُ ذلك أبداً، فلما أنْشَدها:

بَلَى ولعَلَّ دَهْراً أن يُواتِي بمَوْتٍ مِنْ حَلِيلِكِ أو طَلاقِ

قالت: كلاً إن شاء الله، بل يَفْعل الله ذلك به، فَلمَّا أنشَدها:

فأُصبِحَ شامِتاً وتَقَرَّ عَيْني ويُجْمَعَ شَمْلُنا بعد افْتِراقِ

قالت: بل تكون الشَّماتَة به. وذكر باقي الخَبَر مثل حديث الجوهري عن ابن مَهْرُويه.

أخبرني عَمّي قال: حَدَّثنا محمدُ بنُ سعدٍ الكُرانيُّ قال: حدَّثَنا العُمَريّ، عن الهَيْثَم بن عَدِي قال: كتبَ الوليدُ بن يَزيد في إشْخاصِ أشعَبَ من الحِجاز إليه وحَملِه على البَريد، فحُمل إليه، فلما دَخَل أمر بأن يَلبس تُبَّاناً ويُجعَل فيه ذَنَبُ قِرْد، ويُشدَّ في رِجْلَيه أجراس، وفي عُنُقه جَلاجل، ففُعِل به ذلك، فدَخَل وهو عَجَبٌ من العَجَب، فلما رآه ضَحِك منه وكَشَف عن أيْره، قال أشعب: فنظرت إليه كأنه نايٌ مَدْهون، فقال لي: اسجُد للأصمّ وَيْلَك، يعنْي أيره، فسجَدتُ، ثم رفعتُ رأسي وسجَدتُ أُخرى، فقال: ما هذا؟ قلتُ: الأولى للأصَمّ، والثانية لخُصْيَتَيْك، فضَحِك، وأمر بنَزْع ما كان ألْبَسَنيه ووَصَلني، ولم أزل من نُدَمائه حتى قُتِل.

أخبرني محمدُ بن مَزْيد قال: حدّثنا حَمّادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه قال: قال رجل لأشعَب: إنه أُهدِي إلى زياد بن عبد الله الحارثي قُبَّة أَدَم قيمَتُها عَشْرة آلاف دِرْهَم فقال: امرأتُه الطَّلاق لو أنَّها قُبَّةُ الإسلام ما ساوَتْ ألْف دِرْهم. فقيلَ له: إن معها جُبَّةَ وَشي حَشوها قَزٌّ قِيمَتُها عشرون ألف دينارٍ، فقال: أُمُّه زانِية لو أنَّ حَشوهَا زَغَبُ أجنِحَة الملائِكة ما ساوت عِشْرين دِيناراً.

[بينه وبين رجل من ولد عامر بن لؤي]

أخبرني عمّي قال: حدّثني أبو أيوب المدَائني قال: حدثني مُصْعَب بن عبد

الله الزُّبَيْري عن أبيه قال: حدّثني أشعب قال: وَلِيَ المَدِينَة رجلٌ من ولَد عامِر بن لُؤيّ، وكان أبخَلَ النَّاس وأنكدَهم. وأغراه الله بي، يَطْلُبُني في لَيْلِه ونَهارِه، فإن هَرَبْتُ منه هَجَم على مَنْزِلي بالشُّرَط، وإن كنتُ في موضع بعثَ إلى مَن أكونُ معه أو عنده يطلُبُني منه، فيُطالبُنِي بأن أُحدِّثه وأُضحِكه، ثم لا أَسْكُت ولا ينام، ولا يُطعمُني ولا يُعطيني شيئاً، فلقيتُ منه جهداً عظيماً وبَلاءً شديداً. وحَضَر الحَجُّ، فقال لي: يا أشعب، كن معي، فقلت: بأبي أنت وأمي، أنا عليل، وليست لي نية في الحج. فقال: عَلَيه وعَلَيه وقال: إن الْكَعبةَ بَيتُ النار، لَئِن لم تَخرُجْ معي لأُودِعَنَّك الحبْس حتى أَقدُم، فخرجتُ معه مُكرَهاً، فلما نزلنا المَنْزل أظهرَ أنه صائم ونام حتى تَشاغَلْتُ، ثم أكل ما في سُفْرته، وأمر غُلاَمه أن يُطعِمَني رغِيفَيْن بِمِلْح، فجِئتُ وعندي أنَّه صائم ولم أزل أنتَظر المغرِب أتوقَّع إفطارَه، فلما صَلّيتُ المغرِبَ قلتُ لِغُلامه: ما ينْتَظِر بالأَكْل؟ قال: قد أكل منذُ زمانٍ، قلت: أوَلَمْ يَكُنْ صائِماً؟ قال: لا. قلت: أفأطوي أنا؟ قال: قد أعدّ لك ما تأكله فكُلْ، وأخرجَ إليَّ الرَّغِيفَيْنِ والمِلْحَ فأكلتُهما وبِتُّ مَيِّتاً جوعاً، وأصبحتُ فسِرْنا حتى نزلنا المنزِل، فقال لغلامه: ابتَعْ لنا لَحماً بدِرْهم، فابتاعه، فقال: كَبِّب لي قِطَعاً، ففعل، فأكله ونَصَب القِدْر، فلما اغبرَّت قال: اغرُف لي منها قِطعاً، ففعل، فأكلها، ثم قال: اطرح فيها دُقَّة وأطعِمْني منها، ففعل، ثم قال: ألقِ توابِلَها وأطعِمْني منها، ففعل؛ وأنا جالس أنظرُ إليه لا يدعوني، فلما استوفى اللحمَ كلَّه قال: يا غُلام؛ أطعِم أشعبَ، ورمى إليّ برغِيفَيْن، فجئتُ إلى القِدْر وإذا ليس فيها إلا مَرَق وعِظام، فأكلت الرَّغِيفَين، وأخرج له جراباً فيه فاكهةٌ يابسةٌ، فأخذ منها حفنة فأكلها وبقي في كَفِّه كَفُّ لوزٍ بقِشْرِه، ولم يَكُنْ له فيه حيلة، فرمى به إليَّ وقال: كُلْ هذا يا أَشْعب، فذهَبْتُ أكسِر واحدة منها فإذا بضِرْسي قد انكَسَرت منه قِطْعَة فسَقَطَتْ بين يديَّ، وتباعدتُ أطلبُ حَجَراً أكسِرُه به، فوجدتُه، فضربت به لوزة فطفَرْت ـ يعلمُ الله ـ مقدارَ رَمْية حَجَر، وعدوتُ في طَلَبها، فبيْنما أنا في ذلك إذ أقبل بَنُو مُصعَب ـ يعْني ابنَ ثابت وإخوته ـ يُلبُّون بتلك الحُلوق الجَهْوَرِيَّة، فصِحْتُ بهم: الغَوثَ الغَوث العِياذُ بالله وبكم يا آل الزُّبير، الْحَقُوني وأدرِكُوني، فرَكَضُوا إليَّ، فلما رأَوْني قالوا: أشعب، ما لك ويلك؟ قلت: خذوني معكم تُخَلِّصوني من المَوْت، فحمَلوني معهم، فَجَعلت أُرفْرِفُ بِيَدِي كما يفعل الفَرْخ إذا طَلَب الزَّقَّ من أبويه، فقالوا: ما لَكَ ويلك؟ قلت: ليس هذا وقتَ الحديث، زُقُّوني مما معكم، فقد مُتُّ ضُرّاً وجُوعاً منذ ثلاث، قال: فأطعَموني حتى تراجَعَت نفسي، وحملوني معهم في

مَحْمَل، ثم قالوا: أخبرنا بقِصَّتك، فحدَّثتُهم وأريتهم ضِرْسي المكسورة، فجعلوا يضْحكُون ويُصَفِّقون وقالوا: ويلك، مِنْ أينَ وقعتَ على هذا؟ هذا من أبخَلِ خَلْقِ الله وأدنَئِهم نَفْساً، فَحلفتُ بالطّلاق أني لا أدخُل المدينةَ ما دَامَ له بها سُلطان، فلم أدخُلْها حتى عُزِل.

أخبرني رضْوانُ بنُ أحمد الصَّيْدلانيُّ قال: حدَّثنا يوسُفُ بنُ إبراهيم قال: حدّثنا إبراهيمُ بنُ المهدِيّ قال: حدَّثني عُبَيْدةُ بن أشعب قال: كان الغاضرِيُّ مُنذِرَ[1] أهلِ المدينة ومُضحِكَهم قَبْل أبي، فأسقَطه أبي واطُّرِح، وكان الغاضرِيُّ حَسَنَ الوَجه مادّ القامةِ عَبْلاً[2] فَخْماً، وكان أبي قَصيراً دَميماً قليلَ اللّحم؛ إلاّ أنَّه كان يتضرَّم ويتوقَّد ذَكاءً وحِدّة وخفَّة رُوح، وكان الغاضريّ يحسده إلا أنهما متساويان، وكان الغاضريُّ لقيطاً منبوذاً لا يُعرَف له أبٌ، فمرّ يوماً ـ ومعه فِتيَة من قُرَيش ـ بأبي في المسجِد وقد تأذَّى بثيابه فنَزعها، وتجرَّد وجَلَس عُرْياناً، فقال لهم الغاضريّ: أنشدتُكم الله هل رأيتم أعجبَ من هذه الخِلْقة! يريد خِلْقَةَ أبي، فقال له أبي: إنّ خِلقَتي لعَجِيبَة، وأعجب منها أنه زَقَّني[3] اثنان فصِرْت نِضْواً، وزَقَّك واحد فصِرْتَ بُخْتياً؛ قال: وأهلُ المَدِينة يُسمون المَهْلُوس[4] من الفِراخ النِّضو والمُسَرْوَل[5] البُخْتِيّ، فغضب الغاضريُّ عند ذلك وشتَمَه، فسقط واستُبرِد، وترك النوادِرَ بعد ذلك، وغَلَب أبي على أهْل المَدينة واستَطابُوه، وكان هذا سَبَبه.

[أشعب وزياد بن عبد الله الحارثي]

أخبرني جَعْفَرُ بنُ قُدَامَة قال: حدّثنا حَمّادُ بنُ إسحاقَ عن أبيه قال: كان زيادُ ابنُ عبد الله الحارثيّ أبخلَ خَلْق الله، فأولَمَ وليمَةً لطُهْر بعض أولادِه، وكان النّاس يَحضُرون ويُقدَّم الطّعامُ فلا يأكُلون منه إلا تَعَلُّلاً وتَشَعُّثاً[6] لعِلْمِهم به، فقُدِّم فيما قُدِّم جَدْيٌ مشويّ فلم يَعرِض له أحدٌ، وجعل يُرَدِّده على المائدة ثَلاَثَة أيّام والناس

---

(١) المندر: الكثير النوادر.
(٢) العبل: الضخم.
(٣) زقني: أطعمني بفيه.
(٤) المهلوس: المهزول.
(٥) المسرول: الذي في رجليه ريش كأنه سروال.
(٦) تشعث من الطعام: أكل منه قليلاً.

يَجْتَنِبُونَه إلى أن انقضت الوليمةُ، فأصغى أشعبُ إلى بعض مَنْ كان هناك فقال: امرأتُه الطَّلاق إن لم يَكُن هذا الجذْيُ بعد أن ذُبح وشُوِي أطْولَ عُمْراً وأمدَّ حَياةً منه قبل أن يُذْبَح، فَضَحِك الرّجلُ، وسَمِعها زِيادٌ فتغافَل.

أخبرني عَمِّي قال: حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سَعد قال: حدّثني محمدُ بنُ عبد الله بن مالك عن إسحاق قال: حدّثني إبراهيمُ بنُ المَهْدِيّ، عن عُبَيدة بن أشعب قال: غَضِبتْ سُكَيْنَةُ على أبي في شَيءٍ خالفَها فيه فَحلَفت لتَحْلِقَنَّ لِحيَته، ودعت بالحَجَّام فقالت له: احْلِق لِحْيَته، فقال له الحَجَّام: انفُخ شدْقَيْك حتى أتمَكّن منك، فقال له: يابْنَ البَظْراء أمرتْك أن تَحْلِق لِحيتي أو تُعَلِّمني الزَّمْر! خبِّرني عن امرأتك إذا أردت أن تحلِق حِرَها تَنفُخ أشداقَه! فغضِب الحجَّام وحلف ألاّ يَحْلِق لِحْيَته وانصرف، وبلغَ سُكَيْنَة الخَبر وما جرى بينهما فضَحِكت وعَفَت عنه.

أخبرني محمد بنُ خَلَف بنِ المَرْزُبان قال: حدَّثني أبو العَيْناء عن الأصمعيّ قال: أهدى كاتبٌ لزياد بن عبد الله الحارثيّ إليه طعاماً، فأُتي به وقد تَغدَّى فغَضب وقال: ما أصنَعُ به وقد أكلْت؟ ادعُوا أهل الصُّفّة[1] يأكلونه، فبَعَث إليهم وسأل كاتِبَه: فيمَ دعا أهلَ الصُّفَّة؟ فعرّف، فقال الكاتب: عرِّفوه أنّ في السِّلال أخبِصَةً[2] وحَلْوَاءَ ودَجاجاً وفِراخاً، فأُخْبِر بذلك، فأمر بكَشْفها، فلما رآها أمر برَفْعها فرُفِعَت، وجاء أهلُ الصُّفَّة فأُعلم، فقال: اضربُوهم عِشْرين عِشْرين دِرَّة واحْبِسوهم فإنهم يَفْسُون في مَسْجد رسول الله ﷺ ويؤذُون المُصَلِّين، فكُلِّم فيهم، فقال: حَلِّفُوهم ألاّ يُعاوِدُوا وأطلِقوهم.

[أشعب وأبان بن عثمان والأعرابي]

أخبرني محمدُ بنُ مزْيد قال: حدّثنا عُمَر بنُ شبَّة قال: حدّثنا ابنُ زبالة، قال: حدثنا ابن زَبَنَّج راوية ابنِ هَرْمة عن أبيه قال: كان أبانُ بنُ عُثْمان من أهزَلِ النَّاس وأعبَثِهم، وبلغ من عَبثه أنه كان يَجيءُ بالليْل إلى منْزل رَجُل في أعلى المَدِينة له لَقَبٌ يَغضَب منه فيقولُ له: أنا فُلاَنُ بنُ فُلان، ثم يَهْتِف بلقَبه، فَيشْتُمُه أقبَح شَتْم

(١) أهل الصفة: بعض فقراء المسلمين في زمن رسول الله ﷺ لم يكن لديهم بيوت يبيتون فيها فكانوا ينامون في مكان مظلل بمسجد المدينة ويؤمن لهم الأغنياء طعامهم ولباسهم.

(٢) أخبصة: جمع خبيص، وهو الحلواء المخلوطة من السمن والتمر.

وأبانُ يَضْحكُ. فبينما نحنُ ذاتَ يوم عنده وعنده أَشْعَبُ إذ أقبَل أعرابيٌّ ومعه جَمَل له، والأعرابيُّ أشقَرُ أزرقُ أزْعَرُ غَضوبٌ يتلظَّى كأنه أفعَى، ويَتَبيَّنُ الشَّرُّ في وَجْهه ما يدنو منه أحدٌ إلا شتَمه ونَهَره، فقال أشعبُ لأبان: هذا واللَّهِ من البادية ادعوه، فدُعِيَ وقيل له: إن الأميرَ أبانَ بنَ عُثمان يَدْعُوك، فأتاه فسلَّمَ عليه، فسأله أبانُ عن نسبه فانتسب، له، فقال: حيَّاك الله يا خالي، حبيبٌ ازدادَ حُبّاً فجلس، فقال له: إنّي في طَلَب جَمَل مِثْل جملِك هذا مُنْذ زمان فلم أَجِدْه كما أشتهي بهذِه الصِّفَة، وهذه القامة، واللون، والصدر، والورك، والأخفاف، فالحمد لله الذي جَعَل ظَفَري به من عند من أُحِبّه، أتبيعُه؟ فقال: نعم أيها الأمير، فقال: فإني قد بذلتُ لك به مائةَ دينار ـ وكان الجملُ يُساوي عَشْرة دنانير ـ فَطَمِع الأعرابيُّ وسُرَّ وانْتَفَخ، وبان السُّرورُ والطَّمع في وَجهه، فأقبل أبان على أشعب ثم قال له: ويْلك يا أشعب! إنَّ خالي هذا من أَهْلِك وأقاربك ـ يعني في الطمع ـ فأوسع له ممّا عندك. فقال له: نعم بأبي أنت وزيادة، فقال له أبان: يا خالي، إنما زِدْتُك في الثمن على بَصِيرة وإنَّما الجمَل يُساوي سِتّين ديناراً، ولكن بذلتُ لك مائة لِقِلَّة النَّقْد عندنا. وإني أُعطيك به عُروضاً[1] تُساوي مِائة، فزاد طَمَعُ الأعرابي وقال: قد قَبِلْتُ ذلك أَيُّها الأمير.

فأَسَرَّ إلى أشعب، فأخرجَ شيئاً مُغَطّى فقال له: أخرجْ ما جِئْتَ به، فأخْرجَ جَرْد عمامة خَزٍّ خَلَقٍ تُساوي أربعة دراهم، فقال له: قوِّمها يا أشعب، فقال له: عِمامَةُ الأمير تُعرَف به، ويَشْهَدُ فيها الأعيادَ والجُمَع ويَلْقَى فيها الخُلفَاءَ؛ خمْسُون ديناراً. فقال: ضَعْها بين يَدَيْه. وقال لابنِ زَبَنَّج، أثبِت قيمتَها. فكتَبَ ذلك، ووُضِعَت العمامةُ بين يَدي الأعرابي، فكاد يدخُل بعضُه في بَعْض غَيْظاً، ولم يقدر على الكلام، ثم قال: هاتِ قَلنسُوَتي، فأخرج قَلَنْسُوة طَويلة خَلَقَة قد عَلاها الوَسَخ والدُّهْن وتَخرَّقَت، تساوي نِصْفَ دِرْهم، فقال: قوِّم، فقال: قلنْسُوَة الأمير تعلُو هامَتَه ويُصَلِّي فيها الصَّلَوات الخمس، ويجلسُ للحُكم؛ ثلاثُون ديناراً. قال: أثْبِت، فأَثبَتَ ذلك، ووُضِعَت القَلَنْسُوةُ بين يَدي الأعرابيّ، فتربّدَ وجهُه[2] وجَحَظَت عَيْناه وهَمَّ بالوُثوب، ثم تماسَك وهو مُتَقَلْقِل. ثم قال لأشعب: هات ما عِنْدَك،

---

(١) العروض: جمع عرض، وهو كل شيء سوى الدراهم.

(٢) تربد وجهه: تغير لونه حتى ظهر أغبر.

فأخرج خُفَّين خَلَقَين قد نُقِبا[١] وتَقَشّرا وتَفَتَّقا، فقال له: قوِّم، فقال: خُفَّا الأمير يَطأُ بهما الرَّوضَة، ويعلو بهما مِنْبر النبيّ ﷺ؛ أربعُون ديناراً. فقال: ضَعْهُما بَيْن يَدَيه فوضَعَهما. ثم قال للأعرابي: اضمُم إليك متاعَك، وقال لبَعْضِ الأعوان: اذهبْ فخُذ الجملَ، وقال لآخر: امْضِ مع الأعرابي فاقبض منه ما بَقِيَ لنا عليه من ثَمَن المتاع وهو عِشْرُون ديناراً، فوَثب الأعرابيُّ فأخَذَ القُماشَ فَضَرب به وُجوه القَوْم لا يَأْلُو في شِدَّة الرَّمي به، ثم قال له: أتدري أصلَحَك الله من أي شيء أموتُ؟ قال: لا، قال: لم أُدرِك أَبَاكَ عُثمان فأشتَرِكَ والله في دمه إذ وَلَد مِثْلَك، ثم نَهَض مثلَ المجنون حتى أَخَذَ برأس بَعيره، وضَحِك أبان حتى سَقَط وضَحِك كلُّ من كان معه. وكان الأعرابيُّ بعد ذلك إذا لَقِي أَشْعب يقول له: هَلُمَّ إليّ يا بْنَ الخبيثة حتى أُكافِئَك على تَقْويمك المتاع يوم قُوِّم، فيهرب أشعبُ منه.

أخبرني جَعْفَرُ بنُ قُدامة قال: حدثنا أحمدُ بنُ الحارِث، عن المدائنيّ قال: حدّثني شيخ من أهل المدينة قال: كانت بالمَدينة عجوزٌ شديدَةُ العَيْن، لا تنظُر إلى شيء تَسْتَحْسِنه إلا عانَتْه[٢] فدخلت على أشعب وهو في المَوْت، وهو يقول لبِنْته: يا بُنَيَّة، إذا مُتُّ فلا تَندُبيني والناس يَسمَعُونَك، فتقولين: وا أبتاه أندُبك للصَّوم والصَّلوات، وا أَبتاه أَندُبُك للفِقْه والقراءَة، فيُكذِّبُك النَّاسُ ويلْعَنُوني. والتَفَتَ أشعبُ فرأى المرأة، فغَطَّى وجهه بكُمِّه وقال لها: يا فلانة بالله إن كُنتِ استَحْسَنْتِ شيئاً ممّا أنا فيه فصَلِّي على النبيّ ﷺ لا تُهْلِكِيني. فغضِبت المرأةُ وقالت: سَخِنت عَيْنُك، في أيّ شيء أنت مما يُستحسَن! أنتَ في آخر رَمَق! قال: قد علمت ولكن قُلت لئلا تكوني قد استَحْسَنْتِ خِفَّة الموت عليَّ وسُهولة النَّزع، فَيَشْتَدُّ ما أنا فيه. وخرجَت من عِنْده وهي تشتُمه وضَحِك كلُّ مَنْ كان حوله من كلامه، ثم مات.

[أمثلة من طرائفه وطمعه]

أخبرني الحَسَنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدَّثَنا أبو أيوب المدينيّ، عن مصعب قال: لاعب أشْعَبُ رَجلاً بالنَّرْد، فأشرَف على أنْ يَقمُرَه إلا بضرب ذُو يكّين، ووقع الفصّان في يد ملاعبه، فأصابه زَمَع[٣] وجزع،

(١) نُقِب الخفّ: تخرّق.

(٢) عانته: أصابته بالعين.

(٣) الزمع: الخوف.

فضَرَب يكين وضَرَط مع الضَّرْبة فقال له أشعَب: امرأتُه طالِق إن لم أحسب لك الضَّرْطة بنُقْطة حتى يَصير لك اليكّان دُو ويكّ وتَقْمر. وسلم له القَمْر بسبب الضَّرْطة.

أخبرني الحَسَن. قال: حدَّثَنا أحمدُ، قال حدّثني أَبو أيوب، عن حَمَّاد، عن ابن إسحاق، عن أَبيه قال: قال رجل لأشْعَب: كان أَبوكَ أَلْحَى وأنت أَثَطُّ، فإِلى مَنْ خَرجت؟ قال: إلى أُمِّي، فمرّ الرجلُ وهو يَعْجَب من جوابه، وكان رجُلاً صالحاً.

أخبرني هاشِمُ بنُ مُحمد الخُزاعِيّ قال: حدّثني الرِياشِيُّ قال: سَمِعْتُ أبا عاصم النَّبِيل يقول: رأَيتُ أشعبَ وسأَلَه رجُلٌ: ما بَلَغ من طَمَعِك؟ قال: ما زُفَّت عروسٌ بالمدينة إلى زوجها قَطّ إلا فَتَحْتُ بابي، رَجاءَ أن تُهدى إلي.

أخبرني حَبِيبُ بنْ نَصْر المُهَلَّبي قال: حدَّثنا الزُّبير بنُ بكّار عن عمِّه قال: تظَلَّمت امرأةُ أشعب منه إلى أبي بكر محمد بن عَمْرو بن حَزْم وقالت: لا يَدَعُنِي أهداً من كَثْرة الجماع، فقال له أشْعَب: أتُرانِي أعلِفُ ولا أركَبُ، لِتكُفَّ ضِرْسَها لأكفَّ أيْري.

قال: وشَكا خَالٌ لأشْعَب إليه امرأَتَه وأنها تخونُه في ماله، فقال له: فَدَيْتُك لا تأْمَنَن قحبة، ولو أنَّها أُمُّك! فانصرف عنه وهو يَشتُمه.

أخبرني عمِّي قال: حدَّثَني عبدُ الله بنُ أبي سَعْد، قال: حدَّثني قَعنبُ بنُ المُحرِز، عن الأصمعي، عن جَعْفَر بنِ سُلَيمان، قال:

قَدِم علينا أشعَبُ أَيّامَ أبي جَعْفَر، فأطاف به فِتْيان بني هاشم، وسأَلوه أن يُغَنِّيَ فغَنَّاهم فإِذا أَلْحَانُه مُطرِبة وحَلْقُه على حاله، فسألوه: لمَنْ هذا اللَّحن:

[مجزوء الوافر]

لِمَنْ طَلَلٌ بذاتِ الجَيْـ ... ـشِ أَمْسَى دارِساً خَلَقا؟

فقال: للدلال، وأخذته عن مَعْبَد، ولقد كنتُ آخذ عنه الصوت، فإِذا سُئِل عنه قال: عَليكُم بأشعب فإِنه أحسَنُ أداءً له مني.

[أشعب والحسن بن الحسن بن عليّ]

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ قال: حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهرويه، قال: ذكر

الزُّبير بن بكّار، عن شُعَيْب بن عبيدة بن أشعب، عن أبيه قال: كان الحَسَنُ بنُ الحسَنِ بنِ عليّ بن أبي طالبﷺ يَعْبث بأبي أشَدَّ عَبَث، وربما أراه في عَبَثه أنه قد ثَمِل وأنه يُعَربِد عليه، ثم يخرج إليه بَسيْف مَسْلول ويُريه أنه يُريد قتلَه، فيَجري بيْنهما في ذلك كلّ مُستَمع، فهَجَره أبي مدَّة طويلة، ثم لَقيه يوماً، فقال له: يا أشْعَب، هَجَرْتَني وقَطَعتني ونَسِيت عَهْدي، فقال له: بأبي أنتَ وأُمّي، لو كنتَ تعربد بغير السَّيْف ما هَجَرتُك، ولكن ليس مع السَّيف لَعِبٌ، فقال له: فأَنا أُعفِيك من هذا فلا تَراه منّي أبداً، وهذه عَشرة دنانير، ولك حِماري الذي تَحْتِي أحمِلُك عليه، وصِرْ إليَّ ولك الشرط ألاّ ترى في دارِي سَيْفاً، قال: لا والله أو تُخرِج كلّ سيف في دارك قبل أن نأْكُل قال: ذلك لك، قال: فجاءه أبي، ووفّى له بما قال من الهِبَة وإخراج السُّيُوفِ، وخلَّف عنده سَيْفاً في الدار، فلما توسَّط الأمر قام إلى البيت فأخرج السيفَ مَشْهوراً، ثم قال: يا أشعب إنما أخرجت هذا السيفَ لخير أُرِيدُه بك، قال: بأَبي أنتَ وأُمّي، فأيُّ خَيرٍ يكون مع السَّيف؟ ألست تَذْكُر الشرطَ بيننا؟ قال له: فاسْمَع ما أقول لك، لست أضرِبُك به، ولا يلحَقُك منه شَيْء تكرَهُه، وإنما أُريد أن أَضْجعَك وأجلِس على صَدْرِك، ثم آخذ جِلدَة حَلْقِك بإِصْبَعي من غير أن أَقبِض على عَصَب ولا وَدَج ولا مَقْتَل، فأحزَّها بالسيف، ثم أقومُ عن صَدْرك وأُعطيك عِشْرين ديناراً، فقال: نشَدْتُك اللّهَ يابنَ رسولِ الله ألاّ تَفْعَل بي هذا! وجعل يَصْرُخ ويَبكي ويَسْتَغِيث والحَسن لا يَزِيدُه على الحَلْفِ له أنه لا يقتلُه ولا يتجَاوز به أن يَحُزّ جلدَه فقط، ويتوَعّده مع ذَلك بأنَّه إن لم يفعله طائِعاً فعله كارِهاً، حتى إذا طال الخَطْب بينهما، واكتَفَى الحَسَن من المَزْح معه، أراه أنَّه يتغافل عنه، وقال له: أنت لا تفعل هذا طائعاً، ولكن أجِيءُ بحَبْل فأكْتِفك به، ومضى كأنه يجيء بحبل، فهرَبَ أشعَبُ وتَسوَّر حائِطاً بينه وبين عبد الله بن حسن أخِيه فسقَطَ إلى داره، فانفكّت رِجله وأُغمِي عليه، فخرج عبد الله فَزِعاً، فسأله عن قصته، فأخبره، فضحك منه وأمر له بعشرين ديناراً، وأقام في منزله يعالجه ويَعولُه إلى أن صَلَحت حالُه. قال: وما رآه الحَسَنُ بنُ الحسَن بعدها.

وأخبرني الحَرَمِيّ بنُ أبي العَلاَء قال: حدّثنا الزّبيْرُ بنُ بَكّار قال: حدَّثني عَمِّي قال: دعا حَسَنُ بنُ حَسَن بن عليّﷺ أشعَبَ، فأقام عنده، فقال لأشْعَبَ يوماً: أنا أشتهي كَبِدَ هذه الشّاة ـ لشاةٍ عنده عَزِيزَةٍ عليه فارِهةٍ ـ فقال له أشْعَب: بأَبي أنتَ وأُمِّي أعْطِنيها وأنا أذْبَح لك أسمَنَ شاةٍ بالمدينة، فقال: أُخبِرك أني أشتَهِي كَبِدَ هذه

وتقُولُ لي: أسْمَنَ شاة بالمدينة، اذبَحْ يا غُلام، فَذَبَحَها وشوى له من كَبدِها وأطايِبِها، فأكل. ثم قال لأشعبَ من الغد: يا أشعب أنا أشتَهِي من كَبِد نَجِيبي هذا - لِنَجِيب كان عنده ثمنه أُلوف دراهم - فقال له أشعب: يا سيدي في ثمن هذا والله غناي، فأُعطِنيه وأنا والله أُطعِمُك من كَبِد كلّ جَزور بالمَدِينة، فقال: أخبرك أنّي أشتَهِي من كَبِد هذا وتُطْعِمُني من غيره! يا غلام انحَر، فَنُحِر النَّجِيبُ وشَوى كَبِدَه فأكلا، فلما كان اليَومُ الثالثُ قال له: يا أشعب، أنا والله أشتهي أن آكل من كَبِدك، فقال له: سُبْحان الله أتأكُلُ من أكبادِ النّاس! قال: قد أخبرتك، فوثب أشَعب فرَمى بنَفسِه من درجة عالِيَة فانكَسَرت رِجلُه، فقيل له: ويْلَك أظَنَنْتَ أنَّه يَذْبَحُك؟ فقال: والله لو أن كبدي وجَميع أكبادِ العَالَمين جَميعاً اشتَهاها لأكَلَها. وإنّما فَعَل حسن بالشّاةِ والنَّجِيب ما فَعَل تَوْطِئة للعَبَث بأشعب.

تمت أخباره.

صوت

[المتقارب]

أَلَـمّـتْ خُـنـاسُ وإلـمـامُـهـا أحـادِيـثُ نَـفْـسٍ وأَحْـلامُـهـا
يَـمـانِـيـةٌ مِـنْ بـنـي مـالِـكٍ تَـطَـاوَلَ فـي الـمَـجْـدِ أَعْـمـامُـهـا

الشعر لعُوَيف القَوافي الفَزَارِيّ والغِناء للهُذَلِيّ رمل بالوسطى، عن عمرو، وذكر حَمّاد بن إسحاق عن أبيه أن فيه لَحْناً لجَمِيلة ولم يذكُر طَرِيقَتَه، وفيه لأبي العُبَيْس بنِ حَمْدون خَفِيف ثَقِيل مُطْلَق في مَجْرى الوُسْطى.

أخبار عُوَيف ونسبه

[توفي نحو سنة ١٠٠ هـ/نحو سنة ٧١٨ م]

[اسمه ونسبه]

هو عُوَيف بنُ مُعاوِية بنِ عُقْبة بنِ حِصْن وقيل: ابنُ عُقْبة بن عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفة بنِ بَدْرِ بنِ عَمْرو بن جُوَيّة بن لَوْذان بن ثَعْلبة بن عَدِيّ بن فَزارَة ابن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بنِ قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار. وعُوَيْف القوافِي شاعِرٌ مُقِلٌّ من شُعَراء الدَّوْلة الأُموِيَّة من ساكِني الكُوفة، وبَيْتُه أحدُ البُيوتِ المُقدَّمة الفاخِرة في العَرَب.

[بيوتات العرب المشهورة بالشرف]

قال أبو عبيدة: حدَّثَنِي أبو عَمْرو بنُ العَلاء أنَّ العَرب كانت تَعُدُّ البُيوتاتِ المَشْهورة بالكِبَر والشَّرف من القَبائِل بعد بيت هاشِم بنِ عبد مَناف في قُرَيْش ثلاثةَ بيوت، ومنهم من يَقولُ أربعة، أولُها بَيْت آل حُذَيْفة بنِ بَدْر الفَزارِيّ بيتُ قيس، وبيْتُ آلِ زُرارة بنِ عُدَس الدّارِمِيَّيْن بيتُ تميم، وبيتُ آلِ ذي الجَدّين بن عبد الله بنِ همّام بَيتُ شَيْبان، وبَيْتُ بني الدّيان من بني الحارث بن كَعْب بَيْتُ اليَمن. وأما كِنْدة فلا يُعدُّون من أهل البُيوتات، إنما كانوا مُلوكاً.

[كسرى يسأل عن شرف القبيلة]

وقال ابنُ الكَلْبيّ: قال كِسْرى للنُّعْمان: هل في العرب قَبِيلة تَشْرُف على قَبِيلة؟ قال: نعم. قال: بأيِّ شيءٍ؟ قال: مَنْ كَانَتْ له ثَلاثَةُ آباء متوالية رُؤَساء، ثم اتَّصَل ذلك بكمال الرَّابع، والبيتُ من قَبِيلَته فيه. قال: فاطلُبْ لي ذلك، فطَلَبه فلم

يُصِبه إلا في آل حُذَيْفة بنِ بَدْر بيتِ قيس بن عَيْلان، وآلِ حاجب بن زُرارة بيتِ تَميم، وآلِ ذِي الجَدَّين بيت شيبان، وآلِ الأشعثِ بنِ قيس بيتِ كِنْدة. قال: فَجَمَع هَؤُلاء الرَّهط ومَنْ تَبِعَهم من عشائرهم، فأقْعَد لهم الحُكّام العُدولَ، فأَقْبَل من كُلِّ قوم منهم شاعِرُهم، وقال لهم: لِيَتَكَلَّم كُلُّ رجل منكم بمآثِر قومِه وفعالِهم، وليَقُل شاعِرُهم فيصدُق. فقام حُذَيفَة بنُ بَدْر ـ وكان أسنَّ القوم وأجرأهم مُقْدَماً ـ فقال: لقد عَلِمت مَعَدٌّ أنّ منا الشَّرفَ الأقدَم، والعِزَّ الأعظَم، ومأثُرَةَ الصَّنِيع الأكْرم، فقال مَنْ حوله: ولِمَ ذاك يا أخا فَزارة؟ فقال: ألسْنا الدّعائِمَ التي لا تُرام، والعِزَّ الذي لا يُضَام! قيل له: صدقت، ثم قام شاعرهم فقال: [الطويل]

فَزارةُ بَيْتُ العِزِّ والعِزّ فيهمُ ... فَزارةُ قَيْسٍ حَسْبُ قَيْسٍ نِضالُها
لها العِزَّةُ القَعْسَاءُ والحَسَبُ الذي ... بَناه لِقَيْس في القديم رِجالُها
فَمَنْ ذا إذا مُدَّ الأكُفُّ إلى العُلاَ ... يَمُدُّ بأُخْرى مِثْلَها فَينالُها
فهَيْهاتَ قد أعْيا القُرونَ التي مَضَتْ ... مآثِرُ قَيْسٍ مَجْدُها وفَعالُها[1]
وهل أحَدٌ إن مَدَّ يَوْماً بكَفِّهِ ... إلى الشَّمْسِ في مَجْرَى النُّجوم ينالُها!
وإن يَصْلُحوا يَصلُحْ لذاك جَميعُنا ... وإن يَفْسُدوا يَفْسُدْ على النّاسِ حالُها

ثم قام الأشعَثُ بنُ قَيْس ـ وإنَّما أُذِن له أن يقوم قَبْل رَبيعَة وتَميم لِقَرابته بالنُّعمان ـ فقال: لقد عَلِمت العربُ أنّا نُقاتِل عدِيدَها الأكثرَ، وقديمَ زحفِها الأكبر، وأنّا غِياثُ اللزبات[2]. فقالوا: لم يا أخَا كِنْدة؟ قال: لأنّا وَرِثْنا مُلكَ كِنْدة فاستَظْلَلْنا بأفيائِه، وتقلَّدنا مَنْكِبَه الأعْظَم، وتَوسّطنا بُحبُوحَه الأكرم، ثم قام شاعِرُهم فقال: [الطويل]

إذا قِسْتَ أبياتَ الرِّجالِ بِبَيْتِنا ... وجدتَ له فَضْلاً على مَنْ يُفاخِرُ
فَمنْ قالَ: كَلاً أو أتانا بِخُطَّةٍ ... يُنافِرُنا يَوْماً فنحن نُخاطِرُ
تَعالوا فعُدُّوا يَعْلَم النَّاسُ أيُّنَا ... له الفَضْلُ فيما أورثَتْهُ الأكابِرُ

ثم قام بِسْطام بنُ قَيْسٍ فقال: لقد عَلِمت ربيعَةُ أنّا بُناةُ بَيْتها الذي لا يَزُول، ومغرِسُ عِزّها الذي لا يُنْقَل، قالوا: ولِمَ يا أَخا شَيْبان؟ قال: لأنّا أدركُهم للثَّأر، وأقتلُهم للملك الجَبَّار، وأقولُهم للحَقّ، وألَدُّهم للخَصْم، ثم قام شاعِرُهم فقال:

---

(١) أعيا: أعجز.

(٢) اللزبات: جمع لزبة، وهي الشدة والقحط.

[الطويل]

لَعَمري لَبِسْطامٌ أحقُّ بفضلها ... وأولَى بِبَيْت العزِّ عِزِّ القبائِل
فسائِلْ - أبَيْتَ اللّعْنَ - عن عِزّ قَومِنا ... إذا جَدَّ يَوْمُ الفَخْرِ كُلُّ مناضِل
ألسْنَا أعزَّ الناسِ قَوْماً وأُسرةً ... وأضْرَبَهم للكَبْشِ بين القبائِل(١)
فَيُخْبرَك الأقوامُ عنها فإنها ... وقائِعُ لَيسَتْ نُهزةً للقَبائِل(٢)
وقائعُ عِزٍّ كُلُّها رَبَعيَّةٌ ... تَذِلُّ لهم فيها رِقابُ المَحافِل
إذا ذُكِرت لم يُنْكِر النَّاسُ فَضْلَها ... وعاذَ بها مِنْ شَرِّها كُلُّ قائِل
وإنَّا مُلوكُ النَّاسِ في كُلِّ بَلْدةٍ ... إذا نَزَلتْ بالنَّاسِ إحْدى الزَّلازِلِ

ثم قام حاجِبُ بنُ زُرارَة فقال: لقد عَلمت مَعَدٌّ أنَّا فَرْعُ دِعامتها، وقادَةُ زَحْفِها، فقالوا له: بِمَ ذاك يا أخا بني تَمِيم؟ قال: لأنَّا أكثَرُ الناس إذا نُسِبْنا عَدَداً، وأنجَبُهم وَلَداً، وأنَّا أعْطاهم للجَزيل، وأحمَلُهم للثَّقِيل، ثم قام شاعِرُهم فقال:

[الطويل]

لقد عَلِمتْ أبناءُ خِنْدِفَ أنَّنا ... لنا العزُّ قِدْماً في الخُطوبِ الأوائِلِ
وأنّا هِجانٌ أهْلُ مَجْدٍ وثَرْوَةٍ ... وعِزٍّ قديم ليس بالمُتضائِلِ(٣)
فكَمْ فيهِمُ مِنْ سَيّدٍ وابْنِ سَيّدٍ ... أغرَّ نَجيبٍ ذي فَعالٍ ونائِلِ
فسائلْ - أبَيْتَ اللَّعنَ - عنّا فإنّنا ... دعائمُ هذا النَّاس عند الجَلائِلِ(٤)

ثم قام قَيْس بنُ عاصم فقال: لقد عَلِم هَؤُلاء أنَّا أرفعُهم في المَكرُمات دعائم، وأثبتُهم في النّائبات مقاوم، قالوا: ولم ذاك يا أخا بني سعد؟ قال: لأنّا أمنعُهم للجار، وأدركُهُم للثأر، وأنّا لا نَنْكُل إذا حَمَلنا، ولا نُرامُ إذا حَلَلْنا، ثم قام شاعرُهم فقال:

[الطويل]

لقد عَلِمت قَيْسٌ وخِندِفُ كُلّها ... وجُلُّ تَمِيم والجُموع التي تَرَى
بأنّا عِمادٌ في الأمورِ وأنّنا ... لنا الشّرفُ الضَّخْمُ المُركَّبُ في النَّدَى

---

(١) الكبش: سيد القوم وقائدهم.

(٢) نهزة: فرصة.

(٣) الهجان: الأخيار، والخالص من كل شيء، يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع.

(٤) الجلائل: الأمور العظيمة.

وأنّا لُيوثُ النّاسِ في كُلِّ مأزِقٍ إذا اجتُزَّ بالبِيضِ الجماجِمُ والطُّلَى[١]
وأنّا إذا داعٍ دَعانا لنَجْدةٍ أجْبنا سِراعاً في العُلا ثُمَّ مَنْ دَعَا
فَمَنْ ذا لِيوْمِ الفَخْرِ يَعْدِلُ عاصِماً وقيْساً إذا مُدَّ الأكُفُّ إلى العُلاَ
فَهَيْهاتَ قدْ أعْيَا الجميعَ فَعالُهم وفاتُوا بِيَوْمِ الفَخْرِ مَسْعاةَ مَنْ سَعَى

فلما سَمِع كِسْرى ذلك منهم قال: لَيْس منهم إلا سَيِّد يَصلُح لموضعه، فأثْنَى حِباءَهم[٢].

[سبب تسميته عويف القوافي]

وإنَّما قيل لعُوَيْف: عُوَيْف القَوَافِي لِبَيْت قاله. نَسختُ خَبَره في ذلك من كتاب محمد بن الحَسَن بن دُرَيد ولم أسمَعْه منه. قال: أخبرنا السّكَن بنُ سَعيد، عن محمد بن عَبّاد، عن ابن الكَلْبيّ قال: أقْبَل عُوَيْف القَوافِي ـ وهو عُوَيْف بنُ مُعاوية بنِ عُقْبة بنِ حصْن بن حُذَيْفة الفَزَارِيّ، وإنّما قِيل له عُوَيْف القَوافِي، كما حَدَّثَنِي عَمّارُ بنُ أبان بنِ سَعِيد بن عُيَيْنَة، ببيت قاله: [الطويل]

سأكذِبُ مَن قد كان يَزْعُمُ أنّني إذا قُلتُ قَوْلاً لا أُجِيدُ القَوافِيَا

قال: فَوقَف على جَرِير بن عبد الله البَجَليّ وهو في مَجْلسه فقال: [الوافر]

أصُبّ على بَجِيلَة مِنْ شَقاها هِجائِي حين أدْرَكني المَشِيبُ

فقال له جرير: ألا أشترِي منك أعراضَ بَجِيلَة؟ قال: بَلَى، قال: بِكَمْ؟ قال: بألف دِرْهم وبِرْذَوْن، فأمر له بما طَلَب فقال: [الرجز]

لولا جَرِيرٌ هلَكتْ بَجِيلَهْ نِعْم الفَتَى وبِئْسَتِ القَبِيلَهْ

فقال جرير: ما أراهم نَجَوْا منك بعد.

نَسختُ من كتاب أبي سعِيد السكريّ في كتاب «مَنْ قال بَيْتاً فلُقِّب به» قال: أخبرني محمد بنُ حَبيب قال: وإنّما قِيلَ لعُوَيْف: عُويفُ القَوَافي لقَوْلِه، وقد كانَ بَعْض الشعراءِ عَيَّره بأنّه لا يُجِيد الشّعر، فقال أبياتاً منها: [الطويل]

سأكذِب مَنْ قد كان يَزعُمُ أنّني إذا قُلتُ شِعْراً لا أُجِيدُ القَوَافِيا

---

(١) الجماجم: الرؤوس. والطلى: الأعناق.

(٢) الحباء: العطاء.

فسُمِّي عُوَيْف القوافِي.

[عُويف وعبد الملك بن مروان]

أخبرنا محمد بنُ خَلَف وكيع قال: حدّثني أحمدُ بنُ إسحاق، عن أبيه، قال: حدَّثَنِي عزيزُ بنُ طَلْحة بنِ عبد الله بنِ عثمان بن الأرقَم المَخْزُوميّ، قال: حدَّثني غيرُ واحد من مشْيَخَة قريش، قالوا: لم يَكُنْ رَجلٌ من وُلاةِ أولادِ عبد الملك بن مرْوان كان أنْفَسَ على قَوْمه، ولا أحسدَ لهم من الوليد بنِ عبد الملك. فأذِنَ يوماً للنَّاس فدَخلوا عليه؛ وأذِن للشُّعراء، فكان أوَّل مَنْ بَدَر بين يديه عُوَيْف القوافي الفَزاريّ، فاستَأْذَنَه في الإنْشاد فقال: ما بَقَّيتَ لي بعد ما قلتَ لأخي بَني زُهْرة! قال: وما قُلتُ له مع ما قلتُ لأمِير المُؤمنين؟ قال: ألستَ الذي تقول:

صوت

[الكامل]

يا طَلْحَ أنت أخو النَّدَى وحَلِيفُهُ ... إنَّ النَّدَى مِنْ بعد طَلْحَةَ ماتَا
إنَّ الفَعالَ إليكَ أَطْلَقَ رَحْلَهُ ... فبِحَيْثُ بِتَّ مِنَ المَنازِل بَاتَا

أولَسْتَ الَّذي تقول: [الوافر]

إذا ما جاءَ يَوْمُكَ يابنَ عَوْفٍ ... فلا مَطَرتْ على الأرضِ السَّماءُ
ولا سار البَشيرُ بغُنْم جَيْشٍ ... ولا حَمَلَتْ على الطُّهْر النِّساءُ
تَساقَى الناسُ بعدكَ يا بْنَ عَوْفٍ ... ذَريعَ المَوْتِ ليس له شِفاءُ

ألم تَقُم علينا السَّاعة يوم قامت عليه؟ لا والله لا أسمَع منك شيئاً، ولا أنفعُك بنافِعةٍ أبداً، أخرِجُوه عَنّي. فلما أُخرج قال له القُرشِيُّون والشامِيُّون: وما الَّذِي أعطاك طلحَةُ حين استَخْرَج هذا مِنْك؟ قال: أما والله لقد أعطاني غيرُه أكثرَ من عَطِيَّته، ولكن لا والله ما أعْطانِي أحدٌ قَطُّ أَحلَى في قَلْبي ولا أبْقى شُكراً ولا أجْدَر ألاَّ أنساها ما عَرَفتُ الصّلاتِ من عَطِيَّتِه، قالوا: وما أعطاك؟ قال: قَدِمْتُ المَدِينَة ومعي بُضَيّعة[1] لي لا تَبلغ عَشْرة دَنانير، أُريدُ أن أَبتاع قَعوداً من قِعدان الصَّدَقة، فإذا برجل في صَحْن السُّوقِ على طِنْفِسة[2] قد طُرِحت له، وإذا النَّاس

(١) بُضَيِّعة: تصغير بضاعة، وهي مقدار من المال المعد للتجارة.
(٢) الطنفسة: البساط.

حوله، وإذا بين يَدَيْه إبلٌ معلوفة له، فظننت أنه عامِلُ السُّوق، فسلَّمت عليه، فأثْبَتني[١] وجهِلتُه، فقلت: أي رَحِمك الله، هل أنت مُعِيني بِبَصرِك على قَعُود من هذه القِعْدان تَبْتاعه لي؟ فقال: نعم، أَوَمَعَك ثَمنُه؟ فقلت: نعم، فأهْوى بيَدِه إليَّ فأعطيتُه بُضَيِّعَتي، فرفَع طِنْفِسَته وألقاها تحتها، ومَكَث طويلاً، ثم قُمتُ إليه فقلت: أي رَحِمكَ الله، انظُر في حاجتي فقال: ما مَنَعَني منك إلا النِّسيان، أمَعَك حبل؟ قلتُ: نعم، قال: هكذا أفرِجوا، فأفرَجُوا عنه حتى اسْتَقْبَل الإبلَ التي بين يديه، فقال: اقرِن هذه وهذه وهذه، فما بَرِحتُ حتى أمرَ لي بثَلاثين بَكْرة[٢] أدنى بَكْرة منها ـ ولا دَنِيَّة فيها ـ خيرٌ من بضاعتي. ثم رفع طِنْفِسَته فقال: وشأنَك ببضاعتك فاستَعِن بها على مَنْ ترجع إليه فقلت: أي رحمك اللَّه، أتدْري ما تقول! فما بقي عنده إلاّ مَنْ نَهَرني وشَتَمني، ثم بَعَث معي نفراً فأطْرَدُوها حتى أطْلَعُوها من رأس الثَّنِيَّة، فوالله لا أنساه ما دُمت حَيّاً أبداً.

وهذا الصّوتُ المذكورُ تمثَّل به إبراهيمُ بنُ عبدِ الله بنِ حَسَن بن حَسَن بن عليٍّ يوم مقْتَلِه.

حدَّثَني ابنُ عُبَيْد الله بن عَمَّار، قال: حدَّثَني مَيسرةُ بنُ سَيَّار أبو محمد، قال: حدّثَني إبراهيمُ بنُ علي الرّافِقِيّ، عن المُفضَّل الضَّبِّيّ. وحدّثَنا يَحْيَى بنُ عليّ بنِ يَحْيَى المنجِّم، وأحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهَرِيّ قالا: حدثنا عُمَرُ بن شَبّة قال: حدثني عبد المَلِك بنُ سُلَيْمان، عن عليّ بنِ الحَسَن، عن المُفَضَّل الضَّبِّيّ؛ وروايةُ ابن عَمّار أتمُّ من هذه الرِّواية.

ونَسَخْتُ هذا الخَبَر أيضاً من بَعْض الكُتُب عن أبي حاتم السِّجِسْتانِيِّ، عن أبي عثمان اليَقْطُرِيِّ، عن أبيه، عن المُفضَّل، وهو أتمُّ الرِّوايات، وأكثرُ اللفظ له قال: قال المُفضَّل: خرجتُ مع إبراهيم بنِ عبد الله بنِ حَسَن بن حسن، فلمَّا صار بالمِرْبد، وقفَ على رَأْسِ سُليمانَ بنِ عليّ فأُخرجَ إليه صِبْيانٌ من ولده، فضَمَّهم إليه وقال: هؤلاء واللَّهِ منَّا ونحن منهم، إلا أنّ آباءهم فَعَلوا بنا وصَنَعُوا، وذكر كَلاماً يعتَدُّ عليهم فيه بالإساءَة، ثم توجّه لوَجْهِه وتَمثّل:

مَهْلاً بَنِي عَمِّنا ظَلاَمتنا ... إنّ بنا سَوْرَةً مِنَ القَلَقِ

(١) أثبتني: عرفني.

(٢) البكرة: الفتية من الإبل.

لِمِثْلِكم نَحْمِلُ السُّيوفَ ولا تُغْمَزُ أَحْسابُنا مِنَ الدَّقَقِ[1]
إنّي لأنمِي إذا انْتَمَيْت إلى عِزٌّ عزيزٍ ومَعْشَرٍ صُدُقِ
بيضٍ سِباطٍ كأنّ أعْيُنَهم تكحَلُ يَوْمَ الهِياجِ بالعُلُقِ[2]

فقلت: ما أفحلَ هذه الأبياتِ، فلِمَنْ هي؟ قال: لِضرارِ بنِ الخطّاب الفِهْرِيّ، قالها يوم الخَنْدَق، وتمثّل بها عليُّ بنُ أبي طالبٍ عليه السلام يوم صِفّين، والحُسَين بنُ عليّ يوم قُتِل، وزَيدُ بنُ عليّ عليهما السلام، ولحِق القومَ، ثم مضى إلى باخَمْرى، فلما قَرُب منها أتاه نَعيُ أخِيه محمد، فتمثّل: [الكامل]

نُبِّئْتُ أنّ بني رَبيعةَ أَجْمَعوا أَمْراً خلالهُم لتقْتُلَ خالِدَا
إن يَقتُلوني لا تُصِبْ أرْماحُهم ثأرِي ويَسْعَى القَوْمُ سَعْياً جاهِدَا
أرمِي الطَّريقَ وإن صُدِدتُ بِضيقِهِ وأُنازِلُ البَطَلَ الكَمِيَّ الجاحِدَا

فقلت: لمَنْ هذه الأبيات؟ فقال: للأحوَصِ بنِ جَعفر بنِ كلاب، تمثّل بها يوم شِعْب جَبَلة، وهو اليوم الذي لَقِيت فيه قَيْسٌ تَمِيماً، قال: وأقبلت عَساكِر أبي جَعْفر، فقُتِل من أصحابه وقُتِل من القوم، وكاد أن يكون الظَّفَر له.

قال ابنُ عَمّار في حديثِه: قال المفضَّل: فقال لي: حَرِّكْنِي بشَيْء، فأنشدتُه هذه الأبيات: [الطويل]

ألا أيُّها النّاهِي فَزارةَ بعد ما أجدَّتْ بسَيْرٍ إنما أنتَ حالِمُ
أبَى كُلُّ حُرٍّ أن يَبِيتَ بِوِتْرِهِ ويُمْنَعَ منه النَّوْمُ إذا أنت نائمُ
أَقُولُ لِفِتيانِ العَشِيِّ: تَرَوَّحُوا على الجُرِدِ في أفواهِهِنَّ الشّكائمُ
قِفُوا وَقْفَةً مَنْ يَحْيَ لا يَخْز بعدها ومَنْ يُخْتَرم لا تَتَّبِعهُ اللّوائِمُ
وهل أنتَ إن باعَدْتَ نِفْسَكَ منهمُ لِتَسْلم فيما بعد ذلك سالِمُ

فقال لي: أعِدْ، فَتَنَبَّهت ونَدِمت، فقلت: أَو غَيْر ذلك؟ فقال: لا، أعِدْها، فأعدتُها، فتمَطّى[3] في رِكابَيْه حتى خِلتُه قد قطَعَهما، ثم حَمَل فكان آخرَ العَهْد به.

هذه روايةُ ابنِ عمَّار، وفي الرواية الأُخرى: فحَمَل فطَعَن رَجُلاً، وطعنه آخر، فقلت: أتباشِرُ الحَرْبَ بنَفْسك والعسكرُ مَنُوطٌ بك؟ فقال: إليك يا أخا بني

(١) الدُّقُق: جمع داقّ، وهو الذي يفتش عن عيوب الناس ويكشفها.
(٢) العُلُق: جمع علوق، وهي المنية.
(٣) تمطّى: تمدَّد.

ضَبَّة، كأنَّ عُوَيفاً أخا بني فزارة نظر في يومنا هذا حيثُ يقول: [المتقارب]

ألَمَّت خُناسُ وإلْمامُها أَحاديثُ نَفْسٍ وأَحْلامُها
يَمانيَّةٌ مِنْ بني مالكٍ تَطاولَ في المَجْدِ أَعْمامُها
وإنّ لنا أَصْلَ جُرْثُومةٍ تَرُدُّ الحَوادِثَ أيّامُها[1]
تَرُدُّ الكَتِيبَةَ مَغْلولَةً بها أفْنُها وبها آمُها[2]

قال: وجاءه السَّهْمُ العائر[3] فشغَله عني.

[بينه وبين عمر بن عبد العزيز]

أخبرني محمد بنُ عِمْران الصَّيْرفيّ قال: حدّثنا الحَسَن بنُ عُلَيْل العَنزيّ، قال: حدَّثني محمد بنُ مُعاوِية الأسَدِيّ، قال: حدّثني أصحابنا الأسديُّون، عن أبي بُردَة بن أبي موسَى الأشْعَريّ قال: حضرتُ مع عُمَر بنِ عبد العزيز جِنازَة، فلما انصرف انصرفتُ معه، وعليه عمامةٌ قد سَدَلها من خَلفه، فما عَلِمْتُ به حتى اعترضه رجل على بَعِير فصاح به: [الطويل]

أجِبْني أبا حَفْصٍ لَقِيتَ مُحَمَّداً على حَوْضِهِ مُسْتَبْشِراً ورآكا

فقال له عُمرَ: لبَّيْك، ووقف ووقف النّاسُ معه، ثم قال له: فمَه، فقال:

فأنتَ امْرُؤٌ كِلْتا يَدَيْكَ مُفِيدَةٌ شِمالُكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِ سِواكا

قال: ثم مه، فقال:

بَلَغْتَ مدَى المُجرِينَ قبلَك إذْ جَرَوْا ولم يَبْلُغ المُجْرونَ بَعدُ مَداكا
فَجَدَّاك لا جدَّينِ أَكْرَمُ منهما هُناك تَناهَى المَجْدُ ثُمَّ هُناكا

فقال له عمر: ألاَ أراك شاعراً! ما لك عندي من حَقّ، قال: لا، ولكني سائِل وابنُ سَبيل وذو سُهْمَةٍ[4]. فالتفت عُمر إلى قَهْرمانه[5]، فقال: أعطِه فَضْل نفقتي، قال: وإذا هو عُوَيْف القوافي الفَزارِيّ.

(١) الجرثومة: الأصل.
(٢) الأفن: ضعف الرأي، والآم: العيب.
(٣) السهم العائر: الذي لا يدرى راميه.
(٤) السهمة: القرابة، والنصيب، والقسمة.
(٥) القهرمان: أمين الدخل والخرج.

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعِيّ، قال: حدّثنا أبو غَسَّان دَماذ، عن أبي عُبيدة، قال: لما كان يَوْم ابنِ جُرْح، واقتَتَلَت بنو مُرَّة وبنو حُنّ بن عُذْرة، قال عُوَيْف القوافي لبَني مُرَّة يهجوهم ويُوبِّخُهم بتَرْكهم نصرَهم: [الطويل]

كُنَّا لكم يا مُرّ أُمّاً حَفِيَّةً ... وكنتُم لنا يا مرّ بَوّاً مُجَلَّدَا
وكُنْتُم لنا سَيْفاً وكُنَّا وِعاءَهُ ... إذا نَحْنُ خِفْنا أن يَكِلَّ فيُغْمَدَا

فأجابه عُقَيْل بنُ عُلَّفَة بقَصِيدته التي أوّلُها: [الطويل]

أماوِيَّ إنّ الركبَ مُرتحِلٌ غدَا ... وحَقّ ثَوِيٍّ نازِلٍ أن يُزَوَّدَا

يقول فيها يُخاطِب عُويفاً:

إذا قُلْتُ: قد سامَحْتُ سَهْماً ومازِناً ... أَبَى النَّسَبُ الدّاني وكُفرُهُمُ اليَدَا
وقد أسلَمُوا أستَاههم لقَبِيلةٍ ... قُضاعِيَّةٍ يَدْعونَ حُنّاً وأَصْيدَا
فما كُنْتَ أُمّاً بل جَعَلْتُكَ لي أخاً ... وقد كُنْتَ في النَّاسِ الطَّريدَ المُشَرَّدَا
عُوَيف اسْتِها قد رُمتَ وَيْلك مَجدَنا ... قديماً فلم تَعْدُ الحِمارَ المُقَيَّدا
ولو أنّني يَوْمَ ابنِ جُرْحٍ لَقِيتُهم ... لجرَّدْتُ في الأعداءِ عَضْباً مُهَنَّدَا

وأبيات عُوَيف هذه يَقولُها يوم مَرْج راهِط؛ وهي الحَرْب التي كانت بين قَيْس وكَلْب.

[ما قيل في يوم مرج راهط من الشعر]

أخبرني بالسَّبَب فيه أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ قال: أخبرني سُلَيْمان بنُ أَيُّوب بن أعين أبو أَيُّوب المدينيّ، قال: حدَّثَنا المدائنيّ قال: كان بدءُ حَرْب قَيْس وكَلْب في فِتْنة ابنِ الزُّبَيْر ما كان من وقعة مَرْج راهِط، وكان من قِصَّةِ المَرْج أَنَّ مَرْوانَ بنَ الحَكَم بن أبي العاص قَدِم بعد هَلاكِ يَزيد بنِ مُعاوية والنّاسُ يموجُون، وكان سعِيدُ بنُ بَحْدل الكلبِيُّ على قِنَّسْرِين، فوثب عليه زُفَر بنُ الحارث فأخرجه منها وبايَع لابْنِ الزُّبَيْر، فلما قعد زُفَرُ على المِنْبر قال: الحمدُ لله الذي أقعدَني مَقْعد الغادر الفاجر، وحَصِر، فضَحِك الناس من قَوْله، وكان النُّعمانُ بنُ بَشير على حِمْص، فبايَع لابْنِ الزُّبير. وكان حَسَّان بنُ بَحْدل على فِلَسْطين والأُردُنّ، فاستَعْمل على فِلَسْطين رَوْحَ بنَ زِنْباع الجذامِيّ، ونزل هو الأُردُنّ فوثب نابِلُ بنُ قَيْس الجُذامِيّ على رَوْح بنِ زِنْباع، فأخرجه من فِلَسْطين وبايع لابْنِ الزُّبير.

وكان الضَّحَّاكُ بن قيس الفِهْرِيّ عامِلاً ليزيدَ بنِ مُعاوية على دِمشْق حتى هلك، فجَعَل يُقدِّم رِجْلاً ويُؤخِّر أُخرى، إذا جاءَته اليمانِية وشِيعَةُ بَنِي أُمَيَّة أخبرهم أنه أُمويّ، وإذا جاءته القَيْسِيَّة أخبرهم أنه يَدْعو إلى ابْنِ الزُّبير. فلما قَدِم مَرْوانُ قال له الضَّحَّاك: هل لك أن تَقْدم على ابن الزُّبَير ببيعة أهل الشام؟ قال: نعم، وخرج من عنده، فلقيه عَمرُو بنُ سَعِيد بنِ العاص، ومالِكُ بنُ هُبَيرة، وحُصَيْن بنُ نُمير الكِنْدِيّان، وعُبَيْد اللَّهِ بنُ زياد، فسألوه عَمّا أخبره به الضَّحَّاكُ، فأخبرهم، فقالوا له: أنت شَيْخ بنِي أمَيَّة، وأنتَ عمُّ الخليفة، هلمّ نُبايعْك. فلما فَشَا ذلك أرسل الضَّحَّاكُ إلى بني أُميَّةَ يعتَذِر إليهم، ويذكُر حُسنَ بلائِهم عنده، وأنَّه لم يُرد شَيْئاً يكرهونه، فاجْتَمَع مَرْوان بنُ الحَكَم، وعَمْرُو بنُ سَعِيد بنِ العاصِ، وخالِدُ وعبدُ الله ابْنا يَزِيد بنِ مُعاوية وقال لهم: اكتبوا إلى حَسَّان بن بَحْدَل فليَسِرْ من الأردنّ حتى يَنْزِل الجابِيَة[1]، ونَسِير من هاهنا حتى نلقاه، فيستَخْلِف رجلاً ترضونه، فكَتَبوا إلى حَسَّان، فأقبل في أهل الأردُنّ، وسار الضَّحَّاك بنُ قَيْس وبَنُو أُمَيَّة في أهل دمشق، فلما استقلَّت الرَّاياتُ من جهة دمشق، قالت القَيْسِيَّة للضَّحّاك: دَعَوْتَنا لبَيْعة ابنِ الزُّبَيْر، وهو رَجُلُ هذه الأمَّة، فلما تابعناك خرجتَ تابِعاً لهذا الأعرابيّ من كَلْب تُبايع لابنِ أُخْتِه تابعاً له، قال: فتقُولُون ماذا؟ قالوا: نقول أن تَنْصَرِف وتُظهِر بيعةَ ابنِ الزُّبَيْر ونُظهرَها معك، فأجابَهم إلى ذلك، وسار حتى نزل مَرْج راهط، وأقبل حسَّان حتى لَقِي مَرْوان بنَ الحَكَم، فسار حتى دخل دِمَشْقَ، فأتته اليمانية تَشكُر بَلاَءَ بني أُمَيَّة، فساروا مع مروان حتى نزلُوا المَرْج على الضّحّاك، وهم نَحْو سبعة آلاف، والضَّحَّاك في نَحْو من ثلاثين أَلْفاً، فلَقُوا الضَّحَّاك، فقُتِل الضحَّاك، وقُتِل معه أشرافٌ من قَيْس، فأقْبل زُفَر هارِباً من وَجْهِه ذاك حتى دخل قَرْقِيسيا[2]، وأقام عُمَيْر بنُ الحُباب شيئاً على طاعة بَنِي مَرْوان، ثم أقبلَ حتى دَخَلَ قَرْقِيسيا على زُفر فأقام معه، وذلك بعد يوم خازِر[3] حين قُتِل عُبَيْدُ اللَّه بنُ زياد.

وأقبلَ زُفَرَ يَبْكي قَتْلى المَرْج ويقول: [الطويل]

لعَمْري لقد أَبْقَتْ وَقِيعةُ راهِطٍ ... لمروانَ صَدْعاً بيننا مُتنائيَا
أَتَذْهَبُ كَلْبٌ لم تَنَلْها رِماحُنا ... ويُتْرَكُ قَتْلَى راهطٍ هِيَ ما هيَا!

---

(١) الجابية: قرية من أعمال دمشق. (معجم البلدان ٢/ ٩١).
(٢) قرقيسيا: بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق. (معجم البلدان ٤/ ٣٢).
(٣) خازر: نهر بين إربل والموصل. (معجم البلدان ٢/ ٣٣٧).

فقد يَنْبُت المَرْعى على دِمَن الثَّرى ... وتبقى حَزازَاتُ النُّفوسِ كما هِيَا
أبعدَ ابنِ صَقْرٍ وابنِ عَمرو تتابعا ... ومَصْرَعِ هَمَّامٍ أُمَنِّي الأمانِيَا!

فقال ابنُ المِخْلاة الكلبيّ يُجيبُه: [الطويل]

لعَمْري لقد أبقَت وَقيعَةُ راهطٍ ... على زُفَرٍ داءً من الدَّاءِ باقِيَا
تُبَكّي على قَتْلى سُلَيمٍ وعامرٍ ... وذُبيانَ مغروراً وتُبْكي البَواكِيَا

وقال ابنُ المِخْلاة في يوم المَرْج: [الطويل]

ويوم ترى الرّاياتِ فيه كأنَّها ... حوائمُ طَيْرٍ مُسْتَدِيرٌ وواقعُ
مضَى أربعٌ بعد اللِّقاءِ وأربعٌ ... وبالمرج باقٍ مِنْ دَم القَومِ ناقِعُ
طعَنَّا زِياداً في اسْتهِ وهو مُدْبِرٌ ... وثَورٌ أصابَتْه السُّيوفُ القَواطعُ
ونَجّى حُبَيْشاً ملهِبٌ ذُو عُلالةٍ ... وقد جُذَّ من يُمنَى يدَيْهِ الأصابعُ[1]
وقد شَهِد الصَّفَّيْنِ عمرُو بنُ مُحرزٍ ... فضاقَ عليه المَرجُ والمرجُ واسعُ

وقال رجل من بني عُذْرة: [الكامل]

سائِل بَني مَرْوانَ أهلَ العَجِّ ... رَهْطَ النَّبيِّ ووُلاةَ الحَجِّ[2]
عنَّا وعن قَيْسٍ غَداةَ المَرْجِ ... إذ يُثْقِفُون ثَقفاً بِنَجِّ[3]
تَسْدِيسَ أطْرَافِ القَنَا المُعْوَجِّ ... إذ أخلَف الضَّحَّاكَ ما يُرَجِّي
مُذ تَركوا من بَعْد طولِ هَرْجِ ... لَحْمَ ابنِ قيسٍ للضِّباعِ العُرْجِ

وقال جَوَّاس بنُ القَعْطل الكلابيُّ في يَوْم المَرْج: [الوافر]

هُمُ قَتلُوا براهِطَ جدَّ قَيْس ... سُلَيْماً والقبائلَ من كِلابِ
وهم قَتَلُوا بَنِي بَدْر وعبْساً ... وأُلصِق خُرُّ وَجْهِك بالتُّرابِ
تَذكّرتَ الذُّحول فلن تُقَضَّى ... ذحولُك أو تُساقَ إلى الحِسابِ
إذا سارت قبائلُ من جَنابٍ ... وعوفٍ أَشْحنوا شُمَّ الهضابِ[4]
وقد حاربْتَنا فوجَدْتَ حَرْباً ... تُغِصُّك حين تشرَبُ بالشَّرابِ

---

(١) الملهب: الفرس الشديد الجري. وَجُذَّ: قطع.
(٢) العج: رفع الصوت يريد بالتلبية.
(٣) ثقفه بالرمح: طعنه به، والنج: سيلان الدم من الجرح.
(٤) أشحنوا: ملأوا.

فأقبل عُمَيْر يخطُر، فخرج من قَرْقِيسيا يتطرَّف بوادي كلب، فيُغير عليها وعلى مَنْ أصاب من قضاعة وأهلِ اليَمن، ويخُصّ كَلْباً ومَعْشَرَ تَغْلب، قبل أن تَقع الحَرْب بين قَيْس وتَغْلب، فجعل أهلُ البادِيَة يَنْتَصِفُون من أهل القَرَار[1] كلّهم. فلما رأتْ كلبٌ ما لَقِي أصحابُهم، وأنهم لا يمتَنِعُون من خَيْل الحاضِرَة، اجتمعوا إلى حُمَيْد بن حُرَيث بنِ بَحْدل، فسار بهم حتى نزل تَدْمر، وبه بنو نُمَير، وقد كان بين النُّمَيْريِّين خاصة وبين الكَلْبِيِّين الذين بتَدْمُر عقدٌ مع ابن بَحْدل بن بعّاج الكلْبيّ، فأرسلت بنو نُمَيْر رُسُلاً إلى حُمَيد يناشِدُونه الحُرمة، فوثب عليهم ابنُ بعّاج الكلْبي فذبَحَهم، وأرسلوا إليهم: إنَّا قد قَطَعنا الذي بيننا وبينكم، فالْحقُوا بما يَسَعكم من الأرض، فالتقوا فقتِل ابنُ بَعّاج وظُفِر بالنُّمَيْريّين فقُتِلوا قَتْلاً ذرِيعاً وأُسِرُوا، فقال راعي الإبل في قتل ابن بَعَّاج ولم يذكُر غيرَه من الكَلْبِيِّين: [الطويل]

تَجِيءُ ابنَ بَعَّاجٍ نُسورٌ كأنَّها ... مجالِسُ تَبغي بَيْعةً عند تاجرِ
تُطِيفُ بكَلْبِيٍّ عليه جَدِيَّةٌ ... طويل القَرَا يقذِفْنَه في الحَناجرِ[2]
يقولُ له مَنْ كانَ يَعْلَمُ عِلْمَهُ ... كذاكَ انْتِقامُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ فاجِرِ

وقد كان زُفرُ بنُ الحارِث لَمَّا أغار عُمَيْر بنُ الحباب على الكلبيِّين قال يُعيِّرهم بقوله: [الكامل]

يا كلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عليكُمُ ... وأصابَكُم منّي عَذابٌ مُرسلُ
إن السَّماوةَ لا سماوةَ فالْحقي ... بمنابِتِ الزَّيتُونِ وابنيْ بَحْدَلِ[3]
وبأَرْضِ عَكٍّ والسَّواحلِ إنَّها ... أرضٌ تُذَوَّبُ باللِّقاحِ وتُهزَلُ

[إغارة حميد بن بحدل على بوادي قيس]

فجمع لهم حُمَيْد بنُ الحُرَيث بن بَحْدل، ثم خرج يُريد الغارة على بَوادي قَيْس، فانْتَهى إلى ماءٍ لبَني تَغْلب، فإذا النِّساء والصِّبيان يكون، فقالت لهم النساء ـ وهن يحسبنهم قيساً ـ: وَيْحَكم، ما ردَّكُم إلينا، فقد فَعَلْتُم بنا بالأمسِ ما فَعَلْتم! فقالت لهم كلب: وما لكم؟ قالوا: أغار علينا بالأمسِ عُمَيْرُ بنُ الحباب، فقتل رِجالَنا، واستاق أموالَنا، ولم يَشكُكْن أنّ الخيلَ خيلُ قَيْس وأنّ عُمَيراً عاد إليهن،

---

(١) أهل القرا: الحضر.
(٢) الجديّة: الدم. والقراء: الظهر.
(٣) في البيت إقواء.

فقال بعضُ كلب لحُمَيْد: ما تُريد من نِسْوة قد أُغِير عليهن وحُرِبن، وصِبْيَة يَتامى، وتَدَعُ عُميراً. فاتَّبعوه، فبينا هم يسيرون إذ أخذُوا رَجُلاً ربيئة[1] للقوم. فسألوه فقال لهم: هذا الجَيْش ها هنا والأموال، وقد خرج عُمَيْر في فوارِسَ يُريد الغارَة على أهْل بيت من بني زُهَيْر بن جَناب، أخبرَ عنهم مُخبِر، فأقام حُمَيْد حتى جَنَّ عليه اللَّيلُ، ثم بَيَّت القوم بَياتاً. وقال حُمَيْد لأصحابه: شِعاركم: نحن عباد الله حقّاً. فأصابوا عامة ذلك العَسْكر، ونجا فيمَن نَجَا رجلٌ عُرْيان قذف ثوبه وجلس على فرس عُرِي، فلما انتهى إلى عُمَير، قال عُمَير: قد كنتُ أسمعُ بالنذير العُرْيان فلم أره، فهو هذا، ويلك ما لَك! قال: لا أدرِي غَيْر أنه لقينا قومٌ فَقَتلوا من قَتلوا وأخذوا العَسْكر، فقال: أفتَعْرِفهم؟ قال: لا، فقصد عُمَيْر القومَ وقال لأصحابه: إن كانت الأعاريب فَسَيُسارِعُون إلَيْنا إذا رَأَوْنا، وإن كانت خُيولُ أهلِ الشامُ فستَقِف. وأقبل عُمَير، فقال حُمَيْد لأصحابه: لا يَتَحَرَّكَنَّ منكم أحدٌ، وانصُبُوا القَنَا، فحَمَل عُمَيْر حملة لم تحرّكهم، ثم حَمَل فلم يتحرَّكوا، فنادى مِراراً: ويْحكم مَنْ أنتم؟ فلم يتكَلَّموا، فنادى عُمَير أَصحابَه: ويْلَكُم خيلُ بني بَحْدل والأمانة، وانصرف على حامِيَته، فحَمَل عليه فوارِسُ من كَلْب يطْلُبونه، ولَحِقه مولىً لكَلْب يقال له شقرون، فاطَّعَنا، فجُرِح عُمَيْرٌ وهَرَب حتى دخل قَرقِيسِيا إلى زُفَر، ورجع حُمَيْد إلى مَنْ ظَفر به من الأسْرى والقَتْلى، فقطع سِبالَهم[2] وأُنُفَهم، فجَعَلها في خَيْط، ثم ذهب بها إلى الشَّام، وقال قائل: بل بَعَثَ بها إلى عُمَير وقال: كيف تَرَى؟ أَوَقْعِي أم وَقْعُك؟

فقال في ذلك سِنانُ بن جابِرِ الجُهَنيّ: [الطويل]

لقد طار في الآفاقِ أَنَّ ابنَ بَحْدلٍ ... حُمَيْداً شَفَى كَلْباً فَقَرَّتْ عُيُونُها
وعرَّف قَيْساً بالهوانِ ولم تَكُنْ ... لتَنْزِعَ إلاَّ عند أمرٍ يُهِينُها
فقلتُ له: قَيسُ بنُ عَيْلان إنَّه ... سريعٌ - إذا ما عضَّتِ الحربُ - لِينُها
سما بالعِتاق الجُرْدِ من مَرْجِ راهطٍ ... وتَدْمُرَ يَنْوِي بَذْلَها لا يَصونُها
فكان لها عَرضُ السَّماوةِ لَيْلَةً ... سَواءٌ عليها سَهْلُها وحزونُها
فمَنْ يَحْتَمِلْ في شأن كَلْبٍ ضَغِينةً ... علينا إذا ما حانَ في الحَرْبِ حِينُها[3]
فإنَّا وكَلْباً كاليدين متى تَضَعْ ... شِمالَكَ في شيءٍ تُعِنْها يَمِينُها

(١) الربيئة: الطليعة.
(٢) السبال: جمع سبلة، وهي الدائرة في وسط الشفة العليا. وقيل ما على الشارب من الشعر.
(٣) الضغينة: الحقد.

لقد تُركتْ قَتْلَى حُمَيْدِ بنِ بَحْدلٍ كثيراً ضواحِيها قليلاً دَفِينُها
وقَيْسِيَّةٍ قد طَلَّقتْها رِماحُنا تلفَّتُ كالصَّيْداءِ أَوْدَى جَنِينُها[1]

وقال سِنانٌ أيضاً في هذا الأمرِ بعدما أوقَع بِبَنِي فَزَارَة: [البسيط]

يا أُختَ قَيْسٍ سَلِي عنّا علانِيَةً كي تُخبري من بَيانِ العِلْمِ تِبْيانَا
إنَّا ذَوُو حَسَبٍ مالٍ ومَكْرُمَةٍ يومَ الفَخارِ وخَيرُ النَّاسِ فُرْسانَا
منّا ابنُ مُرَّة عَمْرٌو قد سَمِعْتِ به غَيْثُ الأرامِلِ لا يُردَينَ ما كانا
والبَحْدَلِيُّ الذي أردت فوارِسُهُ قَيْساً غَداةَ اللّوى من رملِ عَدْنانا
فغادرت حَلْبَساً منها بمُعْتَرَكٍ والجعدَ مُنعَفِراً لم يُكْسَ أكفانَا
كائِن تَرَكْنا غداةَ العاه من جَزَرٍ للطير منهم ومن ثَكْلى وثَكْلانَا[2]
ومن غوانٍ تُبكِّي لا حَمِيمَ لها بالعاه تدعو بني عَمٍّ وإخوانا

فلما انتهى الخَبَر إلى عبد المِلِك بن مَرْوان، وعبدُ الله ومُصعَبٌ يومئذ حَيَّان، وعند عبد الملك حَسَّانُ بنُ مالِك بن بَحْدل وعبدُ الله بنُ مَسْعَدة بن حَكَم الفزارِيّ، وجِيءَ بالطَّعام، فقال عبدُ المَلِك لابْنِ مَسْعَدة: ادْنُ، فقال ابنُ مَسْعَدة: لا والله، لقد أوقع حُمَيْد بسُلَيْم وعامِرٍ وَقْعة لا يَنْفعُني بعدها طعامٌ حتى يكون لها غِيَرٌ، فقال له حَسَّان: أجزِعْت أن كان بَيْني وبيْنَكم في الحاضِرَة على الطَّاعة والمعْصِية، فأصَبْنا منكم يوم المرج، وأغار أهلُ قَرْقيسا بالحاضرة على البادية بغير ذنب؟ فلما رأى حُمَيد ذلك طلب بثأر قومه، فأصاب بعضَ ما أصابهم، فجَزِعت من ذلك! وبلغَ حُمَيْداً قولُ ابنِ مَسْعدة فقال: والله لأشْغلنَّه بمَنْ هو أقرب إليه من سُلَيم وعامر. فخَرَجَ حُمَيْد في نحوٍ من مائتي فارِس، ومعه رَجلان من كَلْب دليلان، حتى انتهى إلى بَني فَزارَة أهلِ العَمُودِ لخَمْس عَشْرة مَضَت من شَهْر رَمَضان، فقال: بعثني عبد الملك بنُ مَرْوان مُصدِّقاً: فابعَثُوا إلى كل مَنْ يُطِيق أن يَلْقانا، ففعلوا، فَقَتَلهم أو مَنِ استَطاع منهم، وأخذَ أموالَهم، فبلَغ قَتْلاهم نحواً من مائةٍ ونَيِّف، فقال عُوَيْفُ القوافي: [الطويل]

مَنَا الله أنْ أَلْقَى حُمَيْدَ بنَ بَحْدلٍ بمنزلةٍ فيها إلى النّصفِ مُعْلَما[3]

---

(١) الصيداء: مؤنث الأصيد، وهو المائل العنق.

(٢) العاه: جبل بأرض فزارة. (معجم البلدان ٤/ ٧٣).

(٣) منا الله: قَدّرَ الله.

لـكـيـمـا نُـعـاطِـيـهِ وَنَـبـلـوَ بـيـنـنـا سُرَيْجِيّةً يُعْجِمْنَ في الهام مُعجما[١]
ألا لـيـت أنّـي صـادفَـتْـنِـي مَـنِـيَّـتـي ولـم أرَ قَـتْـلَـى الـعـام يـا أُمَّ أسْـلَـمـا[٢]
ولـم أرَ قَـتـلَـى لـم تَـدَعْ لـي بـعـدَهـا يَدَيْنِ فما أرجو مِنَ العيشِ أجذَما[٣]
وأُقْـسِـمُ مـا لَـيْـثٌ بـخَـفّـانَ خـادِرٌ بِأَشْجَعَ مِنْ جعْدٍ جَناناً ومُقْدَما[٤]

يعني الجَعْدَ بنَ عِمرانَ بنِ عُيَيْنَة وقُتِل يومئذ.

فلما رجع عبدُ الملك من الكُوفَة وقُتِل مُصعَب، لحقه أسماءُ بنُ خارِجة بالنُّخَيلة[٥]، فكلّمه فيما أتى حُمَيْد به إلى أهل العَمود من فَزارة، وقال: حدّثنا أنه مصدِّقك وعامِلُك، فأجبناك وبكَ عُذْنا، فعليك وفي ذمتك ما على الحُرِّ في ذِمَّتِه، فأقِدْنا من قُضاعِيٍّ سِكّير، فأبى عبد الملِك وقال: أنظرُ في ذلك وأُستَشِيرُ وحُمَيْد يَجْحد وليست لهم بَيِّنة، فودَاهم[٦] ألفَ ألفٍ ومائتي ألف، وقال: إني حاسِبها في أعطياتِ قُضاعة، فقال في ذلك عَمْرُو بنُ مِخْلاة الكلبيّ:

صوت

[الوافر]

خُـذوهـا يـا بَـنـي ذُبْـيـانَ عَـقْـلاً على الأجيادِ واعتقِدوا الخِداما[٧]
دَراهِـمَ مـن بـنـي مَـرْوانَ بـيـضـاً يُـنَـجِّـمـهـا لـكـم عـامـاً فـعـامـا[٨]
وأَيْـقَـنَ أنَّـهُ يَـوْمٌ طـويـلٌ عـلـى قَـيْـسٍ يُـذِيـقُـهُـم الـسِّـمـامـا[٩]
ومُـخْـتَـبٌ أمـامَ الـقـوم يَـسْـعَـى كـسِـرحـانِ الـتَّـنُـوفَـةِ حـيـن سـامـا[١٠]
رأى شَـخْـصـاً عـلـى بَـلَـدٍ بَـعـيـد فـكـبَّـر حـيـن أبـصَـرَهُ وقـامـا
وأَقْـبَـلَ يَـسْـأَلُ الـبُـشْـرى إلـيـنـا فـقـال: رأيـتُ إنـسـاً أو نـعـامـا

(١) السريجية: سيوف منسوبة إلى سريج، وهو قين كان يصنعها.
(٢) المنية: الموت.
(٣) الأجذم: الأقطع.
(٤) خفّان: موضع قرب الكوفة، وهو مأسدة. (معجم البلدان ٢/٣٧٩). والخادر: الأسد في عرينه.
(٥) النخيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام. (معجم البلدان ٥/٢٧٨).
(٦) وداهم: دفع دياتهم.
(٧) عقلاً: ربطاً. اعتقدوا: اعقدوا. والخدام: جمع خدمة، وهي الخلخال.
(٨) ينجمها: يدفعها تقسيطاً.
(٩) السِّمام: الأدوية القاتلة ونحوها.
(١٠) المختب: المسرع. والسرحان: الذئب. والتنوفة: المفازة. وسام: ذهب في ابتغاء الشيء.

وقال لخَيْله سَيَرى حُمَيدٌ فإنّ لكُلِّ ذي أجَلٍ حِماما
فما لاقيتُ مِنْ سجح وبدر ومُرَّة فاتركي خَطباً حُطاما
بكُلِّ مُقلَّصٍ عَبْلٍ شَواه يَدُقُّ بِوقْع نابَيْه اللِّجامَا[(١)]
وكل طِمِرَّةٍ مَرَطى سَبوح إذا ما شَدَّ فارِسُها الحِزاما[(٢)]
وقائِلةٍ على دَهَشٍ وحُزْنٍ وقد بلَّت مدامِعُها اللِّثامَا
كأنَّ بَني فَزارةَ لم يكونوا ولم يَرْعَوْا بأرْضِهِم الثُّمامَا[(٣)]
ولم أرَ حاضِراً منهم بِشاءٍ ولا مَنْ يملِكُ النَّعَمَ الرُّكامَا[(٤)]

قال: فلما أخذوا الدِّيَةَ انطلقت فَزارة فاشترت خَيْلاً وسِلاحاً، ثم استَتْبَعت سائرَ قبائل قيس، ثم أغارت على ماءٍ يدعى بَناتِ قَيْن[(٥)]، يجمع بُطوناً من بُطون كَلب كثيرة وأكثرُ مَنْ عليه بَنُو عَبْدِ وُدٍّ وبَنُو عُلَيم بن جناب، وعلى قَيْس يومئذٍ سَعِيدُ ابنُ عُيَيْنة بن حِصْن بن حُذَيْفة بن بدر، وحَلْحَلة بن قَيْس بنِ الأشْيم بن يَسار أحدُ بني العُشَراء، فلما أغاروا نادَوا بني عُلَيم: إنا لا نَطْلُبكم بشيء، وإنما نطلُب بني عَبْد وُدّ بما صَنَع الدَّليلان اللَّذان حَمَلا حُمَيْداً، وهما المأمورُ ورجُل آخر اسمُه أبو أيُّوب، فقُتِل من العَبْديّين تِسْعَةَ عَشَر رَجُلاً، ثم مالوا على العُلَيْمِيِّين فقتلوا منهم خمْسين رَجُلاً، وساقوا أموالاً.

فبلغ الخبرُ عبدَ الملك، فأمهَل حتى إذا وَلِيَ الحَجَّاجُ العِراقَ كتَب إليه يَبْعث إليه سَعِيدَ بنَ عُيَيْنة وحَلْحَلَة بن قيس ومعهما نَفَر من الحَرَس، فلما قَدِم بهما عليه قَذَفَهما في السِّجن وقال لِكَلْب: والله لئن قَتَلتم رجلاً لأُهَرِيقَنَّ دماءَكم، فقَدِم عليه من بني عَبْدِ وُدّ عياضٌ ومُعاوِيةُ ابنا ورد، ونُعمان بنُ سويد، وكان سُوَيْد أبوه ابن مالك يومئذٍ أشرفَ من قُتِل يوم بنات قَيْن، وكان شيخَ بني عَبْدِ وُدّ، فقال له النُّعْمان: دماءنا يا أميرَ المؤمنين، فقال له عبدُ الملك: إنما قُتِل منكم الصَّبِيُّ الصَّغيرُ والشيخُ الفاني، فقال النُّعمان: قُتِل منا والله مَنْ لو كان أخاً لأبيك لاخْتِير عَلَيْك في الخِلافة، فغَضِب عبدُ الملك غَضَباً شديداً، فقال له مُعاوية وعياض: يا

(١) العبل: الضخم. والشوى: الأطراف.
(٢) الطمرّة: الفرس الجواد الشديد العدو.
(٣) الثمام: عشب من الفصيلة النخيلية.
(٤) النعم الركام: النعم الضخم.
(٥) بنات قين: ماء لفزارة. (انظر معجم البلدان ٤/ ٤٢٤).

أمير المؤمنين، شَيْخ كَبِير مَوْتُور. فأعرضَ عنه عبدُ الملك وعَرَضَ الدِّية.

وجعل خالِدُ بنُ يزيد بنِ معاوية ومن وَلَدَتْه كلب يقولون: القَتْل، ومن كانت أُمُّه قَيْسِيَّة من بني أُمَيَّة يقولون: لا، بلِ الدِّية كما فُعِل بالقوم، حتى ارتَفَع الكلام بينهم بالمَقْصُورَة، فأخرجَهم عبد الملك ودَفَع حَلْحَلَة إلى بعض بَني عَبْدِ وُدّ، ودَفع سَعيدَ بنَ عُيَيْنة إلى بعض بني عُلَيم، وأقبل عليهما عبدُ الملك فقال: ألم تأتياني تَسْتَعدِياني فأعدَيْتُكما وأعْطَيْتُكما الدِّيَةَ، ثم انطَلَقْتُما فأخفَرْتما ذِمَّتي وصَنَعتُما ما صَنَعتُما، فكَلَّمه سَعيد بكلام يستعطِفه به ويُرقّقُه، فضرب حلْحَلة صَدْرَه وقال: أترى خُضوعَك لابنِ الزَّرقاء نافعَك عنده، فَغَضِبَ عبدُ الملك وقال: اصبَر حَلْحَلَة، فقال له: أصبرُ من عَوْدٍ بجَنْبَيْه جُلّب[1] فقُتِلا وشَقَّ ذلك على قَيْس، وأعظَمه أهلُ البادِية منهم والحاضِرَة، فقال في ذلك عليُّ بنُ الغدير الغَنَوِيّ: [الوافر]

لِحَلْحَلَةَ القَتِيلِ ولابْنِ بَدْرٍ ... وأهلِ دِمَشْقَ أنْجِبة تَبِينُ
فبَعْدَ اليَوْم أيّامٌ طِوالٌ ... وبعد خمودِ فتْنَتِكم فُتونُ
وكُلُّ صَنِيعةٍ رصدٌ ليومٍ ... تحُلُّ به لصاحِبِها الزُّبونُ
خليفة أُمّةٍ قُسِرتْ عليه ... تخمَّط واسْتخفَّ بمَنْ يدينُ[2]
فقد أتيا حُمَيْد ابن المَنايَا ... وكُلُّ فَتًى سَتَشْعَبُهُ المَنُونُ

وقال رجل من بني عبدوُدّ: [الطويل]

نحن قتَلْنا سَيِّدَيْهم بشَيْخِنا ... سُوَيدٍ فما كانا وفاءً به دَمَا

وقال حَلْحَلةُ وهو في السّجن: [الطويل]

لعَمْري لئن شَيخا فَزارَة أُسلِما ... لقد خَزِيت قَيْسٌ وما ظَفِرَتْ كَلْبُ

وقال أرطاةُ بنُ سُهَيَّة يُحرِّض قَيْساً:

أيُقتَلُ شَيْخُنا ويُرَى حُمَيْدٌ ... رَخِيّ البالِ مُنتَشِياً خمورَا
فإن دُمنا بذاك وطالَ عُمْرٌ ... بنا وبكُم ولم نَسْمعْ نَكيرَا
فناكَتْ أُمَّها قيسٌ جِهاراً ... وعَضَّت بعدَها مُضَرُ الأيُورَا

---

(١) الجلّب: عيدان الرحل.
(٢) تخمط: تكبر.

وقالت عميرة بِنْت حَسَّان الكَلْبِيَّة تفخر بفعل حُمَيد في قيس: [الوافر]

سَمَت كلبٌ إلى قَيْسٍ بجَمْعٍ يَهُدُّ مناكِبَ الأكَم الصِّعاب
بذِي لَجَبٍ يَدُقُّ الأرضَ حتى تُضايِقَ من دعا بِهَلا وهَابِ[1]
نَفَيْنَ إلى الجزيرةِ فَلَّ قيْس إلى بَقٍّ بها وإلى ذُبابِ[2]
وألفَينا هَجِينَ بني سُلَيْم يُفَدِّي المُهْرَ من حُبِّ الإيابِ
فلولا عَدْوة المُهْر المُفَدّى لأُبْتَ وأنتَ مُنْخَرِقُ الإهابِ
ونَجّاه حَثيثُ الرَّكْض منا أُصَيْلاناً ولَونُ الوَجْه كابِي
وآض كأنه يُطلَى بوَرْسٍ ودُقَّ هُوِيَّ كاسِرةٍ عُقابِ[3]
حَمِدت اللّهَ إذ لَقَّى سُلَيْماً على دُهْمان صَقْر بَني جَناب
تركن الرُّوقَ من فَتَيات قَيْس أيامَى قد يَئِسنَ مِنَ الخِضابِ[4]
فهُنَّ إذا ذَكَرْنَ حُمَيْدَ كَلْبٍ نَعَقْنَ برَنَّةٍ بعد انْتِحابِ[5]
متى تَذْكُر فتى كَلْب حُمَيْداً تَرَ القَيْسيَّ يَشْرَقُ بالشَّرابِ

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرني عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعيّ، عن عمه، قال: أنشدني رجل من بني فزارة لعويف القوافي - وهو عويف بن معاوية بن عقبة ابن حصن بن حذيفة الفزاريّ - وكانت أخته عند عُيَيْنَة بن أسماء بن خارجة فطَلَّقها، فكان عويف مُراغِماً لعيينة وقال: الحرة لا تُطلَّق بغير ما بأس. فلما حَبَس الحَجَّاج عُيَيْنة وقَيَّده قال عُوَيف: [الكامل]

مَنَع الرُّقادَ - فما يُحسُّ رُقادُ - خَبرٌ أتاك ونامَتِ العُوَّادُ
خَبرٌ أتاني عن عُيَيْنة مُوجِعٌ ولِمِثْلِهِ تَتَصَدَّعُ الأكْبادُ
بَلَغَ النُّفُوسَ بلاؤُها فكأننا مَوتى وفينَا الرُّوحُ والأجسادُ
ساءَ الأقاربَ يوم ذاك فأصْبَحُوا بهجينَ قد سُرّوا به الحُسّادُ[6]

(١) هلا: زجر للخيل. وهابِ: زجر للإبل عند السوق.

(٢) بق: مدينة على شاطىء الفرات. (معجم ما استعجم للبكري ١/ ٢٦٣). وذباب: جبل بالمدينة. (معجم البلدان ٣/ ٣).

(٣) آض: عاد حزيناً كئيباً أصفر الوجه.

(٤) الرّوق: الجميلات. والأيامىٰ: جمع الأيّم، وهي التي لا زوج لها.

(٥) رنة: بكاء.

(٦) هجين: موضع.

يَـرْجـونَ عَـثْـرة جَـدِّنـا ولـو أنـهـم لا يَـدْفـعـونَ بـنـا الـمـكـارهَ بـادُوا[١]
لـمّـا أتـانـي عـن عُـيَـيْـنَـة أنَّـهُ عـانٍ تَـظـاهـرُ فَـوْقَـهُ الأقـيـادُ[٢]
نَـخَـلَـتْ لـه نَـفْـسي الـنَّصِيحَـة إنـه عـنـد الـشَّـدائِـدِ تَـذْهَـبُ الأحْـقـادُ
وذَكَـرتُ أَيُّ فَـتًـى يَـسُـدُّ مـكـانَـه بـالـرِّفْـدِ حـيـن تَـقـاصـرُ الأرفـادُ
أم مَـنْ يُـهِـيـنُ لـنـا كَـرائـمَ مـالِـه ولـنـا إذا عُـدْنـا إلـيـه مـعـادُ
لـو كـان مـن حَـضَـنٍ تَـضَـاءَل رُكـنُـهُ أو مـن نَـضَـادَ بَـكَـتْ عـلـيـه نَـضَـادُ[٣]

أخبرني حَبِيبُ بنُ نَصْر المُهَلَّبيّ قال: حدَّثنا عُمرُ بنُ شَبَّة قال: قال العُتْبيّ: سأل عُوَيْفُ القوافي في حَمالةٍ، فمرَّ به عبدُ الرحمٰن بنُ محمد بنِ مَرْوان وهو حديث السِّنّ، فقال له: لا تسأل أحداً وصِرْ إليَّ أَكْفِك، فأتاه فاحْتَمَلَها جَمْعاء له، فقال عُوَيف يَمْدحه: [الطويل]

غـلامٌ رمـاهُ الـلّـهُ بـالـخَـيْـرِ يـافِـعـاً لـه سِـيـمِـيـاءٌ لا تَـشُـقُّ عـلـى الـبَـصَـرْ
كـأنّ الـثُّـرَيَّـا عُـلِّـقَـتْ فـي جَـبِـيـنِـهِ وفي خَدِّهِ الشِّعْرَى وفي جِيدِهِ القَمَرْ
ولـمَّـا رَأى الـمَـجْـدَ اسـتُـعِـيـرتْ ثـيـابُـهُ تَـرَدَّى رِداءً واسِـعَ الـذَّيـلِ واتّـزرْ
إذا قـيـلَـت الـعَـوراءُ أغْـضَـى كـأنّـه ذلِـيـلٌ بـلا ذُلٍّ ولـو شـاءَ لانْـتَـصَـرْ
رَآنـي فـآسـانـي ولـو صَـدَّ لـم أُلَـم عـلى حينَ لا بـادٍ يُـرجَّـى ولا حَـضَـرْ

قال أبو زَيْد: هذه الأبياتُ لابن عَنْقاء الفَزارِيّ، يقولها في ابن أخ له، كان قوم من العرب أغاروا على نَعَم ابن عنقاء فاستاقُوها، حتى لم يَبْق له منها شيءٌ، فأتى ابنَ أخيه فقال له: يابْنَ أخِي، إنه نَزَل بعَمِّك ما ترى، فهل من حَلُوبة؟ قال: نعم يا عَمّ، يرُوحُ المالُ وأبلُغ مُرادَك، فلما راح مالُه قاسَمه إيَّاه وأعطاه شطره، فقال ابنُ عنقاء: [الطويل]

رآنـي عـلـى مـا بِـي عـمـيـلـة فـاشـتَـكـى إلـى مـالِـهِ حـالـي أَسَـرَّ كـمـا جَـهَـرْ

وذكر بعد هذا البَيْت باقي الأبْيات. قال أبُو زَيْد: وإنَّما تَمَثَّلها عُوَيْف.

[عويف يمدح عمر بن عبد العزيز ويرثي سليمان بن عبد الملك]

أخبرني محمد بنُ خَلَف وَكِيع، والحَسَن بنُ عليّ قالا: حدّثنا الغلابيّ، قال:

---

(١) الجَدّ: الحظّ.

(٢) العاني: الأسير.

(٣) حضن: جبل بأعلى نجد. (معجم البلدان ٢/ ٢٧١). ونضاد: جبل بالعالية. (معجم البلدان ٥/ ٢٩٠).

حدثنا محمد بن عُبَيْد الله، عن عَطاء بن مُصْعَب، عن عاصم بن الحَدَثان، قال: لما مات سُلَيمانُ بنُ عبد الملك ووَلِي عمرُ بنُ عبد العزيز الخِلافَة، وفَد إليه عُوَيْفُ القَوافِي وقال شِعْراً رَثَى به سُلَيمان ومدح عُمَر فيه، فلما دخل إليه أنشدَه:

لاحَ سَحابٌ فرأينا برقَهُ ... ثُمَّ تدانَى فَسَمِعْنا صَعْقَهُ
وراحَتِ الرِّيحُ تُزَجِّي بُلْقَهُ ... ودُهمَهُ ثم تُزَجِّي وُرْقَهُ
ذاك سَقَى قَبْراً فَروَّى وَدْقَهُ ... قَبْرَ امْرِئٍ عَظَّمَ ربّي حَقَّهُ[1]
قَبْرَ سليمانَ الذي من عَقّهُ ... وجَحَدَ الخَيْرَ الذي قد بَقَّهُ[2]
في المسلمينَ جِلّه ودِقّهُ ... فارقَ في الجُحودِ مِنه صِدْقَهُ
قد ابْتَلَى اللَّهُ بِخيْرٍ خَلْقَهُ ... ألْقى إلى خَيْرِ قُرَيْشٍ وَسْقَهُ
يا عُمَرَ الخَيْرِ المُلَقَّى وَفْقَهُ ... سُمِّيت بالفاروقِ فافرُقْ فَرْقَهُ
وارزُق عِيالَ المُسْلِمِينَ رِزْقَهُ ... واقْصِد إلى الجُودِ ولا تَوقَّهُ
بَحْرُكَ عَذبُ الماءِ ما أعقّهُ ... ريُّكَ فالمَحْرومُ مَنْ لم يُسْقَهُ

فقال له عمر: لَسْنا من الشِّعر في شيء، وما لَكَ في بَيت المال حَقٌّ، فألحَّ عُوَيْف يسألُه فقال: يا مُزاحم، انظُر فيما بَقِي من أرزاقنا فشاطِرْه إيَّاه، ولْنَصْبِر على الضّيق إلى وقْتِ العطاء. فقال له عبدُ الرحمٰن بنُ سُلَيْمانَ بن عبد الملك: بل تُوفِّر يا أمير المؤمنين وعليّ رِضَا الرّجُل، فقال: ما أولاَكَ بذلك، فأخذ بيده وانْصَرَف به إلى منزله، وأعْطاهُ حتى رَضِي.

صوت

[الكامل]

صَفْراءُ يَطْوِيها الضَّجِيعُ لصُلْبِهَا ... طَيَّ الحِمالةِ لَيِّنٌ مَثْناها
نِعْمَ الضَّجِيعُ إذا النُّجومُ تَغوَّرتْ ... بالغَوْرِ أولاها على أُخْراها
عَذْبٌ مُقَبَّلُها وَثِيرٌ رِدْفُها ... عَبْلٌ شَواها طَيِّبٌ مَجْناها
يا دارَ صَهْباءَ التي لا أنْتَهِي ... عن حُبِّها أبداً ولا أنْساها

الشعر لعبدِ الله بن جَحْش الصعاليك، والغِناءُ فيه لِعليّ بن هِشام ثقيل أول بالوسطى من كتاب أحمد بن المكيّ.

---

(١) الودق: المطر.
(٢) بقّة: وسعه.

أخبار عبد الله بن جحش

[توفي نحو سنة ٣ هـ/نحو سنة ٦٢٥ م]

[طلاق صهباء من ابن عمها وهيام عبد الله بها]

أخبرني هاشِمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا عُمر بن شَبّة قال: حدّثني محمدُ بن يحيى أبو غَسَّان، عن غَسّان بن عبد الحميد قال: كان بالمدينة امرأةٌ يقال لها صَهْباء من أحسن الناس وَجْهاً، وكانت من هُذَيل، فتزوّجها ابنُ عَمٍّ لها، فمكَث حيناً معها لا يَقدِر عليها من شِدّة ارتِتاقها[1]، فأبغضَته وطالبته بالطَّلاق، فطَلّقها. ثم أصابَ الناسَ مَطَرٌ شدِيدٌ في الخَرِيف، فسال العَقِيقُ سَيْلاً عظِيماً، وخرج أهلُ المَدِينة، وخرجَتْ صهْباءُ معهم، فصادفت عبدَ الله بن جَحْش وأصحابَه في نُزْهة، فرآها وافْتَرَقا.

ثم مضت إلى أقصى الوادِي فاستَنْقَعَت في الماء وقد تَفَرَّق النَّاسُ وخَفُّوا، فاجتاز بها ابنُ جَحْش فرآها فتَهالك عليها وهام بها. وكان بالمَدِينةِ امرأةٌ تَدُلّ على النِّسَاء يقال لها قُطْنَة، كانت تُداخِل القُرَشِيَّات وغَيْرَهن، فلَقِيهَا ابنُ جَحْش فقال لها: اخْطُبِي عَلَيَّ صَهْباء، فقالت: قد خَطَبها عيسَى بنُ طلحةَ بن عُبَيد الله وأجابوه، ولا أراهم يَخْتارونك عليه، فَشَتَمها ابنُ جَحْش وقال لها: كُلُّ مَمْلوك له فهو حرٌّ، لئن لم تَحْتالِي فيها حتى أَتَزَوّجها لأَضْرِبَنّك ضَرْبَةً بالسيف - وكان مِقْداماً جَسُوراً - ففَرِقت منه فدخلت على صَهْباء وأهلها، فتحَدّثت معهم، ثم ذَكَرت ابنَ عَمِّها، فقالت لعَمّةِ صَهْباء: ما بالُه فارقها؛ فأخبرتْها خَبَرَها، وقالت: لم يَقْدِر عليها وعَجَز عنها. فقالت لها - وأسمَعتْ صَهْباء -: إنّ هذا ليَعْتَري كثيراً من الرجال فلا يَنْبَغي

(١) الارتتاق: ضِيق الفرج. والمرأة: رتقاء.

أن تَتَقَدَّموا في أمرِها إلا على مَنْ تختَبرونه، وأما والله لو كان ابنُ جحش لصهْباء لثقَبها ثَقْبَ اللُّؤلُؤِ ولو رُتِقت بحَجَر! ثم خَرجَت من عندهم، فأرسَلَت إليها صَهْباء: مُري ابنَ جَحْش فَلْيَخْطُبني، فلقِيته قُطْنة فأخبرتْه الخَبَر، فمضى فخطبها، فأَنْعَمَت[1] له وأَبَى أهلُها إلاَّ عيسَى بنَ طلحة، وأبت هي إلا ابنَ جَحْش، فتزوَّجته ودخلَ بها وافتَضَها، وأحبَّ كُلّ واحد منهما صاحِبَه فقال فيها: [الكامل]

نِعْمَ الضَّجيعُ إذا النُّجومُ تَغوَّرَتْ — بالغَوْرِ أُولاها على أُخراها
عَذْبٌ مُقبَّلُها وثيرٌ رِدْفُها — عَبْلٌ شَواها طَيِّبٌ مَجْناها
صفراءُ يَطويها الضَّجيعُ لِجَنْبِها — طَيَّ الحِمالةِ لَيِّن مَتْناها
لو يَسْتَطيعُ ضَجيعُها لأجنَّها — في الجَوْفِ حبّ نسيمها ونشاها
يا دارَ صَهْباءَ التي لا أنتَهي — عن ذكرها أبداً ولا أنْساها

[إعجاب عبد الملك بن مروان بشعره]

أخبرني حَبيبُ بنُ نَصْر المُهلّبي، قال: حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال: حدثني عبدُ الرَّحيم بنُ أحمد بنِ زَيد بن الفرج قال: حدّثني محمد بنُ عبد الله قال: كان عبد الملك بنُ مَرْوان مُعجَباً بِشْعر عبد الله بنِ جَحْش، فكتب إليه يأمُره بالقُدوم عليه، فورَد كِتابُه وقد تُوفِّي، فقال إخوانُه لابنه: لو شَخَصتَ إلى أميرِ المُؤمنين عن إذنه لأبيك لعَلَّه كان ينفعُك، ففعل، فَبَيْنَا هو في طرِيقه إذ ضاع منه كِتابُ الإِذْن، فهَمَّ بالرّجوع، ثم مَضَى لوجهه، فلما قَدِم على عبد الملك سأله عن أبيه فأخبرَه بوفاتِه، ثم سأله عن كتابه فأخبره بضياعه فقال له: أنشِدني قول أبيك:

صوت

هل يُبلِغَنْها السَّلامَ أربعةٌ — مِنّي وإن يَفْعَلُوا فقد نَفَعُوا
على مِصَكَّيْنِ من جِمالِهُم — وَعَنْتَريسَين فيهما سَطَعُ[2]
قَرَّب جِيرانُنا جِمالَهُمُ — صُبْحاً فأضْحَوا بها قد انْتَجَعُوا
ما كنتُ أدْري بوَشْكِ بَيْنِهِمُ — حتى رأيتُ الحُداةَ قد طَلَعُوا
قد كاد قَلْبي ـ والعين تُبْصِرُهم ـ — لما تَوَلَّى بالقَوْمِ ـ يَنْصدعُ

(١) أنعمت له: قالت له: نعم.

(٢) المصك: القويّ. والعنتريس: الناقة القوية الغليظة. والسَّطع: طول العنق.

سـاروا وخُـلِّـفـتُ بـعـدهـم دَنِـفـاً أَلـيـسَ بـالله بِـئْـسَ مـا صَـنَـعـوا!

قال: لا والله يا أميرَ المُؤمنين ما أروِيه، قال: لا عَلَيْك، فأنشدني قولَ أبيك:

صوت

[الوافر]

أَجِـدّ الـيـوم جـيـرتُـك الـغِـيـارا رَواحـاً أم أَرادُوهُ ابـتِـكـارا
بِـعَـيْـنِـكَ كـانَ ذاكَ وإن يَـبِـيـنـوا يَـزِدْكَ الـبَـيْـنُ صَـدْعـاً مُـسْـتَـطـارا
بَـلَـى أبـقَـت مِـنَ الـجِـيـرانِ عـنـدي أُنَـاسـاً مـا أُوافِـقُـهـم كُـثَـارا
ومـاذا كَـثْـرةُ الـجِـيـرانِ تُـغـنِـي إذا مـا بـانَ مَـنْ أَهْـوَى فَـسـارا

قال: لا والله ما أروِيه يا أمير المؤمنين، قال: ولا عليك، فأنشدني قولَ أبيك:

[الكامل]

دارٌ لِـصَـهْـبـاء الـتـي لا يَـنْـثَـنـي عَـنْ ذِكْـرِهـا قَـلْـبـي ولا أَنْـسَـاهـا
صـفـراءُ يـطـويـهـا الـضّـجـيـعُ لِـصُـلْـبـهـا طَـيّ الـحـمـالـةِ لـيِّـن مَـتْـنـاهـا
لـو يَـسـتـطِـيـعُ ضَـجِـيـعُـهـا لأجَـنّـهـا . فـي الـقَـلْـبِ شَـهْـوةَ رِيـحِـهـا ونَـشَـاهـا

قال: لا والله يا أميرَ المُؤمنين، ما أروِيه، وإنّ صهباء هذه لأُمّي، قال: ولا عليك، قد يُبغِض الرجلُ أن يُشبَّب بأُمّه، ولكن إذا نَسَب بها غَيرُ أبيهِ، فأُفٍّ لك! ورَحِم اللّهُ أباك، فقد ضَيَّعتَ أدبَه وعَقَقْته، إذ لم تَرْوِ شعرَه. اخرُجْ فلا شيء لك عندنا.

صوت

[الطويل]

أماطَـتْ كِـسـاءَ الـخَـزِّ عن حُـرِّ وَجْـهـهـا وأدْنَـتْ عـلـى الـخَـدَّيـنِ بُـرْداً مُـهَـلْـهَـلاَ
مِـنَ الـلاّءِ لـم يَـحـجُـجْـنَ يَـبْـغِـيـن حِـسْـبـةً ولـكـن يُـقَـتِّـلْـنَ الـبَـرِيءَ الـمُـغـفَّـلا
رأتْنِي خَـضِـيـبَ الـرّأسِ شـمّـرتُ مِـئْـزري وقـد عَـهِـدتْـنـي أَسْـودَ الـرّأسِ مُـسـبَـلا
خَـطُـوّاً إلـى الـلّـذاتِ أجـرَرْتُ مِـئْـزَري كإجرارِكَ الـحَـبْـلَ الـجوادَ الـمُـحَـجَّـلا[1]
صَـريـعَ الـهَـوَى لا يـبـرَحُ الـحُـبُّ قـائِـدي بـشَـرّ فـلـم أَعْـدِلْ عَـنِ الـشَّـرِّ مَـعْـدلا

---

(١) الجواد المحجل: ما كان في قوائمه بياض.

لَدَى الجَمْرة القُصْوى فرِيعَت وهَلَّلَتْ ‌ ‌ ‌ ‌ ومَنْ رِيعَ في حَجٍّ مِنَ النَّاسِ هَلَّلاَ

الشعر للعَرْجِيّ، والغِناء لعبد الله بنِ العَبَّاس الرَّبيعيّ ثقيل أول في الأول والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات، وهو من جيّد الغِناء، وفاخر الصنعة، ويقال إنَّه أول شِعْر صنعه، ولعزار المكِّيّ في الثَّالث وما بعده ثاني ثقيل، عن يَحْيى المكّيّ وغيره، وفيه خفيف ثقيل يُنسَب إلى معبد وإلى ابن سُرَيْج وإلى الغرِيض، وفيه لإبراهيم لَحْن من كتابه غير مجنّس، وأنا ذاكر ها هنا أخباراً لهذا الشِّعر من أخبار العَرْجيّ؛ إذ كان أكثرُ أخبارِه قد مضى سوى هذه.

بعض أخبار للعرجي

[توفي نحو سنة ١٢٠ هـ/نحو سنة ٧٣٨ م]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال: حدَّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع، عن المدائنيّ، عن عبد الله بن سليم، قال: قال عبيد الله بن عمر العمريّ: خرجت حاجّاً فرأيتُ امرأةً جميلة تتكلم بكلام رَفَثَت فيه[1]، فأدنيْتُ ناقتي منها، ثم قلت لها: يا أَمَةَ الله، ألستِ حاجَّةً! أما تخافين الله! فسَفَرت عن وَجه يَبْهَر الشَّمسَ حُسناً، ثم قالت. تأمّل يا عَمّي، فإني مِمّن عَنَى العَرجيّ بقوله: [الطويل]

مِنَ اللاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبةً ولكن لِيَقْتُلْنَ البريءَ المُغَفَّلا

قال: فقلتُ لها: فإني أسألُ اللّه ألاّ يعذِّب هذا الوجْهَ بالنَّار. قال: وبلغ ذلك سَعِيدَ بنَ المُسَيَّب فقال: أما والله لو كان من بَعْض بُغَضاء أهلِ العِراق لقال لها: اعزُبِي قَبَّحَكِ الله، ولكنَّه ظَرْف عُبّاد الحِجاز.

وقد رُويت هذه الحكاية عن أبي حازِم بنِ دينار.

أخبرني به وَكِيعٌ قال: حدّثنا أحمدُ بنُ زُهَيْر، قال: حدَّثنا مُصعَبُ الزُّبيريّ، قال: حدَّثني عبدُ الرحمٰن بنُ أبي الحسن وقد رَوَى عنه ابنُ أبي ذِئْب، قال: بيْنَا أبو حازِم يَرمي الجمارَ إذ هو بامرأةٍ مُتَشَعْبِذة ـ يَعْني حاسِرَة ـ فقال لها: أيَّتُها المرأةُ استَتِري، فقالت: إنّي والله من اللَّواتي قال فيهن الشّاعِرُ قولَه: [الطويل]

مِنَ اللاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبةً ولكن لِيَقْتُلْنَ البريءَ المُغَفَّلا
وترمي بعَيْنَيْها القُلوبَ ولا تَرَى لها رَميةً لم تُصمِ منهن مَقْتَلا

فقال أبو حازِم لأصحابه: ادْعُوا الله لهذه الصُّورة الحَسَنَة ألاّ يعذِّبها بالنار.

---

(١) رفث في الكلام: أفحش.

وأبو حازِم هذا هو أبو حازِم بن دينار من وُجوه التّابعين، قد رَوَى عن سَهْل بن سَعْد وأبي هُرَيْرة، وروى عنه مالِكٌ وابنُ أبي ذئب ونُظَراؤُهما. حدّثني عمّي قال: حدّثني الكُرانيّ قال: حدّثني العُمريّ، عن العُتْبيّ، عن الحَكم بنِ صَخْر قال:

انصرفتُ من مِنىً فَسَمِعت زَفناً[1] من بعْض المَحامِل، ثم تَرنّمَت جارِية فتَغَنَّتْ: [الطويل]

مِنَ اللاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبةً ولكن لِيَقْتُلنَ البريءَ المُغَفَّلا

فقلتُ لها: أهذا مكان هذا يَرحَمُك الله! فقالتْ: نعم وإيّاك أن تكونَه.

(١) الزفن: الرقص. وأصله الدفع الشديد والضرب بالرجل كما يفعل الراقص.

أخبار عبد الله بن العباس الربيعي

[اسمه ونسبه]

عبدُ الله بنُ العَبَّاس بنِ الفَضْل بنِ الرَّبيع، والرّبيع ـ على ما يدّعيه أهلُه ـ ابنُ يونُس بن أبي فَرْوة، وقيل إنه ليس ابنَه، وآلُ أبي فَرْوة يَدْفعون ذلك ويَزْعمون أنه لقيط، وُجِد منبوذاً، فكفله يونُس بن أبي فَروة وربّاه، فلما خَدَم المَنْصورَ ادّعى إليه، وأخبارُه مذكورة مع أخبارِ ابنِه الفَضْل في شعر يُغَنَّى به من شِعْر الفضل وهو:

كـنـتُ صَـبّـاً وقَـلْـبـيَ الـيـوم سـالـي

ويُكنى عبدُ الله بنُ العَبّاس أبا العبَّاس.

[غناؤه وشعره]

وكان شاعِراً مَطْبوعاً، ومُغَنّياً مُحْسِناً جَيّدَ الصَّنْعَة نادِرَها، حَسَن الرّواية، حُلْو الشعر ظرِيفَه، ليس من الشِّعر الجَيِّد الجَزْل ولا من المَرْذُول، ولكنه شِعْر مَطْبوع ظَريف مليح المَذْهب، من أَشْعار المُترفين وأولاد النّعم.

حدَّثني أبو القاسم الشّيربابكيّ ـ وكان نَدِيماً لجَدِّي يَحْيى بنِ محمد ـ عن يَحْيى بنِ حازم قال: حدّثني عبدُ الله بنُ العَبّاس الربيعيّ قال: دخل محمدُ بن عبد الملك الزيات على الواثقِ وأنا بَيْن يَدَيْه أُغَنِّيه، وقد استَعادَني صوتاً فاستَحْسَنه، فقال له محمدُ بنُ عبد الملك: هذا والله يا أمير المُؤمنين أولَى الناس بإقبالك عليه واستِحْسانك له واصْطناعك إيّاه! فقال: أَجل، هذا مَوْلاي وابنُ مَوْلاي وابن مواليّ لا يعرفون غير ذلك، فقال له: ليس كلُّ مَوْلىً ـ يا أمير المؤمنين ـ بوليٍّ لمَواليه، ولا كلُّ مولىً مُتَجَمِّل بولائِه، يَجْمَع ما جَمع عبدُ الله من ظَرْف وأَدَب وصِحّة عَقْل وجَوْدة شِعْر، فقال الحَسَن له: صَدقْتَ يا محمد. فلما كان من الغَدِ جِئتُ محمدَ بنَ عبد الملك شاكراً لمَحْضرِه، فقلت له في أَضْعاف كلامي: وأفرَطَ الوزير ـ أعزه الله

ـ في وَصْفِي وتَقْرِيظِي بكُلّ شيء حتى وَصَفني بجَوْدة الشِّعْر وليس ذلك عندي، وإنما أعبَثُ بالبَيْتَيْن والثَّلاثة، ولو كان عندي أيضاً شيء بعد ذلك لصَغُر عن أن يَصِفه الوزير، ومحَلُّه في هذا البابِ المَحلُّ الرفيعُ المَشهورُ، فقال: واللَّهِ يا أَخي، لو عرفْتَ مِقدارَ شِعْرِك وقولِك:

يــــا شـــادِنـــاً رام إذ مَـــرّ ... فـي الـسَّـعـانـيـن قَـتْـلِـي[1]
يـقـول لـي: كَـيْـفَ أَصْـبَـحْـت ... كـيـف يُـصـبِـحُ مِـثْـلـي!

لما قلتَ هذا القول، والله لو لم يَكُن لك شِعر في عُمْرك كله إلا قولك: «كيف يُصبح مِثْلِي» لكنتَ شاعراً مُجِيداً.

حدَّثني جَحْظَة قال: حدَّثني أحمدُ بنُ الطَّيِّب قال: حدَّثني حَمَّادُ بنُ إسحاق قال: سمِعتُ عبدَ الله بنَ العَبَّاس الرّبيعيّ يقول: أنا أوَّلُ مَنْ غَنى بالكَنْكَلَة[2] في الإسلام ووضَعْتُ هذا الصوتَ عليها: [المتقارب]

أتــانــي يُـؤامِـرُنـي فـي الـصَّـبُـو ... حِ لَـيْـلاً فَـقُـلْـتُ لـه: غـادِهـا

[سبب تعلمه الغناء وإعجاب الرشيد به]

حدثني جعفرُ بنُ قُدامة قال: حدّثنا عليُّ بن يحْيَى المنجّم، قال: حدَّثني عبد الله بنُ العبَّاس الربيعِيُّ قال: كان سَببَ دخولي في الغِناء وتَعلُّمِي إياه أنِّي كنتُ أهوَى جاريةً لعمتِي رُقَيّة بنتِ الفَضْل بن الرّبِيع، فكنتُ لا أقدِر على ملازمتها والجُلوسِ معها خوفاً من أن يَظْهر ما لها عندي فيكونُ ذلك سببَ مَنعِي منها، فأظهرتُ لعمَّتي أنني أشْتَهِي أن أتعلَّم الغِناءَ ويكون ذلك في سِتْر عن جَدِّي، وكان جَدّي وعَمَّتي في حال من الرِّقَّة عليَّ والمَحَبَّة لي لا نِهايَةَ وراءَها، لأنّ أبي تُوفِّي في حياة جَدِّي الفَضل، فقالت: يا بُنَيَّ، وما دعاك إلى ذلك؟ فقلت: شَهْوة غَلَبَتْ على قَلْبي إن مُنِعْتُ منها مُتُّ غَمّاً، وكان لي في الغناء طَبْعٌ قَوِيّ، فقالت لي: أنت أعلمُ وما تَخْتَاره، والله ما أُحِبّ منعَك من شيء، وإني لكارِهة أن تَحْذِق ذلك وتُشهَر به فتَسْقُط ويَفْتَضِح أبوك وجَدُّك، فقلت: لا تخافي ذلك، فإنما آخُذُ منه مِقْدارَ ما أَلْهو به. ولازَمْتُ الجارية لمَحَبَّتي إيّاها بِعلَّة الغِناء، فكنتُ آخُذُ عنها وعن

(١) السعانين: عيد الأحد قبل الفصح عند النصارى.
(٢) الكنكلة: آلة طرب هندية ذات وتر واحد.

صواحباتِها حتى تقدَّمْتُ الجَماعة حِذْقاً، وأقررْنَ لي بذلك، وبلغتُ ما كنتُ أُريد من أمر الجارية، وصِرْت أُلازِم مَجْلِسَ جَدّي فكان يُسَرُّ بذلك ويَظُنُّه تَقَرُّباً مني إليه، وإنما كان وَكْدي فيه أَخْذَ الغِناء، فلم يكن يمرُّ لإسحاق ولا لابْنِ جامِع ولا للزُّبَيْر بن دُحْمَان ولا لغيرهم صَوتٌ إلاَّ أَخذْتُه، فكنت سريعَ الأخذِ، وإنما كنتُ أَسمَعُه مرَّتين أو ثَلاثاً، وقد صَحَّ لي وأَحسَسْت من نفسِي قوَّةً في الصِّناعة، فصنَعْتُ أول صَوْت صَنعتُه في شِعْر العَرْجِيّ: [الطويل]

أَماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وَجْهِها … وأَدْنَتْ على الخَدَّينِ بُرْداً مُهَلْهَلا

ثم صنعت في:

أَقْفَرَ مِنْ بَعْدِ خُلَّةٍ سَرِفُ … فالمُنحَنى فالعَقِيقُ فالجُرُفُ

وعرَضْتُهما على الجارية التي كنت أهواها وسألْتُها عمّا عندها فيهما، فقالت: لا يَجُوزُ أن يكونَ في الصَّنْعة شيءٌ فوق هذا، وكان جَوارِي الحارثِ بنِ بُسْخُنّر وجواري ابنهِ محمد يَدْخُلْن إلى دارِنا فَيَطْرَحْن على جَوارِي عَمَّتي وجَوارِي جَدّي ويأخُذْنَ أَيضاً مِني ما ليس عندهن من غِناء دارِنا، فسَمِعْنَنِي أُلقِي هذين الصَّوْتين على الجارية، فأخذْنَهما مِنّي وسألن الجاريَةَ عنهما، فأخبرتهن أَنّهما من صَنْعَتي، فسألْنها أن تُصَحِّحَهما لَهنّ، ففَعَلتْ فأخذْنَهما عنها، ثم اشتهرا حتى غُنِّيَ الرَّشيدُ بهما يوماً، فاستَطْرَفهما وسأل إسحاقَ: هل تَعْرفهما؟ فقال: لا، وإنّهما لمن حسن الصّنْعة وجَيِّدها ومُتقَنها، ثم سأل الجاريةَ عنهما فتوقّفَتْ خوفاً من عَمَّتي وحذَراً أن يبلُغ جَدّي أنها ذكرتْنِي، فانتهرَها الرشيد، فأخبرته بالقصة، فوجّه من وقته فدعا بجَدِّي، فلما أحضره قال له: يا فضل، يكونُ لك ابنٌ يُغَنِّي ثم يبلغ في الغِناء المَبْلغ الذي يُمكِنه معه أن يَصْنَع صوتَيْن يستَحْسِنهما إسحاقُ وسائر المُغَنِّين ويتداوَلُهما جَوارِي القِيان ولا تُعلِمُني بذلك؟ كأنك رفعتَ قَدرَه عن خِدمَتي في هذا الشأن! فقال له جَدِّي: وحَقّ ولائك يا أميرَ المؤمنين ونِعْمتِك، وإلاَّ فأنا نَفِيٌّ منهما بريء من بَيْعَتك وعليّ العَهْد والمِيثاق والعِتْق والطّلاق، إن كنتُ عَلِمْتُ بشيء من هذا قَطّ إلا منك السّاعَة، فَمَنْ هذا مِنْ ولدي؟ قال: عبدُ الله بنُ العَبّاس هو، فأحضِرْنيه السَّاعة. فجاء جَدّي وهو يكاد أن ينْشَقّ غَيْظاً، فدعاني، فلمَّا خرجتُ إليه شَتَمني وقال: يا كَلْب، بلَغ من أمْرك ومِقدارِك أن تَجسُر على أن تتعَلّم الغِناء بغَيْر إذْني، ثم زاد ذلك حتى صنعتَ، ولم تَقنع بهذا تى أَلقَيْتَ صَنْعَتك على الجوارِي في داري، ثم تجاوَزْتَهُن إلى جَوارِي الحارث بن بُسْخُنّر، فاشتهرْتَ وبلغ أمرك أمير

المؤمنين، فتنكر لي ولامني وفضحْتَ آباءَك في قُبورِهم، وسقَطْت الأبدَ إلا من المُغَنّين وطبقة الخُنْياكرين[١]. فبكَيتُ غَمّاً بما جرى، وعَلِمتُ أنه قد صَدَق، فرحِمني وضَمَّني إليه وقال: قد صارَت الآن مُصيبَتي في أبيك مصيبَتَيْن: إحداهُما به وقد مضى وفات، والأُخرى بك وهي موصولة بحياتي، ومصيبة باقيةُ العارِ عليَّ وعلى أهْلي بعدِي، وبكى وقال: عزَّ عليَّ يا بنيّ أن أراك أبداً ما بقيت على غير ما أُحِبّ، وليست لي في هذا الأمرِ حِيلَة، لأنّه أمرٌ قد خرج عن يدي، ثم قال: جِئْني بعُودٍ حتى أُسمِعَك وأنظُر كيف أنت، فإن كنت تصلُح للخِدْمة في هذه الفَضِيحة، وإلا جئتُه بك منفرداً وعرَّفتُه خبرَك واستَعْفَيْته لك. فأتيتُه بعُودٍ وغَنَّيْتُه غناءً قديماً، فقال: لا، بل غَنِّ صوتَيْك اللذين صنعتَهما، فغنَّيتُه إيَّاهما فاستَحْسَنهما وبكى، ثم قال: بَطَلت والله يا بُنَيّ وخاب أملي فيك، فوا حزَني عليك وعلى أبيك! فقلت له: يا سيّدي، ليتني مِتّ من قبل ما أنكرته أو خَرِسْتُ، وما لي حِيلَة ولكِنّي وحَياتِك يا سَيّدي، وإلا فَعَلَيَّ عهدُ الله وميثاقه والعِتْق والطّلاقُ وكلّ يمين يَحْلِف بها حالِف لازِمةٌ لي، لا غَنَّيتُ أبداً إلا لخَليفة أو وَليّ عَهْد، فقال: قد أحسنْتَ فيما نبّهت عليه من هذا.

ثم رَكِب وأمرني، فأُحضِرت فوقَفت بين يَدَي الرَّشيد وأنا أُرعَد فاستَدْناني حتى صرت أقربَ الجَماعة إليه ومازَحني وأقْبل عليَّ وسَكَّن مِنِّي، وأمر جَدِّي بالانصراف وأمر الجَماعة فَحدَّثُوني، وسُقِيتُ أقداحاً وغَنى المُغَنُّون جميعاً، فأومأ إليَّ إسحاقُ الموصليُّ[٢] بعَيْنه أن ابدَأْ فغَنِّ إذا بلَغت النَّوبةُ إليك قبل أن تُؤْمَر بذلك، ليَكُون ذلك أصلحَ وأجودَ بك. فلما جاءت النَّوبةُ إلى أخذت عُوداً مِمّن كان إلي جنبي وقمت قائماً واستأذَنت في الغِناء، فَضَحِك الرشيد وقال: غَنّ جالِساً، فجَلست وغَنَّيت لحني الأوّل فطرب واستعاده ثلاثَ مرَّات، وشرب عليه ثلاثةَ أنْصاف، ثم غَنَّيتُ الثاني، فكانت هذه حاله، وسَكِر، فدعا بمَسْرُور فقال له: احمِل السّاعة مع عبد الله عَشَرَة آلافِ دينار وثلاثين ثَوباً من فاخر ثيابي، وعَيْبَةً مملوءة طِيباً، فحمِل ذلك أجمَع معي.

قال عبدُ الله: ولم أَزَل كُلّما أراد وليُّ عَهْد أن يَعْلَم مَن الخليفة بَعْد الخليفة الوالي أهُو أم غيره دعاني فأمرني بأن أُغَنِّي، فأُعرّفه بيميني، فيَسْتَأذِن الخليفَة في

(١) الخُنياكرين: كلمة فارسية تعني المطرب والموسيقي.

ذلك، فإن أذن لي في الغِناء عنده عرف أنه وَلِيُّ عَهْد، وإلاَّ عرَف أنه غيرُه حتى كان آخرهم الواثق، فدعاني في أيّام المُعتَصِم وسأله أن يأذَن لي في الغِناء، فأذِن لي، ثم دعاني من الغَدِ فقال: ما كان غِناؤُك إلا سَبَباً لظُهور سِرّي وسِرّ الخلفاء قَبْلي، ولقد هَمَمْت أن آمرَ بضَرْب رَقَبتك. لا يبلُغني أنَّك امتنَعْتَ من الغِناء عند أحد، فوالله لئن بَلَغني لأقتُلَنَّكَ، فأعتِقْ مَنْ كنتَ تملِكه يوم حَلَفت، وطَلق مَنْ كان يوجد عندك من الحرائر، واستبدِل بهنّ وعليَّ العِوَض من ذلك، وأرِحْنا من يمينك هذه المشؤومة! فقمتُ وأنا لا أعقِل خوفاً منه، فأعتَقْتُ جميعَ مَنْ كان بَقِي عندي من مماليكي، الذين حَلَفتُ يومئذٍ وهم في مِلْكي، وتصدَّقت بجُملة، واستَفْتَيت في يميني أبا يوسف القاضي حتى خَرجت منها، وغنّيت بعد ذلك إخواني جميعاً حتى اشتهر أمْري، وبلغ المُعْتَصم خَبَرِي، فتخَلَّصت منه، ثم غَضِب عليَّ الواثقُ لشيء أنْكَره، ووَلِيَ الخلافَةَ وهو ساخِطٌ عليَّ فكتبتُ إليه: [الكامل]

أُذْكُرْ أميرَ المؤمنين وسائلي ... أيّامَ أرهَبُ سَطْوةَ السَّيْفِ
أدعُو إلٰهي أن أراكَ خليفَةً ... بَيْنَ المقامِ ومَسْجِدِ الخَيْفِ

فدعاني ورَضِي عَنّي...

[بعض أخباره وشعره وغنائه ورأي الناس فيه]

حدّثني سُليمان بن أبي شَيخ قال: دخلت على العَبّاس بنِ الفَضل بن الربيع ذات يوم وهو مُختَلِط مُغْتاظ وابنهُ عبدُ الله عنده، فقلت له: ما لك أمتعَ اللّهُ بك؟ قال: لا يُفلِح والله ابني عبدُ الله أبداً. فظنَنْتُه قد جَنى جِنايَةً، وجَعَلت أعتَذِر إليه له، فقال: ذنبُه أعظَم من ذلك وأشنَع فقلت: وما ذَنْبه؟ قال: جاءَني بعضُ غلماني فحدَّثني أنه رآه بقُطْرُبُّل[1] يشرب نَبيذَ الدّاذِيّ[2] بغير غناء، فهل هذا فِعْل من يُفلح؟ فقلت له وأنا أضحك: سهَّلتَ عليَّ القِصَّة، قال: لا تَقُل ذاك فإنَّ هذا من ضَعةِ النَّفس وسُقُوطِ الهِمَّة! فكنتُ إذا رأيتُ عبدَ الله بعد ذلك في جُمْلة المُغَنِّين، وشاهَدْتُ تَبذُّلَه في هذه الحال وانْخفاضَه عن مراتب أهلِه تذكَّرتُ قولَ أبيه فيه.

قال: وسمِعْتهُ يوماً يغني بصَنْعتِه في شِعْر أبي العتاهِية:

---

(١) قُطْرُبُّل: قرية بين بغداد وعكبرا. (معجم البلدان ٤/ ٣٧١).

(٢) نبيذ الداذي: نبيذ شديد الإسكار. (انظر لسان العرب مادة دوذ).

صوت

[الخفيف]

أنا عبدٌ لها مُقِرٌّ وما يَمْـ ... ـلِك غيرُها مِنَ النّاسِ رِقّا
ناصِحٌ مُشفِقٌ وإن كُنتُ ما أرْ ... زَقُ منها والحَمْدُ لله عِتْقا
ليتَني مُتُّ فاسْتَرَحْتُ فإنّي ... أبداً ما حَيِيتُ منها مُلقَّى

لَحْن عبد الله بن العبّاس في هذا الشّعر رمل.

أخبرني جعفرُ بن قدامة قال: حدّثني عليُّ بنُ يحيى وأحمدُ بن حَمْدون، عن أبيه. وأخبرني جَحْظَةُ عن أبي عبد الله الهاشميّ، أنَّ إسحاقَ المَوْصليّ دخل يوماً إلى الفضل بن الربيع وابن ابنه عبدُ الله بنُ العَبَّاس في حِجره قد أُخرج إليه وله نحو السَّنَتين، وأبوه العَبَّاس واقف بين يدَيه، فقال إسحاقُ للوقت: [الرجز]

مَدّ لَكَ الله الحياةَ مَدّا ... حتى يَكُونَ ابنُكَ هذا جَدّا
مؤَزَّراً بِمَجْدِهِ مُردّى ... ثُمَّ يُفدّى مِثْلَ ما تُفَدَّى
أشْبَه منك سُنَّةً وخَدّا ... وشِيَماً محمودةً ومَجْدَا[1]

كأنَّه أنتَ إذا تَبَدّى

قال: فاستَحْسن الفَضلُ الأبيات وصنع فيها إسحاقُ لحنَه المشهور، وقال جَحْظة في خبره عن الهاشمي: وهو رمل ظريف من حَسن الأرمال ومُخْتارها، فأمر له الفَضلُ بثلاثين ألف دِرْهم.

أخبرني جعفرُ بن قُدامةَ قال: حدّثني عبدُ الله بنُ عمر قال: حدّثني محمدُ بنُ عبد الله بن مالك، قال: حدّثني بعضُ نُدماء الفضل بن الربيع قال: كنا عند الفضل بن الربيع في يوم دَجْن[2]، والسماءُ ترُشّ وهو أحسَنُ يوم وأطيَبُه، وكان العَبّاس يومئذٍ قد أصبحَ مَهموماً، فَجهدنا أن ينشَط، فلم تكن لنا في ذلك حِيلَة، فبيْنَا نحن كذلك إذ دَخل عليه بعضُ الشعراء، إمَّا الرُّقاشِي وإمَّا غيرهُ من طَبَقته، فسَلَّم وأخذ بِعضادتي الباب ثم قال: [الطويل]

ألا انْعِم صَباحاً يا أبا الفَضْلِ واربَع ... على مربعِ القُطربُّليّ المُشَعْشَعِ
وعَلِّلْ نَداماك العِطاشَ بقَهْوَةٍ ... لها مَصْرَعٌ في القَوْمِ غيرُ مروَّعِ

---

(١) السنة: الوجه أو الجبهة.

(٢) يوم دجن: يوم غيم ومطر.

فإنَّكَ لاقٍ كُلَّما شِئتَ لَيْلَةً ... ويوماً يُغِصّان الجفونَ بأدْمُعِ

قال: فَبكى العبّاس وقال: صدَقت والله، إن الإنسان ليَلْقَى ذلك متى يَشاء، ثم دَعا بالطَّعام فأكَل، ثم دعا بالشّراب فشَرِب ونَشِط، ومرَّ لنا يومٌ حسَنٌ طَيِّب.

حدّثني عمّي قال: حدّثني أحمدُ بنُ المرزبان، قال: جاءَني عبدُ الله بنُ العَبّاس في خِلافةِ المُنْتَصر وقد سألني عَرْضَ رُقعة عليه، فأُعلِم أنّي نائمٌ، وقد كنتُ شَرِبت باللّيل شُرْباً كثيراً، فصَلَّيْت الغَداة ونمت، فلما انتبَهتُ إذا رُقعة عند رأسي وفيها مكتوب. [الخفيف]

أنا بالبابِ واقِفٌ مُنْذ أصبَحْـ ... ـتُ على السّرجِ مُمْسِكٌ بعنانِي

وبِعَيْنِ البوّابِ كُلُّ الذي بي ... ويَراني كأنَّه لا يَراني

فأمرتُ بإدْخاله، فَدَخَل، فعرّفتُه خبري واعتذَرتُ إليه وعرضْتُ رقعتَه على المُنْتَصِر وكلَّمتُه حتى قضَى حاجَتَه.

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد بن أبي الأزهر قال: حدّثنا حمَّادُ بنُ إسحاق قال: دعا عبدُ الله بنُ العبّاس الرّبيعيُّ يوماً أبي، وسأله أن يُبْكِر إليه فَفَعَل، فلما دَخل بادر إليه عبدُ الله بنُ العبّاس مُلتَقياً وفي يَدِه العُود وغنّاه: [الكامل]

قُم نَصْطَبِح يَفديك كُلُّ مُبَخَّلٍ ... عابَ الصَّبُوحَ لحُبِّهِ لِلمالِ

مِنْ قَهْوةٍ صَفْراءَ صِرْفٍ مُزَّةٍ ... قد عُتِّقَتْ في الدَّنِّ مُذْ أحْوالِ[1]

قال: وقُدِّم الطعامُ فأكَلْنا واصطبحنا واقترح أبي هذا الصَّوتَ عليه بقيّة يومه. قال: وأتيتُه في داره بالمَطِيرة[2] عائداً، فوجدتُه في عافية، فجلسنا نتحدَّثُ فأنشدْتُه لذِي الرُّمّة: [الطويل]

إذا ما امْرُؤٌ حاولْنَ أن يَقْتَتِلْنَهُ ... بلا إحْنَةٍ بين النّفوسِ ولا ذَحْلِ

تَبَسَّمْنَ عن نَوْرِ الأقاحِيّ في الثّرى ... وفَتَّرن عن أبْصارِ مَكْحُولةٍ نُجْلِ

وكَشَّفْنَ عن أجيادِ غزلان رَمْلَةٍ ... هِجانٍ فكانَ القَتْلَ أو شُبْهَةَ القَتْلِ

وإنّا لنَرضَى حين نَشْكُو بخَلْوةٍ ... إليهن حاجاتِ النُّفُوسِ بلا بَذْلِ

وما الفَقْرُ أزرَى عِنْدَهُنَّ بِوَصْلِنا ... ولكن جَرَتْ أخلاقُهنَّ على البُخل

(١) أحوال: أعوام. جمع حَوْل.

(٢) المطيرة: قرية من نواحي سامراء. (معجم البلدان ٥/ ١٥١).

قال: فأنشدَني هو: [الكامل]

أنّـى اهْـتـدَتْ لـمُـنـاخِـنـا جُـمْـلُ ... ومِـنَ الـكَـرَى لـعُـيـونـنـا كُـحْـلُ[1]

طـرَقـتْ أخَـا سَـفَـرٍ ونـاجِـيـةً ... خـرقـاء عـرَّفـنـي بـهـا الـرّحـلُ[2]

فـي مَـهْـمَـهٍ هَـجَـعَ الـدّلـيـلُ بـه ... وتَـعـلّـلَـتْ بـصَـريـفـهـا الـبـزْلُ[3]

فـكـأنَّ أحـدثَ مَـنْ أَلَـمَّ بـه ... دَرَجَـتْ عـلـى آثـارِهِ الـنَّـمْـلُ

قال إسحاق: فقال لي عبد الله بن العبّاس: كلُّ ما يَمْلك في سبيل الله إن فارقتُك ولم نَصْطَبح على هذين الشِّعرَين، وأُنشِدُك وتُنشدُني! ففَعَلْنا ذلك وما غَنَّيْنا ولا غُنِّينا.

أخبرني محمدُ بن مَزْيد قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: لقيتُ عبد الله بنَ العباس يوماً في الطريق فقلتُ له: ما كان خبَرُك أمس؟ فقال: اصطبحتُ، فقلت: على ماذا ومع مَنْ؟ فقال: مع خادم صالِح بن عُجَيْف، وأنت به عارف، وبخَبري معه ومَحبَّتِي له عالم، فاصطبحنا على زِنا بِنْت الخُسّ لمَّا حَمَلتْ من زِناً، وقد سُئِلت: ممن حَمَلت؟ فقالت: [الطويل]

أشـمُّ كـغُـصْـنِ الـبـانِ جَـعـدٌ مـرجّـلٌ ... شُـغِـفْـتُ بـه ولـو كـان شَـيْـئاً مُـدانِـيـا

ثَـكِـلـتُ أبـي إن كُـنـتُ ذُقْـتُ كَـريـقِـه ... سُـلافـاً ولا عَـذْبـاً مِـنَ الـمـاءِ صـافِـيَـا

وأُقـسِـم لـو خُـيِّـرتُ بـيـن فِـراقِـهِ ... وبـيـنَ أبـي لاخْـتَـرْتُ أن لا أبـا لِـيَـا

فـإنْ لـم أُوَسِّـدْ سـاعِـدي بَـعْـد هَـجْـعـةٍ ... غُـلامـاً هـلالِـيّـاً فـشُـلَّـت بَـنـانِـيَـا

فقلتُ له: أقمتَ على لِواطٍ وشربتَ على زِنا، والله ما سبَقَك إلى هذا أحد.

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس اليزيدي قال: أخبرني مَيمون بنُ هارون قال: كان محمدُ بنُ راشد الخَنّاق عند عبد الله بنِ العَبَّاس بن الفَضْل بنِ الرّبيع على القاطُول[4] في أيام المُعْتَصِم، وكان لمحمد بن راشِد، غُلامٌ يقال له فائز، يُغنِّي غِناءً حَسناً فأظَلّتْهم سَحابةٌ وهم يشربون، فقال عبدُ الله بن العَبَّاس: [الطويل]

مُـحَـمَّـدُ قـد جـادَتْ عـلـيـنـا بـمـائِـهـا ... سَـحـابـةُ مُـزنٍ بَـرقُـهـا يـتـهـلَّـلُ

---

(١) المناخ: محلّ الإقامة.

(٢) الناجية: الناقة السريعة.

(٣) الصريف: صرير ناب البعير. والبزل: جمع بازل، وهو البعير استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة.

وَنَحْنُ مِنَ القاطُولِ في مُتَرَبَّعٍ ومنزلُنا فيه المَنابِتُ مُبقِلُ
فمُر فائِزاً يَشْدُو إذا ما سَقَيْتَنِي أعن ظُعُنِ الحَيِّ الأُلَى كُنْتَ تَسْأَلُ
ولا تَسْقِني إلا حلالاً فإنَّني أعافُ مِنَ الأشياءِ ما لا يُحَلَّلُ

قال: فأمر محمدُ بنُ راشدٍ غلامَه فائزاً، فغَنَّاه بهذا الصوت، وشَرِب عليه حتى سَكِر. قال: وكان أبو أحمدَ بن الرّشيدِ قد عَشِق فائزاً، فاشْتَراه من محمد بن راشِد بثلاثمائة ألف دِرْهم، فبلغ ذلك المأمونَ، فأمَر بأن يُضْرب محمد بن راشد ألف سَوْطٍ، ثم سُئِل فيه فَكَفَّ عنه، وارتجَع منه نِصْفَ المال، وطالبَه بأكثَرَ فوجده قد أنْفَقه وقَضَى دَيْنَه، ثم حَجَر على أبي أحمد بن الرَّشيد، فلم يَزَل مَحجُوراً عليه طَوال أيام المأمون؛ وكان أمرُ مالِه مَرْدُوداً إلى مَخْلَد بن أبان.

أخبرني الحسَنُ بنُ عليّ قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرويْه، قال: أخبرني ابنُ الجُرْجَاني قال: اتفق يوم النيروز[1] في شَهْر رمضان، فشَرب عبدُ الله بن العبَّاس بن الفضْل في تلك اللَّيلة إلى أنْ بَدا الفَجْر أن يَطْلع، وقال في ذلك وغَنّى فيه قوله: [المديد]

اسْقِني صَفْراءَ صافِيةً لَيْلَةَ النَّيْروزِ والأحدِ
حَرَّمَ الصَّوْمُ اصْطِباحَكُما فَتَزَوَّدْ شُرْبَها لِغَدِ

أخبرني عَمِّي قال: حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال: حدّثني إبراهيم بن المُدبِّر قال: قال لي محمدُ بن الفَضل الجرجاني: أنشدت عبدَ الله بن العَبَّاس الربيعيّ للمُعَلَّى الطائيّ: [الكامل]

باكِرْ صَبوحَك صَبْحةَ النَّيْروزِ واشْرَبْ بكأسٍ مُتْرَعٍ وبِكوزِ
ضَحِك الرَّبيعُ إليك عن نُوَّارِه آسٍ ونِسْرينٍ ومَرْماحُوزِ

فاستعادنِيهما فأعدْتُهما عليه، وسألني أن أُملِيَهما، وصَنع فيهما لَحْناً غَنَّى به الواثِقَ في يوم نَيْروز، فلم يستعِد غيرَه يومئذ، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

أخبرني جَعْفَر بنُ قُدامة قال: حدَّثني عليُّ بن يحيى قال: أنشدني عبدُ الله بن العبّاس بن الفَضل بن الرّبيع لجميل، وأنشدنِيه وهو يَبْكي ودموعُه تَنْحَدِر على لحيته:

(١) القاطول: نهر حفره الرشيد في موضع سامراء قبل أن تبنى (معجم البلدان ٤/٢٩٧).

صوت

[الطويل]

فما لك لما خَبَّرَ الناسُ أنَّني غَدَرتُ بظَهْرِ الغَيْبِ لم تَسَلِيني
فأحلِفَ بَتّاً أو أجيءَ بِشاهدٍ مِنَ النَّاسِ عَدْلٍ أنَّهم ظَلَموني

قال: وله فيه صَنْعَة من خفيف الثّقِيل وخفيف الرمل.

أخبرني عَمِّي قال: حدَّثني عبيد الله بنُ محمد بنِ عبد الملك الزّيات قال: حدّثنا نافِذٌ مولانا قال: كان عبدُ الله بنُ العَبَّاس صدِيقاً لأبيك، وكان يُعاشِره كثيراً، وكان عبدُ الله بن العباس مُصْطبِحاً دهرَه لا يفوتُه ذلك إلاَّ في يوم جُمعة أو صَوْم شَهْر رمضان، وكان يُكثِر المدْحَ للصَّبوح ويقول الشِّعر فيه، ويغَنِّي فيما يقوله، قال عبيد الله: فأنشدني نافِذٌ مولانا وغيره من أصحابنا في ذلك، منْهُم حَمَّاد بن إسحاق:

صوت

[البسيط]

ومُسْتَطيلٍ على الصَّهْبَاءِ باكرها في فِتْيةٍ باصْطِباحِ الرَّاحِ حُذَّاقِ
فكُلُّ شَيْءٍ رآهُ خالَهُ قَدَحاً وكُلُّ شَخْصٍ رآهُ خَالَهُ الساقِي

قال: ولَحْنه فيه خفِيف رمل ثقيل. قال حَمَّاد: وكان أبي يَسْتَجِيد هذا الصَّوت من صنْعَتِهِ، ويستَحْسِن شعره ويَعجَب من قَوْله:

فكُلُّ شَيْءٍ رآهُ خالَهُ قَدَحاً وكُلُّ شَخْصٍ رآهُ خَالَهُ الساقِي

ويعجب من قوله:

ومُسْتَطِيل على الصَّهْبَاءِ باكَرَها

ويقول: وأيُّ شَيْءٍ تَحْتَه من المعاني الظريفة!

قال: وسَمعه أبي يغنَيِّه فقال له: كأنّك والله يا عبد الله خَطيبٌ يخطب على المِنبر، قال عبد الله بن محمد: فأنشَدني حَمَّادٌ له في الصبوح: [المجتث]

لا تعذِلَنْ في صَبُوحِي فالعَيْشُ شُرْبُ الصَّبُوحِ
ما عابَ مُصْطَبِحاً قَطّ غَيْرُ وَغْدٍ شَحِيحِ

قال عَمِّي: قال عُبَيد الله: دخل يوماً عبدُ الله بن العَبّاس الرَّبيعيُّ على أبي

مُسَلِّماً، فلما استقرَّ به المجلس وتحادثا ساعة قال له: أنشِدني شَيْئاً من شِعرك، فقال: إنما أعبث ولستُ مِمَّن يقدُم عليك بإنشاد شِعْره، فقال: أتقولُ هذا وأنت القائل:

يـا شـادِنـاً رامَ إذ مـرَّ ... فـي الـسَّـعـانـيـن قَـتْـلِـي
تَـقـولُ لـي: كَـيْـفَ أصْـبَـحْـتَ؟ ... كَـيْـفَ يُـصْـبـح مِـثْـلِـي!

أنتَ واللَّهِ أعزّك اللَّهُ أغزلُ الناس وأرقّهم شِعراً، ولو لم تَقُل غيرَ هذا البيت الواحد لكفاك ولكُنت شاعراً.

أخبرني عمّي والحُسَيْن بن القاسم الكوكَبي قالا: حدَّثَنا أحمدُ بنُ أبي طاهر قال: حدَّثَني أحمدُ بن الحُسَين الهِشامِيّ أبو عبد الله قال: حدَّثَني عبدُ الله بنُ العَبَّاس بنِ الفَضْل بنِ الرَّبيع قال: كنتُ جالِساً على دِجْلَة في لَيْلَة من اللّيالي، وأخذتُ دَواةً وقِرطاساً وكتبتُ شِعْراً حَضَرني وقُلْتُه في ذلك الوقت:

صوت

[المنسرح]

أخـلـفَـكَ الـدَّهْـرُ مـا تَـنْـظُـرُهُ ... فـاصْـبِـرْ فـذا جـلُّ أَمْـرِ ذا الـقَـدَرِ
لَـعـلَّـنـا أن نُـديـلَ مِـنْ زَمَـنِ ... فـرَّقَـنـا والـزَّمـانُ ذُو غِـيَـرِ

قال: ثم أُرتج عليَّ فلم أَدْرِ ما أَقول حتى يَئِسْت من أن يَجِيئَني شَيْء، فالتفَتُّ فرأيتُ القمر وكانت ليلة تَتِمَّتِه فقلت: [المنسرح]

فـانْـظُـرْ إلـى الـبَـدْرِ فـهـو يُـشـبِـهُـهُ ... إن كـانَ قـد ضَـنَّ عـنـك بـالـنَّـظَـرِ

ثم صنعت فيه لَحْناً من الثَّقيل الثاني. قال أبو عبد الله الهشاميّ: وهو والله صوت حَسَن.

أخبرني جَحْظَةُ عن ابنِ حَمْدون، وأخبرني به الكَوكَبي عن عليّ بن محمد بنِ نَصْر، عن خالدِ بن حَمْدون قال: كنَّا عند الوَاثِق في يوم دَجْن، فلاح بَرْق واستَطار، فقال: لو في هذا شَيء، فبدَرَهم عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفَضْل بن الرَّبيع، فقال هَذَيْن البَيْتين: [المتقارب]

أعـنِّـي عـلـى لامِـعٍ بـارِقٍ ... خـفـيٍّ كَـلَـمْـحِـكَ بـالـحـاجِـبِ
كـأنَّ تـألُّـقَـهُ فـي الـسَّـمـاءِ ... يَـدا كـاتـبٍ أو يَـدا حـاسِـبِ

وصنع فيه لَحْناً شَرِب فيه الواثقُ بقِيَّةَ يومه، واستَحْسَن شعرَه ومعناه وصَنْعتَه، ووصل عبد الله بصِلةٍ سَنِيَّة.

حدَّثني عَمِّي قال: حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال: حدَّثني محمدُ بن محمد بن مروان قال: حدَّثني الحُسَين بنُ الضَّحَّاك قال: كنتُ عند عبد الله بن العَبَّاس بنِ الفضل بن الرَّبيع، وهو مُصْطَبح، وخادمٌ له قائِمٌ يَسْقِيه فقال لي: يا أبا عليّ، قد استَحْسَنتُ سَقْيَ هذا الخادم، فإن حَضَرك شيءٌ في قِصَّتِنا هذه فقل؛ فقلت [المنسرح]

أحيَتْ صَبوحِي فُكاهةُ اللاَّهِي ... وطابَ يومي بقُرْب أشْباهي

فاسْتَثِرِ اللَّهْوَ من مَكامِنهِ ... من قَبْلِ يومِ مُنغِّصٍ ناهِي

بابنةِ كَرْمٍ من كَفِّ مُنْتَطِقٍ ... مُؤْتَزِرٍ بالمُجونِ تَيّاهِ

يَسْقِيكَ من طَرْفِهِ ومن يَدِهِ ... سَقْيَ لطيفٍ مُجرّبٍ داهي

طاساً وكاساً كأنَّ شارِبَها ... حَيرانُ بين الذُّكُورِ والسَّاهي

فاستَحْسَنه عبدُ الله، وغَنَّى فيه لَحْناً مليحاً، وشَرِبْنا عليه بَقِيَّة يومنا.

أخبرني عَمِّي، قال: حدّثنا أبو عبد الله أحمدُ بن المَرْزُبان بنِ الفَيْرزان قال: حدَّثني شَيْبَة بنُ هشام، قال: كان عبدُ الله بنُ العَبَّاس بنِ الفَضْل بن الرَّبيع قد عَلِق جاريةً نَصْرَانِيَّة قد رآها في بعض أعياد النّصارى، فكان لا يُفارِق البِيَعَ في أعيادِهم شَغَفاً بها، فخرج في عِيد ما سَرْجِيس فظَفِر بها في بسْتان إلى جانب البِيعَة، وقد كان قبل ذلك يُراسِلها ويعرّفها حُبَّه لها، فلا تَقْدِر على مُواصَلَتِه ولا على لقائه إلا على الطّريق، فلما ظَفِر بها التَوَتْ عليه وأبتْ بَعض الإِباء، ثم ظَهَرتْ له وجَلستْ معه، وأكَلُوا وشَرِبوا وأقام معها ومع نِسْوة كُنّ معها أُسبوعاً، ثم انصرفَت في يوم خميسٍ، فقال عبدُ الله بن العَبّاس في ذلك وغَنّى فيه:

رُبَّ صَهْباء من شَرابِ المَجُوسِ ... قَهْوةٍ بابِلِيَّةٍ خَنْدَرِيسِ

قد تَجَلَّيتُها بِناي وعُودٍ ... قبل ضربِ الشَّمَّاسِ بالنّاقوسِ[1]

وغَزالٍ مُكَحَّلٍ ذِي دلالٍ ... ساحِرِ الطَّرْفِ سامِرِيٍّ عَرُوسِ

قد خَلَوْنا بطِيبِه نَجْتَلِيه ... يوم سَبْتٍ إلى صَباحِ الخميسِ

بين وَرْدٍ وبين آسٍ جَنِيٍّ ... وسطَ بُسْتانِ دَيْرِ ما سَرْجِيسِ

يَتَثَنَّى بحُسْنِ جِيدِ غَزالٍ ... وصَلِيبٍ مُفَضَّضٍ آبَنُوسِي

---

(١) يوم النيروز: أول يوم السنة الشمسية عند الفرس، وهو يوم الفرح.

كم لَثَمْتُ الصَّلِيبَ في الجِيدِ منها ... كهلالٍ مُكَلَّلٍ بشُمُوسِ

أخبرني عَمّي قال: حدّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان، عن شَيْبة بنِ هشام، قال: كان عبدُ الله بنُ العَبّاس يوماً جالِساً ينتَظِر هذه النَّصرانيَّة التي كان يَهواها، وقد وعدَتْه بالزّيارة، فهو جالس يَنْتظِرها ويتفقَّدُها إذ سَقَط غُراب على بَرَّادة دارِه فَنَعب مَرَّة واحدة ثم طار، فتطيَّر عبدُ الله من ذلك ولم يَزَل ينتظرها يومه فلم يرها، فأرسل رسولَه عِشاءً يسأل عنها، فعُرِّف أنها قد انحدرَت مع أبيها إلى بَغْداد، فتنغّص عليه يَومُه، وتفرّق مَنْ كان عنده، ومكث مُدَّة لا يعرف لها خبَراً. فبَيْنا هو جالس ذاتَ يوم مع أصحابه، إذ سَقَط هُدْهُد على برّادَتِه، فصاح ثلاثة أصواتٍ وطار، فقال عبدُ الله بنُ العَبَّاس، وأيّ شيء أبقَى الغرابُ للهُدْهد عَلينا؟ وهل تَرَك لنا أحداً يُؤذِينا بفِراقه؟ وتطيَّر من ذلك، فما فَرَغ من كلامه حتى دَخَل رسولُها يُعلمه أنها قد قدِمتْ منذ ثلاثة أيام، وأنها قد جاءته زائرةً على إثْرِ رَسُولِها، فقال في ذلك من وَقْتِه:

[الهزج]

سَقاكَ الله يا هُدهدُ ... وَسْمِيّاً من القَطْرِ
كما بَشَّرتَ بالوَصْلِ ... وما أنْذَرْت بالهَجْرِ
فكم ذَا لكَ من بُشْرَى ... أتتني منك في سِتْرِ
كما جاءت سُليمانَ ... فأوفت منه بالنّذْرِ
ولا زال غُرابُ البَيْنِ ... في قُفَاعَةِ الأسْرِ[1]
كما صَرَّحَ بالبَيْنِ ... وما كُنتُ به أدْرِي

ولَحْنُه في هذا الشِّعر هزج.

حدَّثني عمّي قال: حدّثني مَيْمونُ بنُ هارون قال: قال إسحاق بنُ إبراهيم بنِ مُصْعَب: قال لي عبد الله بن العباس الربيعيّ: لمَّا صنَعْتُ لَحْني في شعري:

[المنسرح]

ألا اْصبَحاني يوم السّعانينِ ... من قَهْوةٍ عُتِّقَت بِكركِينِ[2]
عند أُناسٍ قَلبي بهم كَلِفٌ ... وإن تولّوْا دِيناً سِوَى دِيني[3]

---

(١) الشماس: رتبة دينية دون القسيس عند النصارى.
(٢) القفاعة: المَصْيَدة.
(٣) كركين: قرية من قرى بغداد قرب البردان. (معجم البلدان ٤/٤٥٣).

قد زَيّن المُلكَ جَعفرٌ وحكى جُودَ أبيه وبأسَ هارونِ
وأمّن الخائفَ البريءَ كما أخافَ أهلَ الإلحادِ في الدِّينِ

دعاني المُتَوكّل، فلما جلست في مَجْلس المُنادَمة غنَّيتُ هذا الصَّوت فقال لي: يا عبدَ الله، أيْن غِناؤُك في هذا الشعر في أيّامي هذه من غنائك في:

أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عَنْ حُرِّ وَجْهِها وأدْنَتْ على الخَدَّيْن بُرْداً مُهَلْهلا[1]

ومن غنائك في: [المنسرح]

أقفَر من بعد خُلَّةٍ سَرِفُ فالمُنْحَنى فالعَقِيقُ فالجُرُف

ومن سائر صَنْعَتِك المتَقَدِّمة التي استفرَغْت محاسِنَك فيها، فقلتُ له: يا أمير المؤمنين، إنّي كنتُ أتَغَنّى في هذه الأصواتِ ولي شَبابٌ وطَرَب وعِشق، ولو رُدَّ عليّ لغَنَّيْتُ مثل ذلك الغِناء، فأمر لي بجائزة واستَحْسَن قَوْلي.

حدَّثني عَمِّي قال: حدّثنا أحمد بنُ المَرْزُبان قال: حدثني أبي، قال: ذكَر المُنْتَصِرُ يوماً عبدَ الله بن العَبَّاس وهو في قَراح النّرجس[2] مُصطبح، فأحضره وقال له: يا عبدَ الله، اصنَع لَحْناً في شِعْري الفُلانيّ وغَنِّني به، وكان عبد الله حَلَف لا يُغنّي في شِعْره، فأَطرَق مَلِيّاً، ثم غَنَّى في شعر قاله للوَقْت وهو: [الكامل]

يا طِيبَ يَوْمي في قراحِ النَّرجِسِ في مَجْلِسٍ ما مِثْلُهُ مِنْ مَجْلِس!
تُسقَى مُشعْشَعةً كأنَّ شُعاعَها نارٌ تُشَبُّ لِبائِسٍ مُسْتقْبِسِ[3]

قال: فَجهِد أبي بالمُنْتَصِر يوماً واحْتال عليه بكُلِّ حِيلة أن يصِلَه بشيء فلم يَفعل.

حدّثني عَمِّي، قال: حدّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان، قال: حدّثني أبي قال:

غضِبَت قَبِيحَةُ على المُتَوكل وهاجَرَتْه، فجلَس ودخل الجُلساء والمُغَنُّون، وكان فيهم عبدُ الله بن العَبَّاس الربيعي، وكان قد عَرَف الخبر، فقال هذا الشِّعَر وغنَّى فيه: [الخفيف]

لستَ مِنّي ولستُ منك فدَعْنِي وامْضِ عنّي مُصاحَباً بسَلامِ

---

(١) كلف: مولع، مغرم.
(٢) أماطت: رفعت، أزاحت.
(٣) قراح النرجس: خالصه.

لم تَجِد عِلَّةً تَجَنَّى بها الذَّنْبَ فصارتْ تَعْتَلُّ بالأحلامِ
فإذا ما شَكَوْتُ ما بِيَ قالت: قد رأينا خلافَ ذَا في المَنامِ

قال: فطَرِب المُتَوَكّل وأمر له بعِشْرين ألف دِرْهم وقال له: إنّ في حيَاتِك يا عبد الله لأُنساً وجمالاً وبقاءً للمُروءَةِ والظّرْف.

أخبرني عَمّي قال: حدّثني أحمدُ بنُ المَرْزُبان قال: حدّثني أبي قال: حدّثني عبد الله بنُ العَبّاس الرَّبيعيّ قال: كنتُ في بعض العساكر فأصابَتْنا السّماء[1] حتى تأَذّينا، فَضُربت لي قُبّة تُركيّة، وطُرِح لي فيها سَرِيرانِ، فَخَطَر بقلبي قَوْلُ السُّلَيْك:

صوت

[الرمل]

قَرِّب النَّحّام واعجلْ يا غُلامْ واطْرَحِ السَّرْجَ عليه واللِّجامْ[2]
أبلغ الفِتْيَانَ أنّي خائِضٌ غَمْرَةَ الضَّرْبِ فَمَنْ شاء أقامْ

فَغَنَّيْتُ فيه لَحنِي المعروف، وغَدَوْنا فدخَلْتُ مدينةً، فإذا أنا برَجُل يُغنّي به ووالله ما سَبَقَني إليه أحد ولا سَمعه مِنّي أحد، فما أدْرِي مَنِ الرّجُل، ولا مِن أيْن كان له، وما أرَى إلا أنّ الجِنَّ أوقعته في لسانه!

حدّثني عَمّي، قال: حدّثني أحمد بنُ المَرْزُبان، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عبدُ الله بنُ العبَّاس الرَّبيعيّ قال: كنتُ عند محمد بنِ الجَهم البَرمَكِيّ بالأهواز، وكانت ضَيْعَتي في يده، فغَنّيته في يوم مهرجان وقد دعانا للشُّرب:

صوت

[السريع]

المِهرَجانُ ويومُ الاثْنَيْنِ يومُ سُرورٍ قد حُفَّ بالزَّيْنِ
يَنْقُلُ من وغْرةِ المَصِيفِ إلى بَرْدِ شِتاءٍ ما بَيْنَ فَصْلَيْنِ[3]
محمدُ يابْنَ الجَهْم ومَن بَنى للمَجْد بَيْتاً من خير بَيْتَيْنِ
عِشْ ألفَ نَيْروز ومَهْرِجٍ فَرِحاً في طِيبِ عَيْشٍ وقُرَّةِ العَيْنِ

---

(١) مستقبس: طالب قَبَس من نار.
(٢) أصابتنا السماء: أمطرتنا.
(٣) النَّحّام: الفرس.

قال: فسُرَّ بذلك واحتمل خَراجِي في تلك السَّنة، وكان مبلَغُه ثلاثين ألف دِرْهم.

أخبرني الحَسَنُ بنُ علي قال: حدّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرويه، قال: حدَّثني ابنُ أبي سَعْد قال: حدَّثني أبو تَوْبة القَطِرانيّ، عن محمد بن حُسَين قال:

كنَّا عند أبي عيسى بن الرَّشيد في زمَن الرّبيع ومعنا مُخارِق، وعَلُّويه، وعبدُ الله بنُ العَبَّاس الرَّبيعيّ، ومحمدُ بن الحارث بن بُسْخُنَّر، ونحن مُصْطبِحُون في طارِمة[١] مَضْروبة على بُسْتانه، وقد تفتَّح فيه وَردٌ وياسَمِين وشَقائِق، والسماء مُتَغيِّمة غيماً مُطبِقاً، وقد بدأت تَرُشُّ رَشاً ساكِباً، فنحن في أكْمَل نَشاطٍ وأحسَنِ يَوْم إذ خرجَت قَيِّمةُ دارِ أبي عيسى فقالت: يا سَيِّدي، قد جاءت عَساليجُ، فقال: لتَخْرُج إلينا، فليس بحَضْرتنا مَنْ تَحتشِمه، فخرجت إلينا جارية شَكِلة[٢] حُلوَة، حسَنة العَقْل والهَيْئَة والأدب، في يَدِها عُود. فَسَلَّمتْ، فأمرها أبو عيسى بالجُلوس فَجَلست، وغَنّى القومُ حتى انتهى الدّور إليها، وظنَنَّا أنها لا تصنع شيئاً وخِفْنا أن تَهابنا فتَحْصَر، فغنَّت غِناءً حَسَناً مُطرِباً مُتقَناً، ولم تَدَعْ أحداً مِمَّن حَضَر إلا غَنَّت صوتاً من صَنْعَته وأدته على غاية الإِحكام، فَطَربنا واستَحْسَنّا غناءَها وخاطبناها بالاستحْسان، وألحَّ عبدُ الله بن العباس من بيننا بالاقتراح عليها والمِزاح معها والنَّظَر إليها، فقال له أبو عيسى: عَشِقْتَها وحياتي يا عبدَ الله، قال: لا والله يا سَيِّدي وحَياتِك ما عَشِقْتُها، ولكني استَحْسنتُ كُلَّ ما شاهدتُ منها من مَنْظر وشكل وعقل وعشرة وغناء، فقال له أبو عيسى: فهذا والله هو العِشق وسَببُه، ورُبَّ جِدٍّ جَرَّه اللَّعِب. وشَرِبنا، فلما غَلَب النَّبِيذُ على عبد الله غَنَّى أهزاجاً قديمة وحَدِيثة، وغنّى فيما غَنّى بينهما هَزجاً في شِعْر قاله فيها لوَقْته، فما فَطِنَ له إلا أبو عيسى وهو:

صوت

[الرمل]

نَطَقَ السُّكْرُ بسِرِّي فبَدَا ... كم يُرَى المَكْتُومُ يَخفى لا يَضِحْ

سِحْرُ عَيْنَيك إذا ما رَنَتا ... لم يَدعْ ذا صَبْوةٍ أو يَفْتَضِحْ

---

(١) وغرة المصيف: شدة حرارة الصيف.

(٢) الطارمة: بيت من خشب كالقبة.

مَلَكَتْ قَلْباً فأمسى غَلِقاً عندها صَبّاً بها لم يَسْتَرِحْ
بجَمالٍ وغناءٍ حسنٍ جلّ عن أن يَنْتَقِيهِ المُقْتَرِحْ
أَوْرَثَ القَلْبَ هُموماً ولقد كنتُ مسروراً بمرآهُ فَرِحْ
ولكم مُغْتَبِقٍ هَمّاً وقد بَكَرَ اللَّهْوَ بُكورَ المُصْطَبِحْ

الغناء لعبد الله بن العبَّاس هزج ـ فقال له أبو عيسى: فعلْتَها والله يا عبد الله، وطار طرباً، وشَرِب على الصَّوت وقال له: صحَّ والله قَولي لك في عَساليج، وأنت تُكابِرُني حتّى فَضَحَك السُّكرُ. فَجَحد وقال: هذا غناء كنت أرويه، فحلف أبو عيسى أنه ما قاله ولا غَنَّاه إلا في يومِه، وقال له: احلِفْ بحَياتي أن الأمرَ ليس هو كذلك، فلم يفعل، فقال له أبو عيسى: والله لو كانت لي لوهَبْتُها لك، ولكنها لآلِ يَحْيى بنِ معاذ، والله لئِن باعُوها لأُملِّكَنَّك إيّاها ولو بكُلِّ ما أملك، ووحياتي لتَنْصَرِفَنَّ قبلك إلى مَنْزِلك، ثم دعا بحافِظَتها وخادِم من خَدَمه، فوجَّه بها معهما إلى مَنْزِله. والتَوَى عبدُ الله قليلاً وتجَلَّد، وجاحَدَنا أمره ثم انصرف. واتّصل الأمر بينهما بعد ذلك، فاشتَرَتْها عَمّته رُقَيَّةُ بنتُ الفَضل بن الرَّبيع من آلِ يَحْيى بنِ مُعاذ، وكانت عندهم حتى ماتت.

فحدَّثني جعفرُ بنُ قُدامة بن زِياد عن بعض شيوخه ـ سقَط عني اسمُه ـ قال: قالت بَذْل الكبيرة لعبدِ الله بنِ العَبّاس: قد بلغني أنك عَشِقْتَ جارية يقال لها عساليج فاعرِضْها عليّ، فإمَّا أن عَذرتُك وإمّا أن عَذلْتُك، فوجَّه إليها فحَضَرت، وقال لبَذْل: هذه هي يا ستّي فانظري واسمعي، ثم مُريني بما شئتِ أُطِعْك، فأقبلت عليه عساليجُ وقالت: يا عبد الله أَتُشاوِرُ فيّ؟ فوالله ما شاوَرْتُ فيك لَمّا صاحبتُك، فنَعَرت[1] بَذْل وصاحت: إيه، أحسَنْتِ والله يا صَبِيَّة، ولو لم تُحسِني شيئاً ولا كانت فيك خَصْلة تُحمَد لوجب أن تُعشَقي لهذه الكلمة، أحسنتِ والله! ثم قالت لعبدِ الله: ما ضَيَّعْتَ احتفظ بصاحبتك.

حدّثني عمّي قال: حدّثني محمد بنُ المَرْزُبان، عن أبيه؛ عن عبد الله بن العَبَّاس قال: دعانا الواثِقُ في يوم نُوْرُوز، فلما دَخَلتُ عليه غَنَّيْتُه في شعر قلتُه وصَنَعْت فيه لحناً وهو: [المجتث]

هيَ للنَّيروزِ جاما ومُداماً ونَدامى

(١) شَكِلة: ذات دلال وغنج.

يَحْمدونَ اللّهَ والوا ثِقَ هارونَ الإماما
ما رَأى كِسْرى أنوشِرْ وانَ مِثْلَ العام عامَا
نَرْجِساً غَضّاً ووَرْداً وبَهاراً وخُزامَى[1]

قال: فطَرِب واستَحسَن الغِناء، وشرب عليه حتى سكر، وأمر لي بثلاثين ألْف دِرْهم.

حدثني عمّي قال: حدثني أحمدُ بنُ المَرزُبان قال: حدثني شَيْبة بنُ هِشام قال: ألقت مُتَيَّم[2] على جوارينا هذا اللحن وزعمت أنَّها أخذته من عبد الله بن العبّاس والصّنعةُ له:

صوت

[مجزوء الكامل]

إنّي اتَّخَذْتُ عدُوَّةً فسَقَى الإلهُ عدُوَّتي
وَفَدَيْتُها بأقاربي وبأُسْرَتي وبَجيرتي
جُدِلَتْ كَجَدْلِ الخَيْزُرا نِ وثُنِّيَتْ فَتَثَنَّتِ
واسْتَيْقَنَتْ أنَّ الفؤا دَ يُحِبُّها فأدَلَّتِ

قال: ثم حدَّثَتْنا مُتيَّم أنَّ عبد الله بنَ العَبّاس كان يتعشَّق مصابيحَ جارية الأَحْدَب المُقَيِّن، وأنّه قال هذا الشعر فيها، وغَنَّى فيه هذا اللَّحْن بحضرتها، فأخَذَتْه عنه. هكذا ذكَر شَيْبَةُ بنُ هِشام من أَمْر مَصابيح، وهي مَشهورة من جَواري آل يَحْيى بن معاذ، ولعلها كانت لهذا المقيِّن قبل أن يملكها آلُ يَحْيى، وقبل أن تَصِل إلى رُقَيَّة بنتِ الفضل بن الرَّبيع.

وحدَّثنا أيضاً عمّي قال: حدثنا أحمدُ بن المَرْزُبان، عن شيبة بن هِشام، قال: كان عبد الله بن العبَّاس يتعَشَّق جاريةَ الأحدبِ المُقَيِّن ـ ولم يُسمِّها في هذا الخبر ـ فغاضبها في شيء بلَغه عنها، ثم رام بعد ذلك أن يترضَّاها فأبت، وكتب إليها رُقعة يَحلِف لها على بطلان ما أنْكرته، ويدعو الله على مَنْ ظلم، فلم تُجِبْه عن شيء مما

---

(١) نَعَرَت: صاحت.

(٢) البهار: نبتة طيبة الرائحة. والخزامى: زهرة عطرة.

كتب به ووقَّعت تحت دُعائِه: آمين، ولم تُجب عن شيء مما تَضمَّنَتْه الرُّقعةُ بغير ذلك، فكتب إليها: [مجزوء الكامل]

أمَّا سُروري بالكتا ... بِ فَلَيْس يَفنى ما بَقينا
وأتى الكتابُ وفيه لي ... آمينَ ربَّ العالمينا

قال: وزارَتْه في لَيْلة من ليالي شهر رَمَضان وأقامت عنده ساعة، ثم انصرفت وأَبَتْ أن تَبِيت وتقيم ليلتَها عنده، فقال هذا الشِّعْر وغَنَّى فيه هَزَجاً وهو مَشْهور من أغانيه وهو:

صوت

[المنسرح]

يا مَنْ لِهمٍّ أمسى يُؤرِّقُني ... حتى مضى شَطْرُ لَيْلَةِ الجُهَنِي
عَنِّي ولم أدرِ أنَّها حضرت ... كذاك مَنْ كان حُزْنُهُ حُزني
إنّي سَقِيمٌ مُوَلَّه دَنِفٌ ... أسقَمني حُسْنُ وَجْهِكِ الحَسَنِ
جُودِي له بالشِّفاءِ مُنْيَتَهُ ... لا تَهجُري هائماً عليك ضَنِي

قال: وليلةُ الجُهَنِي ليلة تسعَ عَشْرةَ من شَهْر رمضان، قال رجل من جُهَيْنة: إنّه رأى فيها ليلةَ القَدْر فيما يَرَى النّائم فسُمِّيت ليلة الجُهَنِي.

أخبرني عَمي قال: حدَّثنا أحمدُ بن المَرزُبان قال: حدَّثني شَيْبة بنُ هِشام قال: دعانا محمد بنُ حمّاد بن دنقش وكان له سِتارَة في نهاية الوَصْف، وحضر معنا عبدُ الله بنُ العباس، فقال عبد الله وغَنَّى فيه:

دَعْ عنك لومي فإنّي غيرُ مُنقادِ ... إلى المَلام وإن أَحْبَبْتَ إرْشادِي
فَلَسْتُ أعرِفُ لي يوماً سُرِرْتُ به ... كمِثل يَوْمِيَ في دارِ ابنِ حَمَّادِ

أخبرني يَحْيَى بنُ عليّ بنِ يَحْيى قال: حدّثني أبو أيوب المدِيني قال: حدَّثني ابنُ المكّيّ عن عبدِ الله بنِ العبَّاس قال: لمّا صنعتُ لَحْني في شعري:

صوت

يا لَيلةً ليس لها صُبْحُ ... وموعِداً ليس له نُجْحُ
مِن شادنٍ مرّ على وَعْدِهِ الميلادُ ... والشُّلاّقُ والذّبحُ

ـ هذه أعيادُ النَّصارى ـ غَنَّيتُه الواثِق فقال: ويْلَكم، أدركوا هذا لا يَتَنصَّر، وتَمامُ هذا الشِّعر.

وفـي الـسَّـعَـانِـيـنِ لـو انِّـي بـهِ وكـان أقْـصَـى الـمَـوعِـدِ الـفـصْـحُ
فـالله أسـتَـعْـدِي عـلـى ظـالـمٍ لـم يُـغْـنِ عـنـه الـجُـودُ والـشُّـحُّ

نسختُ من كِتاب أبي سَعِيد السُّكَّرِي: قال أبو العَتاهية: وفيه لعبد الله بنِ العبّاس غِناء حَسَن:

أنـا عَـبْـدٌ لـهـا مُـقِـرٌّ ومـا يَـمْـ لِـكُ لـي غـيـرُهـا مـن الـنـاس رِقّـا
نـاصِـحٌ مُـشـفِـقٌ وإن كـنـت مـا أُرْ زَقُ مـنـهـا والـحـمـدُ لله عِـتْـقـا
ومـن الـحَـيْـنِ والـشّـقـاءِ تَـعَـلَّـقْـ ـتُ مـلـيـكـاً مُـسْـتَـكْـبِـراً حـيـن يُـلْـقَـى
إنْ شَـكَـوْتُ الـذي لَـقِـيـتُ إلـيـه صَـدَّ عَـنِّـي وقـال: بُـعـداً وسُـحْـقـا

أخبرني عَمِّي قال: حدَّثني عليُّ بنُ محمد بن نَصْر، عن جَدّه حَمْدون بنِ إسْماعيل قال: دخلتُ يوماً إلى عبدِ الله بنِ العَبّاس الربيعِي، وخادِمٌ له يَسْقيه، وبيده عُودُه وهو يُغنِّي هذا الصوت:

إذا اصـطَـبَـحْـتُ ثَـلاثـاً وكـان عُـودِي نَـدِيـمِـي
والـكَـأسُ تُـغْـرِب ضَـحِـكـاً مـن كـفِّ ظَـبْـيٍ رَخـيـمِ
فـمـا عَـلَـيَّ طَـرِيـقٌ لـطـارقـاتِ الـهُـمـومِ

قال: فما رأيتُ أحسنَ مما حكى حاله في غِنائِه، ولا سَمِعْتُ أحسنَ مِمّا غنى.

أخبرني الحسين بنُ القاسِم الكوكَبِيّ قال: حَدَّثَنا عبدُ الله بنُ أبي سَعْد قال: حدَّثَني دوسر الخراساني، قال: اشترى حزام خادم المعتَصِم خادماً نظيفاً، كان عبدُ الله بنُ العبّاس بن الفَضْل بنِ الربيع يَتَعشَّقه! فسأَلَه هِبتَه له أو بيعَه منه فأَبى، فقال عبدُ الله أبياتاً وصنع فيها غناءً، وهي قوله: **[الخفيف]**

يَـوْمُ سَـبْـتٍ فـصَـرِّفـا لِـي الـمُـدامَـا واسْـقِـيـانـي لَـعَـلَّـنـي أن أنـامَـا
شـرَّدَ الـنَّـوْمَ حُـبُّ ظَـبْـيٍ غـريـرٍ مـا أراه يـرَى الـحـرَامَ حـرامَـا
اشْـتَـراهُ يَـوْمـاً بـعُـلْـفَـةِ يـوم أصـبـحَـت عـنـده الـدَّوابُ صـيـامَـا

فاتصلت الأبياتُ وخبرُها بحزام فَخشي أن تَشْتَهرَ ويسمعها المُعْتصم فيأتي عليه؛ فبعث بالغلام إلى عبد الله، وسأله أن يُمسِك عن الأبيات، ففعل.

حدّثني الصُّوليّ قال: حدَّثني الحُسَيْن بن يحيى قال: قلت لعبد الله بن العَبّاس: إنه بَلَغني لك خبرٌ مع الرشِيد أول ما شُهرتَ بالغناء، فحدِّثني به، قال: نعم أول صوت صَنَعْتُه:

أتـانـي يـؤامِـرُنـي فـي الـصَّـبـو ح لَـيْـلاً فَـقُـلْـتُ لـه: غـادِهـا

فلما تأتّى لي وضربت عليه بالكنكلة[1]؛ عرضتُه على جارية لنا يقال لها رَاحَة، فاستَحْسَنَتْه وأخذَتْه عنِّي، وكانت تَخْتَلف إلى إبراهيم الموصِلّي، فسَمِعها يوماً تُغَنِّيهِ وتناغي به جارية من جواريه، فاستعادَها إيّاه وأعادته عليه، فقال لها: لِمَنْ هذا؟ فقالت: صَوْت قديم، فقال لها: كَذَبتِ، لو كان قديماً لعرَفْتُه، وما زال يُدَارِيها ويتَغاضَب عليها حتى اعترفت له بأنَّه من صَنْعَتي، فَعَجِب من ذلك، ثم غنّاه يوماً بحضرة الرشيد، فقال له: لمَنْ هذا اللَّحن يا إبراهيم؟ فأمسك عن الجواب وخشي أن يكذِبه فيَنْمى الخبرُ إليه من غيره، وخاف من جدّي أن يصدقه، فقال له: ما لك لا تجيبني؟ فقال: لا يمكِنُني يا أميرَ المؤمنين، فاسْتراب بالقِصّة، ثم قال: والله، وتُربة المَهْدِي لئن لم تَصدُقْني لأُعاقبنَّك عُقوبةً مُوجعة، وتوهّم أنه لِعُلَيَّة أو لبعض حُرَمه فاستطِير غضباً، فلما رأى إبراهيم الجِدَّ منه صَدَقه فيما بينه وبينه سِرّاً، فدعا لوقته الفضلَ بن الرَّبيع ثم قال له: أيصنَع ولدُك غناءً ويرويه الناس ولا تعرّفني؟ فجزع وحَلَف بحياته وبَيْعته أنه ما عرف ذلك قطّ، ولا سَمِع به إلا في وَقته ذلك، فقال له: ابنُ ابنِك عبدُ الله بنُ العَبّاس أحضِرْنيه السّاعة، فقال: انا أمضي وأمتَحِنه، فإن كان يصلُح للخدمة أحضَرته، وإلاّ كان أميرُ المؤمنين أوْلى مَنْ ستر عورتنا، فقال: لا بُدّ من إحضاره. فجاء جدّي فأحضرني وتَغيّظ عليّ، فاعتذرت وحَلَّفتُ له أن هذا شيء ما تعمّدتُه، وإنما غَنَّيتُ لنفسي، وما أدري من أيْن خَرَج، فأمر بإحضار عُود فأُحضِر، وأمرني فغَنَّيتُه الصوتَ، فقال: قد عَظُمت مُصِيبتي فيك يا بنيّ، فحلفتُ له بالطلاق والعتاق ألاّ أقبل على الغناء رِفداً أبداً، ولا أُغَنّي إلا خليفةً أو وليَّ عهد، ومَنْ لعلّه أن يكون حاضراً مجالسهم، فطابت نفسُه. فأحضرني، فغنَّيتُ الرشيدَ الصوتَ فطرِب وشرب عليه أقداحاً، وأمرني بالمُلازمة مع الجُلَساء، وجعل لي نَوْبة، وأمر بحمل عشرة آلاف دينار إلى جَدِّي، وأمره أن يَبْتاع ضَيْعة لي بها، فابتاع لي ضَيْعتي بالأهواز، ولم أزل مُلازماً للرشيد حتى خرج

(١) الكنكلة: آلة طرب هندية ذات وتر واحد.

إلى خُراسان، وتأخرت عنه وفرّق الموتُ بيننا.

قال ابنُ المرزُبان: فكان عبدُ الله بنُ العبّاس سَبباً لمعرفة أولياء العهود برأي الخلفاء فيهم، فكان منهم الواثق، فإنه أحبّ أن يَعرِف: هل يُولّيه المعتَصم العهدَ بعدَه أم لا، فقال له عبد الله: أنا أَدُلُّك على وَجْه تعرف به ذلك، فقال: وما هو؟ فقال: تسأَلُ أميرَ المؤمنين أن يأذن للجُلساء والمُغَنِّين أن يَصيروا إليك، فإذا فعل ذلك فاخْلَعْ عليهم وعليَّ معهم، فإني لا أقبَل خلعَتك لليَمِين التي عليَّ، ألاَّ أقبل رفداً إلا من خليفة أو وليّ عَهْد. فَقَعَد الواثقُ ذات يوم وبعث إلى المعتَصم وسَأله الإذنَ إلى الجلساء، فأذِن لهم، فقال له عبدُ الله بن العباس: قد عَلِم أميرُ المؤمنين يَميني، فقال له: امضِ إليه فإنك لا تحنَث[1]، فمضى إليه وأخبره الخَبَر فلم يُصدِّقه، وظنّ أنه يُطَيِّب نفسَه، فخَلَعَ عليه وعلى الجماعة، فلم يَقبَل عبدُ الله خِلعَته، وكَتب إلى المعْتَصم يشكوه، فبَعَث إليه: اقبل الخِلْعَة، فإنه وَلِيُّ عَهْدِي، ونَمَى إليه الخبرُ أنَّ هذا كان حِيلَة من عبد الله، فنَذَر دَمَه، ثم عفا عنه. وسُرَّ الواثِقُ بما جرى، وأَمَر إبراهيمَ بنَ رِياح، فاقْترض له ثلثمائة ألفِ درهم، ففرّقها على الجلساء، ثم عَرَف غَضَب المعتصم على عبدِ الله بن العباس واطّرَاحه إيّاه، فاطَّرحَه هو أيضاً. فَلمَّا وَلي الخلافة استمَرّ على جَفائه، فقال عبد الله: [الكامل]

ما لي جُفِيتُ وكُنْتُ لا أُجفَى … أيام أرْهَبُ سطوةَ السَّيْفِ
أدعُو إلَهي أن أراكَ خليفةً … بين المقامِ ومَسجدِ الخَيْفِ

ودسّ مَنْ غَنَّاه الواثِق، فلما سمعه سأل عنه، فعَرَف قائله، فتذَمَّم[2] ودعا عبد الله فبَسَطه ونادمه إلى أن مات.

وذكر العَتّابي عن ابن الكلْبيّ أنّ الواثِقَ كان يَشْتهي على عبد الله بن العباس:

[المديد]

أَيُّها العاذِلُ جَهْلاً تلومُ … قبل أن يَنْجابَ عنه الصَّرِيمُ[3]

وأنه غَنَّاه يوماً فأمَر بأن يخْلَع عليه خَلعَة، فلم يَقْبلها لِيَمينِه، فشكاه إلى المعتصم، فكاتبه في الوقت، فكَتب إليه مع مسرور سُمَّانة: اقبَل خِلَع هارون فإنك

(١) حنث في يمينه: لم يف بها.
(٢) تذمم: استنكف واستحيا.
(٣) الصريم: القطعة من الليل.

لا تَحْنث، فقَبِلها وعرَف الواثقُ أنّه وليُّ عَهْد.

حدّثني عمّي: قال: حدّثني أحمدُ بن المرْزُبان، قال: حدَّثني شَيْبَةُ بنُ هِشام، قال: كان عبدُ الله بنُ العَبّاس يَهْوى جاريةً نَصْرانيَّة لم يَكُن يصل إليها ولا يَراها إلا إذا خرجت إلى البيعة، فخرجنا يوماً معه إلى السَّعانين، فوقف حتى إذا جاءت فرآها، ثم أنشدَنا لنَفْسِه، وغَنّى فيه بعد ذلك:

صوت

[السريع]

إنْ كُنْتَ ذا طِبٍّ فداوِيني ... ولا تَلُمْ فاللَّومُ يُغْرِيني[1]

يا نَظْرةً أبقَتْ جَوًى قائِلاً ... مِنْ شادنٍ يومَ السَّعانينِ

ونظرةً مِنْ رَبْربٍ عِين ... خرجْنَ في أحسَنِ تَزْيِينِ[2]

خَرَجْنَ يَمْشِينَ إلى نُزْهةٍ ... عَواتِقاً بينَ البساتِينِ[3]

مُزَنَّراتٌ بِهَمايينها ... والعَيشُ ما تَحْتَ الهَمايينِ[4]

لحن عبدِ الله بنِ العبَّاس في هذا الشعر هزج.

أخبرني الحَسَن بنُ عليّ، قال: حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرويه، قال: حدَّثنا محمدُ بن عمر الجُرجاني، ومحمد بن حَمّاد كاتِب راشد، قالا: كتَبَ عبدُ الله بنُ العَبَّاس الرّبيعيّ في يوم نَيْروز ـ واتَّفَق في يوم الشَّك بين شَهْري رَمَضان وشَعْبان ـ إلى محمد بن الحارث بن بُسْخُنّر يقول:

[المديد]

اسْقِني صَفْراءَ صافيةً ... ليلةَ النَّيروزِ والأحَدِ

حَرَّم الصَّومُ اصطِباحَكما ... فتزَوَّدْ شُربَها لِغَدِ

وأْتِنَا أو فادْعُنا عَجِلاً ... نَشْتَرِكْ في عِيشَةٍ رَغَدِ

قال: فجاءه محمد بنُ الحارث بن بُسْخُنّر فشربا ليلتهما.

أخبرني يَحْيى بنُ عليّ بن يحيى، قال: حدَّثنا أبو أيُوب المدينيّ، قال: حدّثنا أحمدُ بنُ المكّي، قال: حدّثنا عبد الله بن العَباس الربيعيّ قال: جمع الواثِقُ يوماً

---

(١) داويني: المفروض لغة: داوني. وقد جاءت داويني لضرورة الوزن.

(٢) الربرب: قطيع الظباء. والعين: جمع عيناء، وهي الواسعة العينين.

(٣) عواتق: جمع عاتقة، وهي الشابة أول إدراكها.

(٤) الهمايين: جمع هميان: وهو كيس تجعل فيه النقود ويشدّ على الخصر.

المُغَنِّين لِيصْطَبِح، فقال: بحَياتي إلاَّ صنعتَ لي هَزَجاً حتى أدخل وأخرُج إليكم السّاعة. ودخل إلى جَوارِيه، فقلتُ هذه الأبيات وغَنّيتُ فيها هَزَجاً قبل أن يَخرُج، وهي:

صوت [الرمل]

بأبي زَورٌ أتاني بالغَلَسْ ... قُمْتُ إجلالاً له حتى جَلَسْ[1]

فتعانَقْنا جميعاً ساعةً ... كادَتِ الأرواحُ فيها تُختَلَسْ

قلتُ يا سُؤلي ويا بدرَ الدُّجى ... في ظَلام اللَّيلِ ما خِفْتَ العَسَسْ!

قال: قد خِفْتُ ولكنّ الهَوَى ... آخِذٌ بالرُّوح منّي والنَّفَسْ

زَارَني يَخْطِرُ في مِشْيتِهِ ... حَوْلَهُ مِنْ نُورِ خَدّيْهِ قَبَسْ

قال: فلمّا خرج من دار الحُرَم قال لي: يا عبدَ الله، ما صَنعْت؟ فاندفعتُ فَغَنَّيته، فشَرِب حتى سَكِر، وأمر لي بخَمْسة آلافِ دِرهم، وأمرني بطرْحه على الجواري، فطرحْتُه عليهن.

أخبرني يَحْيَى بن عليّ بنِ يَحيى، قال: حدثنا أبو أيّوب المَديني، عن حماد قال: من مَلِيح صَنْعةِ عبدِ الله بنِ العبّاس الربيعي، والشِّعْر ليُوسُف بنِ الصّيقل، ولحنه هزج:

صوت [مجزوء المتقارب]

أبَعْدَ المواثيقِ لي ... وبعد السُّؤالِ الحَفِي

وبَعْد اليَمِينِ التي ... حلَفْتِ على المُصحَفِ

تَركْتِ الهَوَى بينَنا ... كضوءِ سراجٍ طُفِي

فلَيْتَكِ إذ لم تَفِي ... بِوَعْدِكِ لم تُخْلِفي

حدّثني الصّوليّ قال: حدَّثني يزيدُ بنُ محمد المُهَلَّبِيّ، قال:

كان الواثِقُ قد غضِب على فَرِيدةَ لكلام أخفَتْه إيّاه فأغضَبتْه، وعَرفْنا ذلك وجلس في تلك الأيام للصَّبُوح، فَغناه عبدُ الله بنُ العباس:

---

(١) الغَلَس: ظلمة آخر الليل.

صوت

[البسيط]

لا تَأْمني الصَّرْمَ مِنّي أن ترَيْ كَلَفي ... وإنْ مَضَى لصفاءِ الوُدِّ أعصارُ
ما سُمِّيَ القَلْبُ إلا من تَقَلُّبِهِ ... والرَّأْيُ يُصرَفُ والأهواءُ أطوارُ
كم مِنْ ذَوِي مِقَةٍ قَبْلي وقَبْلَكُمُ ... خانوا فأضْحَوا إلى الهِجْرانِ قد صارُوا[1]

فاستعاده الواثِقُ مِراراً، وشرِب عليه وأُعجِب به، وأمَر لعبد الله بألف دِينار وخَلَعَ عليه. الشّعر للأحْوَص، والغِناء لعبدِ الله بنِ العَبَّاس هَزَج بالوسطى عن عمرو.

وأخبرني جعْفَر بنُ قُدامة، قال: حدّثنا حمّادُ بنُ إسحاق، قال: حدَّثني عبدُ الله بن العَبّاس بن الفضل بن الربيع، قال: غنّيتُ المُتوكِّل ذاتَ يوم: [الطويل]

أحبّ إلينا منك دَلاً وما يَرى ... له عند فِعْلي من ثَوابٍ ولا أَجْرِ

فطَرِب وقال: أحسنْتَ واللّهِ يا عبدَ الله، أَما والله لو رَآكَ النَّاسُ كُلُّهم كما أراكَ لَمَا ذَكَروا مُغنِّياً سِواك أبداً.

نسختُ من كتابٍ لأبي العَبَّاس بنِ ثَوابة بخطِّه: حدّثني أحمدُ بنُ إسماعيل بن حاتم قال: قال لي عبدُ الله بنُ العبَّاس الرَّبيعيّ: دخلتُ على المُعْتصم أُودِّعه وأنا أُريد الحجَّ، فقبَّلْتُ يدَه وودَّعْتُه، فقال: يا عبد الله إنَّ فيك لَخصالاً تُعجِبني كَثَّر اللَّه في مواليَّ مِثلكَ، فَقبَّلتُ رجلَه والأرض بين يَدَيْه، وأَحْسَنَ محمدُ بن عبد الملكِ الزَّيّات محضري وقال له: إنّ له يا أمير المؤمنين، أدباً حَسناً وشِعْراً جَيِّداً، فلما خرجتُ قلتُ له: أَيُّها الوَزِير، ما شِعْري أنا في الشعر تَسْتَحْسِنه وتُشيد بذكره بين يَدَي الخَلِيفة! فقال: دعنا منك، تنتفي من الشِّعر وأنتَ الذي تقول:

يا شادِناً مرَّ إذ را ... م في السَّعانِينِ قَتْلي
يَقولُ لي: كيف أصبحْـ ... ـتُ كيف يُصبِح مِثْلي!

أحسنْتَ والله في هذا، ولو لم تَقُل غيرَ هذا لكنتَ شاعِراً.

أخبرني عمِّي قال: حدَّثنا أحمدُ بنُ المَرْزُبان، قال: قال أبي: قال عبدُ الله ابنُ العباس الرَّبيعيّ: لَقِيَني سَوّارُ بنُ عبدِ الله القاضي - وهو سوّار الأصغر - فأصغَى

(١) المقة: الحبّ.

إليَّ وقال: إنَّ لي إليك حاجَةً فأْتِني في خَفْيٍ، فجئتُه، فقال: لي إليك حاجَة قد أَنِستُ بك فيها، لأنك لي كالوَلَد، فإن شرطْت لي كِتمانَها أفضَيْتُ بها إليك، فقلتُ: ذلك للقاضي عليَّ شَرْطٌ واجِبٌ، فقال: إني قلتُ أبياتاً في جارية لي أَمِيلُ إليها وقد قَلْتني[1] وهجرتْني، وأحبَبْتُ أن تصْنَع فيها لَحْناً وتُسْمِعنيه، وإن أظْهَرتَه وغَنَّيْته بعد ألاّ يَعلم أحدٌ أنه شعري، فلستُ أُبالي، أتفْعَل ذلك؟ قلتُ: نعم حُبّاً وكرامة، فأنشدَني:

صوت [الطويل]

سَلَبْتِ عِظامي لَحْمَها فتَرَكْتِها عَوارِيَ في أجلادِها تَتَكَسَّرُ[2]
وأخلَيْتِ منها مُخَّها فكأنّها أنابِيبُ في أجْوافِها الرِّيحُ تَصْفِرُ
إذا سَمِعَتْ باسْمِ الفِراقِ ترعَّدَتْ مفاصِلُها من هَوْلِ ما تتحذَّرُ
خُذِي بيدي ثم اكْشِفي الثَّوْبَ فانظُري بِلَى جَسَدِي لكِنَّني أتَسَتَّرُ
وليس الذي يَجْري مِنَ العينِ ماؤُها ولكِنَّها رُوحٌ تَذُوبُ فَتَقْطُرُ

ـ اللحن الذي صَنَعه عبدُ الله بنُ العَبّاس في هذا الشِّعر ثقيل أول ـ قال عبدُ الله: فصَنَعتُ فيه لَحْناً، ثم عرّفتُه خبرَه في رُقْعه كَتَبتُها إليه، وسألتُه وَعْداً يَعِدني به للمَصِير إليه، فكتب إليَّ: نظرتُ في القِصَّة فوجدتُ هذا لا يصلُح ولا ينكَتِم عليَّ حُضورُك وسَماعِي إيّاك وأسألُ الله أن يسُرَّك ويُبْقيك. فغَنّيت الصوتَ وظَهَر حتى تَغنَّى به الناس، فَلِقيَني سَوَّار يوماً فقال لي: يا بْنَ أخي، قد شاع أمرُك في ذلك الباب حتى سَمِعْناه من بُعْد كأنّا لم نعرف القِصَّة فيه، وجعلنا جميعاً نضحك.

أخبرني عَمِّي قال: حدّثَني أحمدُ بنُ المَرْزُبان، قال: كان بِشْرٌ خادِمُ صالح بن عُجَيف عليلاً ثم بَرِئ، فدخل إلى عبدِ الله بن العَبّاس، فلما رآه قام فتلَقَّاه وأجلسه إلى جانبه، وشَرِب سُروراً بعافِيته، وصنع لحناً من الثقيل الأول هو من جَيِّد صَنْعتِه:

(١) قَلَتْني: بَغَضَتْني.
(٢) أجلاد الإنسان: تجاليده، وهي جماعة جسمه وبدنه.

صوت

[البسيط]

مَوْلاَي ليس لِعَيشٍ لستَ حاضِرَهُ   قَدْرٌ ولا قِيمَةٌ عندي ولا ثَمَنُ
ولا فَقَدتُ مِنَ الدُّنيا ولذَّتِها   شَيئاً إذا كان عندي وَجْهُك الحَسَنُ

حدّثني محمدُ بن مَزْيد بن أبي الأزْهر قال: حدَّثنا حَمَّاد بنُ إسحاق قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ العبَّاس الربيعيّ قال: جَمَعنا الواثِقُ يوماً بعَقِب علّة غليظة كان فيها، فعُوفِي وصَحَّ جِسمُه، فدخلتُ إليه مع المُغنِّين وعُودي في يَدي، فلما وَقَعَتْ عَيني عليه من بَعِيد، وصِرْتُ بحيث يَسْمَع صَوْتي، ضربتُ وغَنّيتُ في شِعرٍ قلتُه في طريقي إليه، وصَنعتُ فيه لحناً وهو:

صوت

[الكامل]

اسْلَمْ وعَمَّرك الإلٰهُ لأُمَّةٍ   بك أصبحت قَهَرتْ ذَوِي الإلحادِ
لو تَسْتَطِيعُ وَقتك كُلَّ أذِيَّةٍ   بالنَّفسِ والأمْوَالِ والأولادِ

فَضحِك وسُرَّ وقال: أحسَنْت يا عبد الله وسَرَرْتَني، وتيمَّنتُ بابْتِدائك، ادنُ مني، فدَنَوْتُ منه حتى كنتُ أقربَ المُغَنِّين إليه، ثم استعادَني الصوتَ، فأعدْتُه ثلاثَ مرّات، وشَرِب عليه ثلاثَة أقداحٍ، وأمر لي بعشرة آلاف دِرْهم وخلعة من ثيابه. حدّثني الصُّوليّ قال: حدثني عَوْنُ بن محمد الكِنْدِي قال:

كان عبدُ الله بنُ العَبَّاس بنِ الفضْل بن الرَّبيع يَهْوَى جارِيةً نَصرانِيّة، فجاءته يوماً تُودِّعُه، فأَعلمَتْه أن أباها يُرِيدُ الانحدار إلى بَغْدَاد والمُضِيّ بها معه، فقال في ذلك وغنّى فيه:

صوت

[مجزوء الرجز]

أفْدِي التي قُلتُ لها   والبَيْنُ منّا قد دَنا:
فَقْدُكِ قد أَنحلَ جِسْمِي وأذابَ البَدَنا
قالت: فماذا حيلَتي   كذاك قد ذُبْتُ أنا!
بالْيَأسِ بعدِي فاقتنعْ   قلتُ: إذاً قَلَّ الغَنَا

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني عَوْنُ بنُ محمد، قال: حدَّثني عليُّ بن عيسى

ابن جَعْفَر الهاشِميّ، قال: دَخل عليَّ عبدُ الله بنُ العَبّاس في يوم النِّصْف من شَعبان، وهو يَوْم سَبْت، وقد عزَمْتُ على الصَّوْم، فأخذ بِعضادَتي باب مجلسي، ثم قال: يا أمِيري: [المنسرح]

تُصْبِحُ في السّبت غَيْرَ نشوانِ وقد مَضى عنك نِصفُ شعبان!

فقلت: قد عزَمتُ على الصوم، فقال: أفعَلَيْك وزرٌ إن أفطرتَ اليوم لمكاني وسررتني بمساعدتك لي وصمتَ غداً، وتصدّقت مكانَ إفطارِك؟ فقلت: أفعل، فدعَوتُ بالطَّعام فأكلتُ، وبالنبيذ فشَرِبْنا، وأصبح من غد عندي، فاصْطَبَح وساعدتُه، فلما كان اليوم الثالث انتبهتُ سَحَراً وقد قال هذا الشعر وغنّى فيه:

[المجتث]

شَعْبانُ لم يَبْقَ منه إلا ثَلاثٌ وعَشْرُ
فباكِرِ الرّاحَ صِرْفاً لا يَسْبِقَنّكَ فَجْرُ
فإن يَفُتكَ اصْطِباحٌ فلا يفوتَنْك سُكرُ
ولا تُنادِمْ فَتًى وقـ ـتُ شُرْبِهِ الدَّهْرَ عَصرُ

قال: فأطرَبَني واصطَبَحْت معه في اليوم الثّالث، فلمّا كان من آخر النَّهار سَكِر، وانصرف، وما شَرِبنا يومَنا كُلَّه إلا على هذا الصوت.

حدَّثَنِي عَمِّي قال: حدَّثني ابن دَهْقانة النّديم قال: دَخل عبدُ الله بن العباس إلى المُتَوَكِّل في آخرِ شعبان فأنشدَه: [الخفيف]

عَلِّلاني نَعِمْتُما بِمُدَامِ واسْقِياني من قَبْل شَهْر الصِّيامِ
حرَّم اللَّه في الصِّيام التَّصابِي فَتَرَكْناهُ طاعةً للإمامِ
أظهر العَدْلَ فاسْتَنارَ به الدِّيـ ـنُ وأحيا شرائِعَ الإسلامِ

فأمر المتوكِّل بالطَّعام فأُحضِر، ولالنّدِيم وبالجلَساء فأُتي بذلك، فاصطَبَح وغنَّاه عبدُ الله في هذه الأبيات، فأمَر له بعشرة آلاف دِرْهم.

أخبرني الحَسَن بن عليّ قال: حدّثنا يزيدُ بنُ محمد المُهَلَّبِيّ قال: حدّثني عبدُ الله بن العباس قال: كُنتُ مُقيماً بسُرّ مَنْ رأى وقد رَكِبني دَيْن ثقيل أكثرُه عِينَةٌ[1] ورِباً

---

(١) العينة: أن يبيع المرء متاعه إلى أجل. ثم يشتريه في المجلس بثمن غالٍ ليسلم به من الربا، وقيل غير ذلك. (انظر لسان العرب مادة عين).

فقلتُ في المُتوكِّل: [الرمل]

اسقِيانِي سَحَراً بالكُبَّرهْ ... ما قَضى اللَّهُ فَفِيه الخِيَرَهْ[1]

أكرَمَ اللَّه الإمامَ المرتَضَى ... وأطالَ اللَّه فينا عُمُرَهْ

إن أكُن أُقْعِدْتُ عنه هكذا ... قَدَّرَ اللَّهُ رَضِينا قَدَرَهْ

سرَّهُ اللَّهُ وأبْقاهُ لنا ... ألفَ عامٍ وكَفانا الفَجَرَهْ

وبعثتُ بالأبيات إليه، وكنت مُسْتَتِراً من الغُرَماء، فقال لعُبَيْد الله بن يحْيى: وَقِّع إليه: مَنْ هَؤُلاء الفَجَرة الذين استكفيت اللّه شَرَّهم؟ فقلتُ: المُعَيِّنون الذين قد رَكِبني لهم أكثر مما أخذتُ منهم من الدَّيْن بالرِّبا، فأمر عُبَيْد الله أن يَقْضِيَ دَيْني، وأن يَحْتَسِب لهم رؤوس أموالهم، ويُسقِط الفَضْل، ويُنادِي بذلك في سُرَّ مَنْ رأى حتى لا يَقْضي أحدٌ أحداً إلا رأس ماله، وسَقَط عنّي وعن النَّاس من الأرباح زُهاءَ مائة ألف دينار كانت أبياتي هذه سببَها.

حدّثني الصُّوليّ قال: حدّثني عونُ بنُ محمد الكِنْديّ قال: حدّثني أبي قال: مرِض عبدُ الله بن العباس بسُرّ مَنْ رأى في قَدْمةٍ قَدِمها إليها، فتأخَّر عنه مَنْ كان يَثِق به، فكتب إليهم: [الطويل]

ألا قُلْ لمن بالجانِبَيْنِ بأنّني ... مريضٌ عَداني عن زِيارَتهم ما بِي[2]

فَلَو بهم بَعْضُ الذي بي لزُرْتُهم ... وحاشَ لهم من طُولِ سُقْمِي وأوصابِي[3]

وإن أَقْشَعَتْ عني سَحابَةُ عِلَّتي ... تَطاوَلَ عَتْبِي إن تأخّرَ إعتابِي[4]

قال: فما بَقِيَ أحدٌ من إخوانه إلا جاءه عائداً مُعتَذِراً.

أخبرني عمّي قال: حدّثني عبدُ الله بن أبي سَعْد قال: حدّثني محمد بنُ محمد بن موسى قال: سمِعتُ عبدَ الله بن العبّاس يُغنّي ونحن مجتَمِعُون عند علُّويه بِشعْر في النَّصرانيَّة التي كان يَهْواها والصَّنْعة له:

---

(١) الكُبرة: مبالغة في الكبير.

(٢) عداني: منعني، صرفني.

(٣) الوَصَب: المرض، الوجع الدائم.

(٤) أعتبني: أزال شكواي.

صوت

[الرمل]

إنَّ فـي الـقَـلْـبِ مِـنَ الـظَّـبْـيِ كُـلُـومْ فَـدعِ الـلَّـومَ فـإن الـلَّـوْمَ لُـومْ[1]
حـبَّـذا يَـوْمُ الـسَّـعـانـيـنِ ومـا نِـلْـتُ فـيـه مـن نَـعـيـمٍ لـو يَـدُومْ
إن يَـكُـنْ أَعْـظَـمْـتَ أَنْ هِـمْـتُ بـه فـالـذي تَـرْكَـب من عَـذْلـي عَـظِـيـمْ
لـم أكُـنْ أوّلَ مَـنْ سـنَّ الـهَـوَى فـدَعِ الـلَّـومَ فـذا دَاءٌ قـديـمْ

الغناء لعبدِ الله هزج بالوسطى.

حدّثني أبو بَكر الرَّبيعيّ قال: حدّثَتْني عمتي ـ وكانت رُبِّيت في دار عمها عبد الله بن العباس ـ قالت: كان عبدُ الله لا يفارق الصبوح أبداً إلا في يَوْم جُمُعة، أو شَهْر رَمَضان، وإذا حَجّ. وكانت له وَصِيفَة يقال لها: هَيْلانة قد رَبَّاها وعَلَّمها الغِناء، فأَذْكرُه يوماً وقد اصْطَبَح، وأنا في حجرِهِ جالِسَة والقدح في يدِه اليُمْنَى، وهو يُلقِي على الصَّبِيَّة صوتاً أوله: [مجزوء الرمل]

صـدعَ الـبَـيْـنُ الـفُـؤادَا إذ بـهِ الـصَّـائِـحُ نـادَى

فهو يردِّدُه ويومِىءُ بجميع أعضائه إليها يُفهِمها نَغَمه، ويوقِّع بيَده على كَتفي مرّة وعلى فَخِذي أُخْرى، وهو لا يَدْري حتى أوجَعني، فبكَيت وقلتُ: قد أوجعتني مِمّا تضربني وهَيلانة لا تأخُذُ الصّوْت وتضرِبني أنا، فضَحِك حتى استلْقى واسْتَمْلح قَوْلي، فوهب لي ثوبَ قَصَب أصفَر، وثلاثةَ دَنَانير جُدُداً، فما أنسى فَرَحي بذلك وقِيامي به إلى أُمِّي، وأنا أعدو إليها وأضحك فَرحاً به.

نسبة هذا الصوت

صوت

[مجزوء الرمل]

صَـدَع الـبَـيْـنُ الـفُـؤادَا إذْ بِـهِ الـصَّـائِـحُ نـادَى
بـيْـنـمـا الأحـبـابُ مَـجْـمـو عـون إذ صـاروا فُـرَادَى
فـأتـى بَـعْـضٌ بـلاداً وأتـى بَـعْـضٌ بـلادا
كُـلَّـمـا قُـلْـتُ: تَـنـاهَـى حَـدَثَـانُ الـدَّهـرِ عـادا

(١) كُلُوم: جراح.

والشعر والغناء لعبد الله هزج بالوسطى عن عمرو.

صوت

[الكامل]

حَضَرَ الرَّحيلُ وشُدَّتِ الأحداجُ ... وغدا بهنّ مُشَمِّرٌ مِزعاجُ[1]

للشَّوْقِ نِيرانٌ قَدَحْنَ بقلبِهِ ... حتى اسْتَمَرَّ به الهَوَى المِلجاجُ

أزعجْ هواكَ إلى الّذين تُحِبُّهمْ ... إن المُحِبَّ يَسوقُهُ الإزعاجُ

لن يُدنِينَّكَ للحبيبِ ووصلِه ... إلاّ السُّرَى والبازلُ الهَجْهَاجُ[2]

الشعر لِسَلْم الخاسر، والغناء لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى.

(١) الأحداج: جمع حِدج: وهو مركب من مراكب النساء يشبه الهودج.

(٢) البازل: الجمل حين يدخل في التاسعة. والهجهاج: الشديد الهدير.

أخبار سَلْم الخاسر ونسبه

[توفي نحو سنة ١٨٦ هـ/نحو سنة٨٠٢ م]

[نسبه ولقبه]

سَلْمُ بنُ عمرٍو مولى بني تَيْمِ بنِ مرّة، ثم مولى أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه. بصريّ، شاعر مطبوع متصرّف في فنون الشِّعر، من شعراء الدولة العباسية. وهو راوية بشارِ بن برد وتلميذه، وعنه أخذ، ومن بحره اغترف، وعلى مذهبه ونَمَطه قال الشعر. ولُقِّب سلمٌ بالخاسرِ ـ فيما يقال ـ لأنه ورِث من أبيه مُصْحَفاً، فباعه واشترى بثمنه طُنْبوراً. وقيل بل خَلّف له أبوه مالاً، فأنفقه على الأدب والشعر، فقال له بعض أهله: إنك لخاسرُ الصفقة، فلقِّب بذلك.

[أخباره مع أصدقائه]

وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي، ولأبي العتاهية خاصة من الشعراء والمغنين، ثم فسد ما بينه وبين أبي العتاهية. وكان سلمٌ منقطعاً إلى البرامكة، وإلى الفضل بن يحيى خصوصاً من بينهم. وفيه يقول أبو العتاهية: [الرمل]

إنَّما الفَضْلُ لِسَلْمٍ وَحْدَهُ ... ليس فيه لِسِوَى سَلْمٍ دَرَكْ[1]

وكان هذا أحدَ الأسباب في فساد ما بينه وبين أبي العتاهية. ولسلم يقول أبو العتاهية وقد حج مع عُتبة: [المنسرح]

واللَّهِ واللَّهِ ما أُبالي متى ... ما متُّ يا سَلْمُ بعْدَ ذا السفَرِ
أليس قد طُفْتُ حيث طافت وَقبّـ ... ـلتُ الذي قبلَتْ من الحجر

(١) الدَّرَكُ: الإدراك واللّحاق.

وله يقول أبو العتاهية وقد حُبس إبراهيمُ الموصليُّ: [الخفيف]

سَلْمُ يا سلم ليس دونك سِرُّ ... حُبِسَ الموصليُّ فالعيشُ مُرُّ
ما اسْتطابَ اللّذاتِ مذ سَكَن المُطبَـ ... ـقَ رأسُ اللّذاتِ واللّهِ، حُرُّ(١)
تَرَكَ المَوْصليُّ مَنْ خَلَقَ اللّـ ... ـهُ جميعاً وعَيْشُهُم مُقْشعِرُّ

[سبب لقبه بالخاسر]

أخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدثني عليُّ بن الحسن الواسطيُّ، قال: حدّثني أبو عمرو سعيدُ بنُ الحسن الباهليّ الشاعر قال: لما مات عمرٌو أبو سَلْم الخاسر اقتسموا ميراثَه، فوقع في قِسْط سَلْم مصحفٌ، فردّه وأخذ مكانه دفاتَر شعر كانت عند أبيه، فلُقّب الخاسرَ بذلك.

أخبرني الحسن، قال: حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، قال: حدّثني محمد بن عمر الجرجاني، قال: ورِث سلمُ الخاسرِ أباه مائةَ ألف درهم، فأنفقها على الأدب، وبقي لا شيء عنده، فلقبه الجيران ومن يعرفه بسَلْم الخاسر، وقالوا: أنفق مالَه على ما لا ينفعه. ثم مدح المهديّ، أو الرشيد ـ وقد كان بَلغه اللقبُ الذي لُقّب به ـ فأمر له بمائة ألف درهم، وقال له: كذِّب بهذا المال جيرانَك، فجاءهم بها، وقال لهم: هذه المائة الألف التي أنفقتها وربحتُ الأدب، فأنا سَلْم الرَّابح، لا سَلْم الخاسر.

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بنِ عمار، قال: حدّثني عليّ بن محمد النوفليّ، عن أبيه، قال: إنما لقّب سَلْم الخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفاً فباعه، واشترى بثمنه طُنْبُوراً.

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ، قال: حدّثني عمّي الفضل، قال: قال لي الجَمّاز: سلم الخاسر خالي لَحّاً(٢)، فسألته: لم لقب الخاسر؟ فضحك، ثم قال: إنه قد كان نَسَك مدة يسيرة، ثم رجع إلى أقبح ما كان عليه، وباع مصحفاً له وَرِثه عن أبيه وكان لجدّه قبله واشترى بثمنه طُنبوراً. فشاع خبره وافتَضَح، فكان يقال له:

(١) المطبق: السجن تحت الأرض.
(٢) لَحّاً: لصوقاً.

ويلك! هل فعل أحد ما فعلت؟ فقال: لَمْ أجد شيئاً أتوسّل به إلى إبليس هو أقرُّ لعينه من هذا.

[غضب بشّار عليه]

أخبرني عمّي، قال: أنبأنا عبدُ الله بن أبي سعد، قال: حدّثني أحمد بن صالح المؤدب، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة، قال: حدّثني أبي، عن أحمد بن صالح قال: قال بشارُ بن برد:

صوت

[البسيط]

لا خَيْرَ في العيشِ إن دُمنا كذا أبداً ... لا نلتقي وسبيلُ المُلْتَقَى نَهَجُ[1]

قالوا حَرامٌ تلاقِينا فقلتُ لهمْ ... ما في التَّلاقي ولا في غيرِه حرَجُ

مَنْ راقَبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجتهِ ... وفاز بالطيّباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ[2]

قال: فقال سَلْمُ الخاسر أبياتاً، ثم أخذ معنى هذا البيت، فسلخه، وجعله في قوله: [مخلع البسيط]

مَن راقبَ النَّاسَ ماتَ غماً ... وفازَ باللَّذةِ الجَسورُ

فبلغ بيتُه بشاراً، فغضب واستَشاط، وحلف ألا يَدْخلَ إليه، ولا يفيدَه ولا ينفعَه ما دام حيّاً. فاستشفَع إليه بكلِّ صديق له، وكلٌّ من يَثْقُل عليه ردُّه، فكلَّموه فيه، فقال: أدخلوه إليّ، فأدخلوه إليه فاستدناه، ثم قال: إيه يا سَلْمُ، من الذي يقول:

مَنْ راقَبَ النَّاسَ لم يظْفَرْ بحاجتِهِ ... وفازَ بالطيّبات الفاتكُ اللهِجُ

قال: أنت يا أبا معاذ، قد جعلني الله فداءك! قال: فمن الذي يقول:

[مخلع البسيط]

مَن راقبَ النَّاسَ ماتَ غمّاً ... وفازَ باللَّذةِ الجَسورُ

---

(١) نَهج: واضح.

(٢) اللهِج بالشيء: المولع به.

قال: تلميذك، وخِرِّيجك، وعبدك يا أبا معاذ. فاجتذبه إليه، وقنعه[١] بمِخْصَرة[٢] كانت في يده ثلاثاً، وهو يقول: لا أعود يا أبا مُعاذ إلى ما تُنْكره، ولا آتي شيئاً تذُمّه، إنما أنا عبدك، وتلميذك، وصَنيعتك، وهو يقول له: يا فاسق! أتجيء إلى معنى قد سهِرَتْ له عيني، وتعِب فيه فكري، وسَبقتُ الناسَ إليه، فتسرِقَه، ثم تختصرَه لفظاً تقرّبه به، لتَزْري عليّ، وتذهب بيتي؟ وهو يحلف له ألا يعود، والجماعة يسألونه. فَبعد لأي وجهد ما شَفَّعهم فيه، وكفّ عن ضربه، ثم رجع له، ورضي عنه.

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بن عمار، قال: أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور، قال: حدثني عبدُ الوهاب بنُ مرّار قال: حدثني أبو معاذ النّمَيريّ راوية بشار، قال: قد كان بشار قال قصيدة فيها هذا البيت: [البسيط]

مَنْ راقَبَ النَّاسَ لم يظْفَرْ بحاجتِهِ وفازَ بالطيّبات الفاتكُ اللهِجُ

قال: فقلت له يا أبا مُعاذ! قد قال سَلْمُ الخاسر بيْتاً، هو أحسنُ وأخف على الألسن من بيتك هذا، قال: وما هو؟ فقلت:

مَن راقب النَّاسَ ماتَ غمّاً وفازَ باللَّذةِ الجَسورُ

فقال بشار: ذهب والله بيتنا، أما والله لَوَدِدت أنه ينتمي في غيرِ ولاء أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وأني مُغرَم[٣] ألف دينار محبة منّي لِهَتْك عرضِه وأعراض مواليه! قال: فقلت له: ما أخرج هذا القولَ منك إلا غَمّ. قال: أجل، فوالله لا طَعِمت اليوم طعاماً ولا صُمْت.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه، قال: حدثني محمد بن إسحاق بنِ محمد النَّخَعي، قال: قال أبو معاذ النميري: قال بشار قصيدة، وقال فيها: [البسيط]

مَنْ راقَبَ النَّاسَ لم يظْفَرْ بحاجتِهِ وفازَ بالطيّبات الفاتكُ اللهِجُ

(١) قنّعه بالعصا: غشّاه بها، ضربه بها.
(٢) المخصرة: أداة كالسوط، وقيل شيء يتوكأ عليه الإنسان كالعصا ونحوها.
(٣) مغرم: ملزم.

فعرّفته أن سلماً قد قال: [مخلع البسيط]

مَــن راقــب الــنَّــاسَ مــاتَ غــمّــاً وفــازَ بــالــلَّــذةِ الــجَــســورُ

فلما سمع بشار هذا البيت قال: سار والله بيتُ سَلْم، وخَمَل بيتنا! قال: وكان كذلك، لَهِجَ الناسُ ببيت سَلْم، ولم يُنشد بيتَ بَشار أحدٌ.

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ، قال: حدثني الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ، قال: حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليمانيّ، قال: لما بَنى صالح بن المنصور قصرَه بدجْلة قال فيه سَلْم الخاسر: [السريع]

يــا صــالــحَ الــجُــودِ الــذي مَــجْــدُهُ أفْــسَــدَ مَــجْــدَ الــنــاسِ بــالــجُــودِ

بَــنَــيــتَ قــصــراً مــشْــرفــاً عــالِــيــاً بــطــائــرَيْ سَــعْــدٍ ومَــسْــعــودِ

كــأنَّــمــا يَــرْفَــعُ بــنــيــانَــهُ جِــنُّ سُــلَــيْــمــانَ بــنِ داودِ

لا زِلْــتَ مَــســروراً بــه ســالــمــاً عــلــى اخــتــلافِ الــبِــيــضِ والــسُّــودِ

يعني الأيام والليالي، فأمر له صالح بألف درهم.

أخبرني الحسن بن عليّ، قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه، قال: حدثني بعض آل ولد حمدونَ بن إسماعيل ـ وكان ينادم المتوكل ـ عن أبيه، قال: كان سلم الخاسر من غِلمان بشار، فلما قال بشار قصيدته الميمية في عُمر بن العلاء وهي التي يقول فيها: [المتقارب]

إذا نَــبّــهــتْــكَ صِــعــابُ الأمــورِ فَــنَــبِّــهْ لــهــا عُــمَــراً ثــم نَــمْ

فَــتًــى لا يَــبِــيــتُ عــلــى دِمْــنَــةٍ ولا يَــشْــربُ الــمــاءَ إلا بِــدَمْ[1]

بعث بها مع سَلْم الخاسر إلى عمر بن العلاء، فوافاه فأنشده إياها، فأمر لبشار بمائة ألف درهم. فقال له سَلْم: إنّ خادمك ـ يعني نفسه ـ قد قال في طريقه فيك قصيدة، قال: فإنك لَهُناك[2]؟ قال: تسمع، ثم تَحْكُم، ثم قال: هات، فأنشدَه:

---

(١) الدمنة: الحقد القديم الثابت.

(٢) فإنك لهناك؟: أفأنت تطيق ذلك؟

صوت

[السريع]

قد عزّني الدّاءُ فما لِي دَواءْ ... مِمّا أُلاقي مِن حِسانِ النِّساءْ
قَلْبٌ صحيحٌ كنتُ أسطو به ... أَصْبَحَ مِن سَلْمى بِداء عَياءْ
أَنْفاسُها مِسكٌ وفي طَرْفِها ... سِحرٌ وما لي غَيْرُها من دواءْ
وَعَدْتِني وَعْداً فأوفِي به ... هل تَصْلُحُ الخَمْرَةُ إلاّ بماءْ؟

ويقول فيها:

كم كُرْبَةٍ قد مسّني ضُرُّها ... نادَيْتُ فيها عُمَرَ بنَ العلاءْ

قال: فأمر له بعشرة آلاف درهم، فكانت أولَ عطية سنية وصلت إليه.

[بينه وبين عاصم بن عتبة]

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثني ابن مَهْرُويه، قال: وَجَدْت في كتاب بخط الفضل بن مروان: وكان عاصم بن عتبة الغساني جَدُّ أبي السمراء الذي كان مع عبد الله بن طاهر صديقاً لسَلْم الخاسر، كثيرَ البِرّ به، والملاطفة له، وفيه يقول سَلْم:

[مشطور الرجز]

الجُود في قحطانِ ... ما بَقِيتْ غسانُ
اسْلَمْ ولا أُبالي ... ما فَعَلَ الإخوانُ
ما ضَرَّ مُرْتَجيه ... ما فَعَلَ الزَّمانُ
مَنْ غالَهُ مَخُوفٌ ... فعاصمٌ أمانُ

وكانت سبعين بيتاً، فأعطاه عاصم سبعين ألف درهم، وكان مَبْلغ ما وصل إلى سَلْم من عاصم خمسمائة ألفِ درهم فلما حضرته الوفاة دعا عاصماً فقال له: إني ميِّت، ولا ورثةَ لي، وإن مالي مأخوذ، فأنت أحَقّ به، فدفع إليه خمسمائةِ ألفِ درهم، ولم يكن لسَلْم وارث. قال: وكان عاصم هذا جواداً.

أخبرني محمد بن خلف وَكيع، قال: حدثنا عبد الله بنُ أبي سعد، قال: حدثني محمد بن طَهمان، قال: أخبرني القاسمُ بنُ موسى بنِ مَزْيد أن يزيدَ بنَ مَزْيد قال: ما حَسدتُ أحداً قطُّ على شعر مُدِح به إلا عاصم بن عتبة الغسّانيّ، فإني

حسدته على قول سَلْم الخاسر فيه: [مشطور الرجز]

لِـــعـــاصـــم سَـــمـــاءٌ	عـــارِضُـــهـــا تَـــهـــتـــانْ[1]
أمـــطـــارُهـــا الـــلُّـــجـــيـــنُ	والـــدُّرُّ والـــعِـــقـــيـــانْ[2]
ونـــــارُهُ تـــنـــادِي	إذْ خَـــبَـــتِ الـــنِّـــيـــرانُ
الـــجُـــودُ فـــي قـــحـــطـــانِ	مـــا بَـــقِـــيَـــتْ غـــســـانُ
اســـلَـــمْ ولا أُبـــالـــي	مـــا فَـــعَـــلَ الإخـــوانُ
صَـــلْـــتٌ لـــه الـــمـــعـــالِـــي	والـــسَّـــيْـــفُ والـــسِّـــنـــانُ

[بينه وبين أبي العتاهية]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال: حدّثنا يعقوبُ بن نُعَيْم عن محمد بن القاسم بن مَهْرُويه، وأخبرني به الحسن بن علي، عن ابن مهرويه، عن الغَريبي، عن محمد بن عمر الجرجاني، قال: كان سَلْمُ تلميذَ بشار، إلا أنه كان تباعدَ ما بينهما، فكان سَلْم يُقدِّم أبا العتاهية، ويقول: هو أشعرُ الجِن والإنس، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سَلْماً:

تـعـالَـى الـلَّـه يـا سَـلـمَ بـنَ عَـمْـرو	أذلَّ الـحـرصُ أعـنـاقَ الـرِّجـالِ
هَـب الـدُّنْـيـا تَـصـيـرُ إلـيـك عَـفْـواً	أَلَـيْـسَ مَـصـيـرُ ذاك إلـى زوالِ!

قال: وبلغ الرشيدَ هذا الشعرُ فاستحسنه، وقال: لعمري إن الحرص لمَفْسَدة لأمر الدين والدنيا، وما فتَّشت عن حريص قطّ مُغَيَّبِه إلا انكشف لي عمَّا أَذُمّه. وبلغ ذلك سلماً، فغضب على أبي العتاهية، وقال: وَيْلي على الجرَار ابنِ الفاعلة الزِّنْديق! زعم أني حريص، وقد كنز البُدور[3] وهو يطلب وأنا في ثَوبَيّ هذين، لا أملك غيرهما. وانحرف عن أبي العتاهية بعد ذلك.

[بينه وبين أبي العتاهية]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي، حدثنا محمد بن موسى، قال: أخبرني

(١) هتنت السماء: انصبَّ مطرها.
(٢) العقيان: الذهب الخالص.
(٣) البدور: جمع البدرة وهي كمية كبيرة من المال.

محمد بن إسماعيل السَّدُوسي، قال: حدثني جعفر العاصمي، وأخبرني عمي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن القاسم بن الحسن، عن زكريا بن يحيى المدائني، عن علي بن المبارك القُضَاعيّ، عن سَلْمِ الخاسر، أن أبا العتاهية لما قال هذا الشعر فيه كتب إليه:

ما أَقْبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ واعِظٍ ... يُزَهِّدُ النَّاسَ ولا يَزْهَدُ
لو كان في تزهيدِهِ صادِقاً ... أَضْحى وأَمْسى بَيْتَهُ المَسْجِدُ
ورفَضَ الدُّنيا ولم يَلْقَها ... ولم يَكُنْ يَسْعى ويَسْتَرْفِدُ
يَخافُ أن تنفَدَ أرزاقُهُ ... والرِّزْقُ عند الله لا يَنْفَدُ
الرِّزْقُ مَقْسومٌ على مَنْ تَرَى ... ينالُه الأبيضُ والأسودُ
كُلٌّ يُوفَّى رزقَه كامِلاً ... مَنْ كفّ عن جهدٍ ومَن يَجْهَدُ

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا ابن مهرويه، قال: حدثني أبو العسكر المِسْمَعِيّ، وهو محمد بن سليمان، قال: حدثني العَبّاس بن عبد الله بن سِنان بن عبد الملك بن مسمع قال: كنا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان، وهو يومئذٍ أمير البصرة، وعنده أبو العتاهية ينشده شعره في الزهد، فقال لي قُثَمُ: يا عباس، اطلب لي الجَمَّاز الساعة حيث كان فجئني به، ولك سَبَق[1]. فطلبته؛ فوجدته جالساً ناحية عند رُكن دار جعفر بن سليمان، فقلت له: أجب الأمير، فقام معي حتى أتى قثَم فجلس في ناحية مجلسة وأبو العتاهية يُنشده، ثم قام إليه الجَّماز فواجهه، وأنشد قولَ سَلْم الخاسر فيه: [السريع]

ما أَقْبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ واعِظٍ ... يُزَهِّدُ النَّاسَ ولا يَزهَدُ
لو كان في تزهيدِهِ صادِقاً ... أَضْحى وأَمْسى بَيْتَهُ المَسْجِدُ

وذكر الأبيات كلها، فقال أبو العتاهية: مَن هذا أعز الله الأمير؟ قال: هذا الجماز، وهو ابن أخت سَلْم الخاسر، انتصر لخاله منك حيث قلت له:

تعالَى اللَّه يا سَلْمَ بنَ عَمْرو ... أذلّ الحِرصُ أَعْناقَ الرِّجالِ

قال: فقال أبو العتاهية للجماز: يا بن أخي، إني لم أذهب في شعري الأول حيث ذَهب خالُك؛ ولا أردتُ أن أهتف به، ولا ذهبت أيضاً في حضوري وإنشادي حيث ذَهَبْتَ من الحرص على الرزق، واللَّه يغفر لكما! ثم قام فانصرف.

---

(١) السَّبَقُ: ما يتراهن عليه المتسابقون.

أخبرني عمّي، عن أحمد بن أبي طاهر، عن أبي هَفّان، قال: وصَل إلى سَلْم الخاسر مِنْ آل بَرْمَكَ خاصة سِوى ما وصل إليه من غيرهم عِشرون ألف دينار، ووصل إليه من الرشيد مثلُها.

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني عَمّاي عبيدُ الله والفضلُ؛ عن أبيهما، عن أبي محمد اليزيديّ، أنه حضر مجلس عيسى بن عمر، وحضر سَلْمُ الخاسر، فقال له: يا أبا محمد اهْجُني عَلَى رَوِيِّ قصيدة امرىء القيس: [المديد]

رُبَّ رامٍ مِنْ بَني ثُعَلٍ ... مُخرِجٌ كَفَّيْهِ في سُتَرِهْ[١]

قال: فقلت له: ما دعاك إلى هذا؟ قال: كذا أُريد. فقلت له: يا هذا أنا وأنت أغنى الناسِ عما تستدعيه من الشر فَلْتَسَعْك العافية، فقال: إنك لتَحْتجز منِّي نهاية الاحتجاز، وأراد أن يوهم عيسى أني مفْحَم عَيِيٌّ لا أقدر عَلَى ذلك، فقال لي عيسى: أسألك يا أبا محمد بِحَقِّي عليك إلا فَعَلْت. فقلت: [المديد]

رُبَّ مَغْمومٍ بِعَاقِبَةٍ ... غَمَط النِّعمةَ من أَشَرِهْ[٢]
وامرىءٍ طالَت سلامتُه ... فرماهُ الدَّهْرُ من غِيَرِهْ
بِسِهامٍ غيرِ مُشْوِيَةٍ ... نَقَضَتْ منه قُوى مِرَرِهْ[٣]
وكذاك الدَّهْرُ منقلِبٌ ... بالفتى حالَيْنِ مِنْ عُصُرِهْ
يَخْلِط العُسْرَ بِمَيْسَرةٍ ... ويَسارُ المرءِ في عُسُرِهْ
عَقَّ سَلْمٌ أُمَّهُ صِغَراً ... وأبا سَلْمٍ عَلَى كِبَرِهْ[٤]
كُلَّ يومٍ خلفَهُ رجُلٌ ... رامحٌ يسعى عَلَى أثَرِهْ
يُولِجُ الغُرْمولَ سَبَّتَه ... كَوُلوجِ الضَّبِّ في جُحْرِهْ[٥]

قال: فاغتم سَلْم ونَدِم، وقال: هكذا تكون عاقبة البغي والتعرض للشر، فَضحِك عيسى، وقال له: قد جَهَد الرجل أن تَدَعه وصيانتَه ودِينه فأبيتَ إلا أن يُدْخِلك في حِرِ أُمك.

(١) السُّتَرُ: جمع سترة: وهو الموضع الذي يستتر الصائد فيه. وقيل: الكُمّ.
(٢) غَمَط النِّعمة: لم يشكرها.
(٣) أشوى السهم: لم يصب مقتلاً. والمِرر: جمع مِرة: وهي طاقة الحبل.
(٤) عق الولد والده: عصاه وترك الشفقة عليه.
(٥) الغرمول: الذَّكَرُ، السَّبَّة: الاست.

[عند المهدي]

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني علي بن محمد النَّوْفَلِيّ، قال: سمعت أبي يقول: كان المهدي يعطى مروان وسَلْماً الخاسر عَطية واحدة، فكان سَلْمُ يأتي باب المهدي على البِرْذَوْن الفارِه، قيمته عشرة آلاف درهم، بِسَرْجٍ ولجام مفضَّضين، ولباسُه الخَزّ والوَشْي، وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمانَ ورائحةُ المِسكِ والطِّيب والغالية تفوح منه، ويجيء مروان بن أبي حفصة عليه فَرْوٌ كَبَلٌ[1] وقميص كرابيس[2] وعمامة كرابيس وخصّا كَبْل[3] وكساء غليظ، وهو منتن الرائحة. وكان لا يأكل اللحم حتى يقْرَم[4] إليه بُخْلا، فإذا قَرِم أرسل غلامه، فاشترى له رأْساً فأكلَه. فقال له قائل: أراك لا تأكل إلا الرأْس! قال: نعم، أعرِف سعرَه، فآمن خيانة الغلام، ولا اشتري لحماً فيَطبخَه فيأكل منه، والرأس آكُلُ منه ألواناً: آكُلُ منه عينيه لوناً، ومن غَلْصَمَتِه[5] لوناً، ومن دماغه لوناً.

أخبرني الحسن بنُ عليّ، قال: حدثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرويه، قال: حدثنا يحيى بن الحسن الربيعيّ، قال: أخبرني أبي، قال: كان سلم الخاسر قد بُلي بالكيمياء فكان يذهب بِكُلِّ شيء له باطلاً، فلما أراد اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يَصنع[6] له عُرِّف أنّ بباب الشام صاحب كيمياء عجيباً، وأنه لا يصل إليه أحد إلا ليلاً، فسأل عنه فدلوه عليه. قال: فدخلت إليه إلى موضع مُعْوِر[7]، فدققت الباب فخرج إليّ، فقال: مَن أنت عافاك الله؟ فقلت: رجل معجَب بهذا العلم. قال: فلا تَشْهَرني، فإني رجل مستور، إنما أعمل للقوت. قال، قلت: إني لا أشْهَرك، إنما أقتبس منك، قال: فاكتم ذلك. قال: وبين يديه كوزُ شَبَهٍ[8] صغيرٌ. فقال لي: اقلعْ

---

(١) فرو كَبَلَ: أي قصير.
(٢) قميص كرابيس: قميص من قطن أبيض.
(٣) الكَبْل: الكثير الصفوف من الفراء.
(٤) قَرِم إلى اللحم قَرَماً: اشتدّت شهوته له.
(٥) العلصمة: اللحم بين العنق والرأس.
(٦) يصنع له: يريد الخير له.
(٧) معور: لا يؤمن الشر فيه.
(٨) الشَّبَه: النحاس الأصفر.

عُروتَه، فقلعتها. فقال: اسبُكها في البُوطَقة، فسبكتها، فأخرجَ شيئاً من تحت مصلاّه، فقال: ذُرّه عليه، ففعلت. فقال: أفْرغه، فأفرغتُه. فقال: دعه معك، فإذا أصبحتَ فاخرُج، فبعْه وعُدْ إليّ، فأخرجته إلى باب الشام، فبعتُ المثقال بأحد وعشرين درهماً، ورجعت إليه فأخبرته. فقال: اطلب الآن ما شئت. قلت: تفيدني. قال: بخمسمائة درهم على أن لا تعلِّمه أحداً، فأعطيته، وكتب لي صفة فامتحنتها، فإذا هي باطلة. فعُدْت إليه، فقيل لي: قد تحوّل، وإذا عُروة الكوز المشَبّه[1] من ذهب مركبة عليه، والكوز شَبَه. ولذلك كان يُدْخل إليه من يَطلبه ليلاً، ليخفى عليه، فانصرفت، وعلمت أن الله ـ عزّ وجلّ ـ أراد بي خيراً، وأن هذا كله باطل.

أخبرني محمد بنُ عمران الصيرفيّ، قال: حدثنا العَنَزيّ، قال: حدّثني أبو مالك اليماني، قال: حدّثني أَبو كعب قال: لما ماتت البانوكة بنت المهدي رثاها سَلْم الخاسر بقوله: [السريع]

أَودَى ببانوكَة ريبُ الزمانْ ... مُؤنسةِ المهديِّ والخيزُرانْ
لم تَنْطوِ الأرضُ على مِثلها ... مولدةٌ حَنَّ لها الوالدانْ
بانوكُ يا بِنْتَ إمامِ الهُدَى ... أَصْبَحْتِ مِنْ زينة أهلِ الجِنَانْ
بَكتْ لكِ الأرضُ وسُكّانُها ... في كُلِّ أُفْقٍ بين إنسٍ وجانْ

أخبرني الحسن بن عليّ، قال: حدّثني ابن مهرويه، قال: حدثني عليّ بن الحسن الشيباني، قال: حدثني أَبو المستهلّ الأسديّ، وهو عبد الله بن تميم بن حمزة، قال: كان سلم الخاسر يهاجي والِبَة بن الحباب، فأرسلني إليه سَلْم وقال: قل له: [المنسرح]

يا والِبَ بنَ الحُبَابِ يا حَلَقي ... لَسْتَ مِنْ أَهْلِ الزناءِ فانْطَلِقِ
تُدخلُ فيه الغُرمولَ تُولِجُهُ ... مثلَ وُلوج المِفتاحِ في الغَلَقِ

قال: فأتيت والِبَة فقلت له ذلك، فقال لي: قل له: يا بن الزانية، سَلْ عنك ريعان التميمي ـ يعني أنه ناكه ـ قال: وكان رَيعانُ لُوطياً آفةً من الآفات، وكان علاّمة ظريفاً.

(١) المشبّه: الملبس الذي لا تعرف حقيقته.

قال: فحدثني جعفر بن قدامة عن محمد العِجْلي، عن أحمد بن معاوية الباهليّ، قال: سمعت رَيعانَ يقول: نِكتُ الهيثم بنَ عديّ، فمَن ترونه يُفلت مني بعده؟

وأخبرني أحمد بن العباس العسكري، قال: حدثنا العَنَزيّ. قال: حدثني أبو مالك محمد بن موسى اليماني، قال: كان سَلْمُ الخاسر مَدَح بعض العلويين، فبلغ ذلك المهدي، فتوعّده وهمّ به، فقال سَلْمُ فيه: [البسيط]

إني أتتني على المَهْدِيِّ مَعْتَبةٌ ... تكادُ مِنْ خَوْفها الأحشاءُ تضطربُ
اسْمَعْ فداكَ بَنُو حواءَ كلُّهمُ ... وقد يَجور برأسِ الكاذبِ الكذبُ
فقد حَلفتُ يميناً غيرَ كاذبةٍ ... يوم المَغِيبةِ لم يُقطَعْ لها سببُ
ألاّ يحالِفَ مدحي غيرَكم أبداً ... ولو تلاقَى عليّ الغَرْضُ والحَقَبُ[1]
ولو ملكتُ عنانَ الريح أصْرِفها ... في كُلِّ ناحيةٍ ما فاتها الطَّلَبُ
مولاك مولاك لا تُشْمِتْ أعاديَهُ ... فما وراءَكَ لي ذِكْرٌ ولا نَسَبُ

فعفا عنه.

[رثاؤه أفضل من مديحه]

وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن عبيد اللّه بن عمار، قالا: حدثنا العَنَزِيُّ، قال: حدثني العباسُ بنُ عبدِ الواحد بنِ جعفرِ بنِ سليمانَ، قال: حدثني موسى بنُ عبدِ الله بنِ شهاب المِسْمَعيّ، قال: سمعت أبا عبيدةَ مَعْمَر بنَ المثنى يقول: كان سَلْم الخاسر لا يحسن أن يَمْدَح، ولكنه كان يحسن أن يرثي ويسأل.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه، قال: حدثني عليُّ بن الحسنِ الشيباني، قال: حدّثني أبو المُسْتَهِلّ، قال: دخلت يوماً على سَلْم الخاسرِ، وإذا بين يديه قراطِيسُ فيها أشعار يرثي ببعضها أمَّ جعفر، وببعضها جاريةً غير مُسماة، وببعضها أقواماً لم يموتوا، وأُمُّ جعفر يومئذٍ باقية. فقلت له: ويحَك! ما هذا؟ فقال: تحدثُ الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها، ويستعجلوننا، ولا يَجْمل بنا أن نقول غير الجَيِّد، فنُعِدّ لهم هذا قبل كونه، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديماً، على أنه قيل في الوقت.

---

(١) الغرض: هو للرحل كالحزام للسرج. والحَقَبُ: الحزام يلي حقو البعير.

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد وعيسى بنُ الحسين، قالا: حدثنا الزبير بنُ بَكار، قال: قال عبد الله بنُ الحسن الكاتب: أنشد المأمون قول أبي العتاهية:

تـعـالَـى الله يـا سَـلـم بـنَ عَـمْـرٍو أذلَّ الـحِـرصُ أعْـنـاقَ الـرجـالِ

فقال المأمون: صدق لَعَمْرُ الله، إنّ الحِرْص لمَفسَدة لِلدِّين والمروءة، والله ما رأيت من رجل قطّ حِرْصاً ولاشَرهاً، فرأيت فيه مُصْطَنعاً. فبلغ ذلك سَلْماً الخاسر، فقال: ويلي على ابن الفاعلة بياع الخَزَف، كَنَزَ البُدور بِمِثْل ذلك الشعرِ المفكّكِ الغثّ، ثم تَزهّد بعد أن استغنى، وهو دائباً يهتف بي، وينسبني إلى الحرص، وأنا لا أملك إلا ثَوْبيّ هذين.

[بينه وبين أبي الشمقمق]

أخبرني عمِّي والحسنُ بنُ علي، قالا: حدّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُويه، قال حدثنا زكريا بنُ مهران، قال: طالب أبو الشمَقْمَق سَلْماً الخاسر بأن يهب له شيئاً، وقد خرجَتْ لسَلَم جائزة، فلم يفعل، فقال أبو الشمقمق يهجوه: [البسيط]

يـا أُمَّ سَـلـم هـداكِ الـلّـهُ زُورِيـنَـا كـيـمـا نَـنِـيـكَـكِ فَـرْداً أو تَـنِـيـكِـيـنـا

مـا إن ذَكَـرْتُـكِ إلاّ هـاج لـي شَـبَـقٌ ومـثـلُ ذِكْـراكِ أُمَّ الـسَـلـم يُـشْـجِـيـنـا

قال: فجاءه سَلْم فأعطاه خمسة دنانير، وقال: أُحبّ أن تُعْفِيَني من استزارتك أمّي وتأخذ هذه الدنانير فتُنْفِقها.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا ابنُ مَهْرُويه، قال: حدثني يحيى بنُ الحسن بن عبد الخالق، قال: حدثني محمدُ بنُ القاسم بنِ الربيع عن أبيه، قال: دخل الرّبيعُ على المَهْدِيّ وأبو عبيد الله جالس يَعْرِض كتباً، فقال له أبو عبيد الله: مُرْ هذا أن يَتَنَحّى - يعني الربيع - فقال له المهدي: تَنَحّ، فقال: لا أفعل. فقال: كأنك تَراني بالعينِ الأولى! فقال: لا، بل أراك بالعَين التي أنت بها. قال: فَلِمَ لا تتنحَّى إذ أمرتك؟ فقال له: أنت رُكن الإسلام، وقد قَتَلْتَ ابنَ هذا، فلا آمَن أن يكون معه حَدِيدةٌ يَغتالُك بها، فقام المهديّ مذعوراً، وأمر بتفتيشه، فوجدوا بين جَوْرَبِهِ وخُفِّه سِكّيناً، فرُدّت الأمور كلُّها إلى الربيع، وعُزِل أبو عبيد الله، ووُلِّيَ يعقوبُ بنُ داود، فقال سَلْمُ الخاسر فيه: [مجزوء الكامل]

يَـعْـقُـوبُ يَـنْـظُـر فـي الأمـو رِ وأنـت تَـنْـظُـرُ نـاحِـيَـهْ

أَدْخَلْتَهُ فَعَلا ... عليك كذاك شؤم الناصيهْ

قال: وكان بلغ المهديَّ من جهة الربيع أن ابن عُبيد الله زِنْدِيقٌ، فقال له المهديّ: هذا حَسَدٌ منك. فقال: افحص عن هذا، فإنّ كنتُ مُبْطِلاً بَلْغت مِنِّي الذي يَلزم مَن كَذبك. فأتى بابن عبيد الله، فقرّره تقريراً خفياً، فأقرّ بذلك، فاستتابه، فأبى أن يتوب، فقال لأبيه: اقتله، فقال: لا تطيب نفسي بذلك. فقتَله وصلَبه عَلَى بابِ أبي عبيد الله. قال: وكان ابن أبي عبيد الله هذا من أحمقِ الناسِ: وهب له المهديُّ وَصيفةً، ثم سأله بعد ذلك عنها، فقال: مَا وَضَعتُ بيني وبين الأرض حَشيّةً قَطُّ أوْطأ مِنها حاشا سامِع، فقال المهديّ لأبيه: أتُراه يعنيني، أو يعنيك؟ قال: بَل يَعْني أُمَّه الزانية، لا يكني.

أخبرني الحسن بنُ عليّ، قال: حدثنا ابن مَهْرُويه، قال: حدثني يحيى بن الحسن، قال: حدثني أبي، قال: كنت أنا والربيع نَسِير قريباً من مَحْمِل المنصور حين قال للربيع: رأيت كأن الكعبة تصدَّعَتْ، وكأن رجلاً جاء بِحَبل أسود فشدَّدها، فقال له الربيعُ: مَن الرجل؟ فلم يُجِبه، حتى إذا اعتلّ قال للربيع: أنت الرجل الذي رأيتُه في نومي شدّد الكعبة! فأَيَّ شيءٍ تعمل بعدي؟ قال: ما كنت أعمل في حياتك، فكان من أمره في أخذ البيعة للمهديّ ما كان، فقال سَلْمُ الخاسر في الفضل بن الربيع:

يا بن الذي جَبَر الإسلامَ يومَ وهى ... واستنقَذَ الناسَ مِن عَمْياءَ صَيْخودِ[1]

قالتْ قُرَيْشٌ غَداةَ انهاضَ مُلْكُهُمُ: ... أين الرَّبيعُ وأعطَوْا بالمَقاليدِ

فقامَ بالأمرِ مِئْناسٌ بوَحْدَتِه ... مَاضِي العزيمةِ ضرّابُ القَماحيدِ[2]

إن الأمورَ إذا ضاقَتْ مَسالِكُها ... حَلَّتْ يدُ الفَضْلِ مِنها كُلَّ مَعقودِ

إنّ الرَّبيعَ وإن الفَضْلَ قد بَنَيا ... رواقَ مَجْدٍ على العبَّاسِ ممدودِ

قال: فوهب له الفضلُ خمسة آلاف دينار.

أخبرني عمِّي، قال: حدثنا أبو هِفّان، قال: حدثني سعيد أبو هُرَيم وأبو

---

(١) الصيخود: في الأصل: الصخرة الشديدة. ويوم صيخود: شديد الحر. وصف بها الفتنة الشديدة العمياء.

(٢) القماحيد: جمع القمحدوة: كالقلنسوة. وهي الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال.

دعامَة، قالا: لما قال سَلْم الخاسر في الرشيد حين عقد لابنه محمد الأمِين:

[الكامل]

قد بايعَ الثَّقلانِ في مَهْدِ الهُدَى ... لمحمدِ بنِ زُبَيْدَةَ ابنةِ جعفرِ
ولِيتَه عَهدَ الأنامِ وأمْرَهُمْ ... فدمَغْتَ بالمعروف رَأسَ المنكَرِ

أعطته زُبَيْدة مائة ألفِ درهم.

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدثنا محمدُ بن محمد بن القاسم بنِ مَهْرُويه، قال: حدثنا عبد الله بن عمرو، قال: حدثني أحمدُ بن محمد بن عليٍّ الخراسانيّ عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق، عن أبيه، قال: قال سَلم الخاسر في المهديّ قصيدته التي يقول فيها:

[المتقارب]

له شِيمَةٌ عند بَذْلِ العَطا ... ءِ لا يَعْرِفُ الناسُ مقدارَها
ومَهْديُّ أُمّتِنا والذي ... حَماها وأدرَك أوتارَها

فأمر له المهديّ بخمسمائة ألف درهم.

أخبرنا وكيع، قال: حدثنا عبد الله بن سليمان، قال: حدثنا منصور بنُ أبي مزاحم قال: شَهِدْتُ المهديَّ وقد أمر لمروان بن أبي حفصة بأربعين ألف درهم، وفرضٌ له على أهل بيتِه وجلسائه ثلاثين ألف درهم. وأمر الرشيدُ بعد ذلك لمَّا ولي الخلافة لسَلْمَ الخاسر وقد مدحه بسبعين ألفَ درهم، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنّ أكثر ما أعطى المهديُّ مروانَ ألفَ درهم، فزِدْني وفضِّلني عليه، ففعل ذلك، وأعطاه تتمة ثمانين ألف درهم، فقال سَلْمُ:

[الطويل]

ألا قُلَ لمروانٍ أتتْكَ رسالةٌ ... لها نَبأٌ لا يَنْثني عن لِقائكا
حَباني أميرُ المؤمنين بِنَفْحَةٍ ... مشَهَّرَةٍ قد طأْطأَتْ من حِبَائكا
ثمانين ألفاً حُزْتُ من صُلْبِ مالِهِ ... ولم يَكُ قَسْماً من أُولَى وأولائكا

فأجابه مروان فقال:

[الطويل]

أَسَلْمَ بنَ عمرو قد تَعاطَيْتَ غايةً ... تُقَصِّرُ عنها بعدَ طُولِ عنائكا
فأُقسِم لولا ابنُ الرَّبيعِ ورِفْدُهُ ... لما ابْتَلّتِ الدّلوُ التي في رشائكا
وما نِلْتَ مُذْ صُوِّرتَ إلا عطيّةً ... تَقُوم بها مَصْرورةً في ردائكا

حدثني وَسْواسة بن الموصليّ، وهو محمدُ بنُ أحمد بنِ إسماعيل بنِ إبراهيم،

قال: حدّثني حماد عن أبيه، قال: استَوهبَ أبي من الرشيدِ تركةَ سَلْم الخاسر، وكان قد مات عن غير وارث، فوهبها له قَبلَ أن يتسلّمها صاحبُ المواريث، فحصَّل منها خمسين ألف دينار.

أخبرني عمي، قال: حدثني أبو هِفَّان، عن سعيد بن هُرَيم وأبي دعامة أنه رُفِع إلى الرشيد أن سلماً الخاسر قد توفي، وخلَّف ممَّا أخذه منه خاصة ومن زُبَيْدَةَ أَلْفَ أَلْفٍ وخمسَمائةِ ألف درهم سوى ما خلّفه من عَقَار وغيره مما اعتقده[1] قديماً، فقبضه الرشيد. وتظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، فقال: هذا خادِمي ونَدِيمي، والذي خلَّفه من مالي، فأنا أحقّ به، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكِه.

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخزاعي، قال: حدثنا عيسى بنُ إسماعيل، عن القَحْذميّ، قال: كان مالِكٌ وشهابٌ ابنا عبدِ الملك بنِ مِسْمع ومعنُ بنُ زائدة مُتَواخِين، لا يكادون يفترقون. وكان سَلْمُ الخاسر ينادمهم ويمدحهم، ويُفْضلون عليه ولا يحوجونه إلى غيرهم، فتُوفِّي مالكٌ ثم أخوه ثم معن في مدة متقاربة، فقال سَلْمُ يرثيهم: [الخفيف]

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ تَهْتانِ ... وانْدُبي مَنْ أصابَ رَيْبُ الزمانِ[2]

وإذا ما بَكَيتِ قَوماً كِراماً ... فَعَلى مالِكٍ أبي غَسّانِ

أَينَ معنٌ أبو الوليدِ ومن كا ... ن غِياثاً لِلْهالِك الحيرانِ؟

طرَقتْك المنونُ لا واهِيَ الحبـ ... ـلِ ولا عاقِداً بِحِلْف يمانِ

وشهابٌ وأين مثلُ شهابٍ ... عند بَذلِ النّدَى وحَرِّ الطِّعانِ

رُبّ خِرْقٍ رُزِئتُه من بَني قيـ ... ـسٍ وخِرقٍ رُزِئتُ من شيبانِ[3]

دَرَّ دَرُّ الأيام ماذا أجَنَّتْ ... منْهُمُ في لفائفِ الكتانِ[4]

ذاك معنٌ ثَوى ببست رهيناً ... وشهابٌ ثَوى بأرض عُمانِ[5]

وهُما ما هُما لِبَذْلِ العطايا ... ولِلَفِّ الأقرانِ بالأقرانِ

---

(١) اعتقده: جمعه.

(٢) عبرة تهتان: منصبّة.

(٣) الخرق: السخيّ.

(٤) دَرَّ: كثر. والدَّرُّ: اللبن. وأجنَّت: وارت.

(٥) بُسْتَ: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة (انظر معجم البلدان ١/ ٤١٤).

يَسْبِقانِ المنونَ طعناً وضرباً ويَفُكَّانِ كُلّ كبْلٍ وَعانِ[1]

أخبرني وكيع، قال: حدثني يزيدُ بنُ محمدٍ المهَلّبيّ، قال: حدثني عبد الصمد ابنُ المُعذَّل، قال: لما أنشد سلم الخاسر الرشيدَ قصيدته فيه:

حَضَر الرَّحِيلُ وشُدَّت الأحْداجُ

أمر له بمائةِ ألفِ درهم.

حدثني جَحْظةُ قال: حدثني ميمونُ بنُ هارون قال: دخل سَلْمُ الخاسر على الفضل بنِ يحيى في يوم نيروز والهدايا بين يديه، فأنشده: [مجزوء الوافر]

أَمِنْ رَبْعٍ تُسائِلُهُ وقَدْ أقْوَت منازِلُهُ
بِقَلْبِي مِنْ هَوَى الأطلا لِ حُبٌّ ما يُزايِلُهُ
رُوَيدَكُمُ عَنِ المَشْغو فِ إنَّ الحُبَّ قاتِلُهُ
بلابِلُ صَدرِه تَسْري وقد نامَتْ عواذِلُهُ[2]
أحقُّ الناسِ بالتفضيـ ـلِ مَن تُرْجَى فَوَاضِلُهُ
رأيتُ مكارمَ الأخلا قِ ما ضَمَّت حَمائلُهُ
فلستُ أرَى فتًى في النا سِ إلا الفَضْلُ فاضِلُهُ
يقول لسانُه، خَيراً فتَفْعلُه أنامِلُهُ
ومهما يُرْجَ مِنْ خيرٍ فإن الفضل فاعلُهُ

وكان إبراهيم الموصليّ وابنُه إسحاق حاضرَيْن، فقال لإبراهيم: كيف ترى وتسمع؟ قال: أحسنَ مَرْئيٍّ ومسموعٍ، وفضْلُ الأميرِ أكثرُ منه. فقال: خُذوا جميع ما أُهْدِي إليَّ اليوم فاقتسموه بينكم أثْلاثاً إلا ذلك التمثال، فإني أُريد أن أُهديَه اليوم إلى دنانيرَ، ثم قال: لا، والله، ما هكذا تفعل الأحرار، يُقَوَّم وندفع إليهم ثمنه، ثم نهديه. فقُوِّم بألفَي دينار، فحملها إلى القوم من بيتِ ماله، واقتسموا جميع الهدايا بينهم.

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ، قال: حدّثني عيسى بن إسماعيل تِينةُ قال: حدّثني القَحْذميّ، قال: قيل لِمَعْنِ بن زائدة: ما أحسَنُ ما مُدحْتَ به من الشعرِ

---

(١) الكَبْل: القيد.

(٢) البلابل: مفردها البلبال: شدّة الهمّ والوسواس.

عندك؟ قال: قولُ سَلْم الخاسر:

أبْلِغ الفِتْيَانَ مألُكَةً ... أنَّ خيرَ الوُدّ ما نَفَعا[1]
أنَّ قَرْماً من بَني مَطَرٍ ... أتلَفَتْ كفّاه ما جَمعا
كُلّما عُدْنا لنائِله ... عادَ في مَعْروفِهِ جَذَعا[2]

أخبرني عمي، قال: حدثني عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ، قال: حدثني أبو توبةَ وأخبرني الحسنُ بن عليّ، قال: حدثني محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُويه عن أبي توبة، قال: حَدَث في أيام الرشيد أمرٌ فاحتاج فيه إلى الرأي، فأشْكَلَ، وكان الفضلُ بن يحيى غائباً، فورد في ذلك الوقت، فأخبروه بالقصة، فأشار بالرأي في وقته وأُنْفِذَ الأمر على مشورتِه، فحُمد ما جَرى فيه، فدخل عليه سلم الخاسر فأنشده: [الوافر]

بَديهَتُه وَفِكْرتُه سواءٌ ... إذا ما نَابَهُ الخَطْبُ الكبيرُ
وَأحْزَمُ ما يَكُونُ الدَّهرَ رأياً ... إذا عَيَّ المُشَاوِرُ والمُشيرُ

فأمر له بِعشْرةِ آلاف درهم.

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامَة، قال: حدثني أبو العيناء، قال: حدثني الجمَّازُ أنّ أبا الشَمَقْمَقِ جاء إلى سلم الخاسر يستميحه فمنعه، فقال له: اسمع إذاً ما قلتُه، وأنشده: [مجزوء الرمل]

حَدَّثُوني أنّ سَلْماً ... يَشْتَكي جارةَ أيْرِهْ
فَهْو لا يَحْسُدُ شيئاً ... غيرَ أيْرٍ في اسْتِ غيرِهْ
وإذا سَرَّك يَوْماً ... يا خليلي نيْلَ خَيرِهْ
قُمْ فَمُرْ راهِبَك الأصْلَعَ يَقْرعُ بابَ ديْرِهْ

فَضحِك سَلْمٌ، وأعطاه خمسة دنانير، وقال له: أحب ـ جعلت فداءك ـ أن تصرفَ راهبَك الأصلعَ عن بابِ ديرنا.

أخبرنا الحسنُ بنُ عليّ، قال: حدّثنا ابنُ مَهْرَوَيه، قال: حدثني أحمد بنُ أبي كامل، قال: حدّثني أبو دِعامة، قال: دخل سَلْمُ الخاسر على الرشيد، فأنشده:

حَيِّ الأحِبّةَ بالسلامِ

---

(١) المألكة: الرسالة.

(٢) الجَذَع: الشاب الحدث.

قال الرشيد:

حـيـاهُـم الـلّـه بـالـسـلامِ

فقال:

عَـلَـى وَداع أم مُـقـام

فقال الرشيد: حيّاهم الله على أيّ ذلك كان، فأنشده:

لَـمْ يَـبـقَ مـنـكَ ومِـنْـهُـم غـيـرُ الـجُـلـودِ عـلـى الـعـظـامِ

فقال له الرشيد: بل منك، وأمر بإخراجه، وتطيّر منه، ومن قوله، فلم يسمع منه باقيَ الشعر ولا أثابه بشيء.

أخبرني محمدُ بنُ مَزيد، قال: حدثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه، قال: أتتْ وفاةُ المهديِّ إلى موسى الهادي، وهو بجُرْجان فبويع له هناك؛ فدخل عليه سلم الخاسر مع المهنئين، فهنأه بخلافة الله، ثم أنشده: [السريع]

لَـمَّـا أتـتْ خـيـرَ بَـنـي هـاشـمٍ خـلافـةُ الله بـجُـرْجـانِ
شَـمَّـر لِـلْـحـزْمِ سَـرابـيـلَـهُ بِـرَأْيٍ لا غَـمْـرٍ ولا وانِ
لـم يُـدْخِـلِ الـشُّـورَى عـلـى رأيِـهِ والـحـزْمُ لا يُـمْـضِـيـهِ رَأيـانِ

أخبرني الحسن بنُ عليّ وعمي، قالا: حدثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُويه، قال: حدثني صالح بنُ عبد الرحمٰن عن أبيه، قال: دخل سلم الخاسر على الرشيد، وعنده العباس بن محمد وجعفر بن يحيى، فأنشده قوله فيه:

حـضَـرَ الـرّحـيـلُ وشـدت الأحْـداجُ

فلما انتهى إلى قوله: [الكامل]

إن الـمـنـايـا فـي الـسُّـيـوفِ كَـوَامِـنٌ حـتـى يُـهَـيِّـجَـهـا فـتـىً هَـيّـاجُ

فقال الرشيد: كان ذلك معن بن زائدة، فقال: صدق أمير المؤمنين، ثم أنشد حتى انتهى إلى قوله:

ومُـدَجَّـجٍ يَـغْـشَـى الـمَـضِـيقَ بِـسَـيْـفـه حـتـى يَـكـونَ بِـسَـيْـفِـهِ الإفـراجُ

فقال الرشيد: ذلك يزيد بن مزيد، فقال: صدق أمير المؤمنين، فاغتاظ جعفرُ بن يحيى، وكان يزيد بنُ مزيد عدواً للبرامكة، مصافياً للفضل بن الربيع. فلما انتهى إلى قوله: [الكامل]

نَزَلَتْ نُجومُ اللَّيْلِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ ... ولِكُلِّ قَوْمٍ كَوْكَبٌ وهّاجُ

قال له جعفرُ بن يحيى: من قِلّة الشعر حتى تمدَح أمير المؤمنين بشعرٍ قيل في غيره! هذا لِبشّار في فلان التميميّ، فقال الرشيد: ما تقول يا سَلْم؟ قال: صدَق يا سيدي، وهل أنا إلا جُزءٌ من محاسنِ بشار، وهل أنطق إلا بفضل منطقه! وحياتِك يا سيدي إني لأروِي له تسعة آلافِ بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً، فضحِك الرشيد، وقال: ما أحسن الصدق! امضِ في شعرك، وأمر له بمائةِ ألفِ درهم، ثم قال للفضل بنِ الربيع: هل قال أحد غيرُ سَلْم في طَيِّنا المنازلَ شيئاً؟ ـ وكان الرشيد قد انصرف من الحج، وطوى المنازل، فوصف ذلك سلم ـ فقال الفضل: نعم يا أميرَ المؤمنين، النَّمَريّ. فأمر سلماً أن يَثبتَ قائماً حتى يفرغ النمريّ من إنشاده، فأنشده النّمريّ قوله: [الطويل]

تَخَرَّق سِرْبالُ الشَّبابِ مَعَ البُرْدِ ... وحالَتْ لنا أُمُّ الوليدِ عَنِ العَهْدِ

فقال الرشيد للعباس بن محمد: أيُّهما أشعر عندك يا عمّ؟ قال: كلاهما شاعر، ولو كان كلام يُستفحَل لِجَودتِه حتى يؤخَذ منه نَسْل لاستفحلتُ كلامَ النَّمَريّ، فأمر له بمائة ألف درهم أُخرى.

أخبرني عمي، قال: أنشدني أحمد بن أبي طاهر لأشجع السُّلَميّ يَرْثي سلماً الخاسر ومات سَلْمُ قبله: [السريع]

يا سَلْمُ إن أصبَحْت في حُفرةٍ ... مُوسَّداً تُرْباً وأحجارا
فَرُبَّ بَيْتٍ حَسَنٍ قُلْتَهُ ... خَلَّفْتَهُ في النَّاسِ سيّارا
قَلّدتَهُ ربّاً وَسَيّرتَهُ ... فكانَ فَخْراً منك أو عارا
لو نَطَقَ الشِّعْرُ بكى بَعْدَهُ ... عليه إعْلاناً وإسْرارا

صوت

[الكامل]

يا وَيْحَ مَنْ لَعِبَ الهَوَى بحياتِهِ ... فأماتَهُ مِنْ قَبْلِ حِينِ مَماتِه

مَـنْ ذا كـذا كـانَ الـشَّـقِـيَّ بـشـادنٍ هـاروت بـيـن لـسـانِـهِ ولَـهـاتِـه
وحـيـاة مِـنْ أَهْـوَى فـإِنِّـي لـم أَكُـنْ يَـوْمـاً لأحـلـف كـاذبـاً بِـحـيـاتِـه
لأُخـالِـفَـنَّ عَـواذِلـي فـي لـذّتِـي ولأُسْـعِـدَنَّ أخـي عَـلَـى لـذّاتـه

الشعر لبعض شعراء الحجازيين ولم يقع إلينا اسمه، والغناء لأبي صدقة رمل بالبنصر.

أخبار أبي صدقة

[اسمه وولاؤه]

اسمه مسكينُ بنُ صدقَة من أهل المدينة، مولًى لقريش. وكان مليحَ الغناء، طيِّب الصوت، كثير الرواية، صالح الصنعة؛ من أكثرِ الناسِ نادرة، وأخفِّهم رُوحاً، وأشدّهم طمعاً، وألحِّهم في مسألة. وكان له ابنٌ يقال له صدقة يُغَنّي، وليس من المعدودين، وابنُ ابنِه أحمدُ بنُ صدقة الطُّنبوريّ ـ أحدُ المحسنين من الطُّنْبُورِيين، وله صنعة جيدة، وكان أشبهَ الناسِ بِجَدِّه في المَزْح والنوادر. وأخبارُه تُذْكر بعد أخبار جدِّه. وأبو صدقة من المغنين الذين أقدمَهم هارون الرشيد من الحجاز في أيامه.

أخبرني عليُّ بنُ عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله، قال: قيل لأبي صَدقة: ما أكثرَ سؤالَك، وأشدَّ إلحاحَك! فقال: وما يمنعني من ذلك، واسمي مسكين، وكُنْيتي أبو صدقة، وامرأتي فاقة، وابني صدقة!

أخبرني رضوانُ بنُ أحمد الصيدلانيّ، قال: حدثنا يوسفُ بنُ إبراهيم، قال: حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي أن الرشيد قال للحارث بن بُسْخُنَّر: قد اشتهيْتُ أن أرى نُدَمائي ومَن يحضُر مجلسي من المغنين جميعاً في مجلس واحد، يأكلون ويشربون، ويتبذَّلون منبسطين على غير هيبة ولا احتشام، بل يفعلون ما يفعلون في منازلهم وعند نظرائهم، وهذا لا يَتمّ إلا بأن أكونَ بحيثُ لا يَرونني، عن غير علم منهم بُرؤيتي إياهم. فأعِدّ لي مكاناً أجلس فيه أنا وعمّي سليمان وإخوتي: إبراهيم بن المهديّ، وعيسى بن جعفر

وجعفر بن يحيى، فإنا مُغَلِّسون[1] عليك غَدَاةَ غد، واستَزرْ أنت محمدَ بن خالد بنِ بَرْمكَ، وخالداً أخا مَهْرُويه، والخِضْرَ بنَ جبريل، وجميع المغنين، وأجلسهم بحيث نراهم ولا يروننا، وابسُط الجميع، وأظهرْ بِرَّهم، واخلع عليهم، ولا تدَعْ من الإكرام شيئاً إلا فعلتَه بهم، ففعل ذلك الحارث، وقدّم إليهم الطعام فأكلوا، والرشيد ينظر إليهم، ثم دعا لهم بالنبيذ فشربوا، وأُحضرت الخِلع، وكان ذلك اليوم يوماً شديد البرد، فَخلع عَلَى ابن جامع جُبَّة خَزٍّ طارُونيٍّ[2] مبطنةً بِسَمُّور صينيّ، وخلع عَلَى إبراهيم المَوْصلي جُبَّةَ وَشْيء كوفي مرتفع مبطنةً بِفَنَكٍ[3]، وخلع عَلَى أبي صدقَة دُرّاعة مُلْحم خراسانيٍّ مَحْشُوَّةً بِقَز، ثم تغنى ابن جامع، وتغنى بعده إبراهيم، وتلاهما أبو صدقة فغنى لابن سُرَيج: [الطويل]

ومِنْ أجْلِ ذاتِ الخالِ أعملْتُ ناقتي أُكلِّفها سَيرَ الكَلالِ مَعَ الظَّلْعِ

فأجاده، واستعاده الحارث ثلاثاً وهو يعيده. فقال له الحارث: أحسنتَ والله يا أبا صدقة! قال له: هذا غنائي وقد قَرَصني البرْد، فكيف تراه ـ فدَيتك ـ كان يكون لو كان تحت دُرّاعتي هذه شُعَيرات؟ يعني الوبر، والرشيد يسمع ذلك فضحك، فأمر بأن يُخلَع عليه دراعةُ مُلْحِم مبطنةٌ بفَنَك، ففعلوا، ثم تغنى الجماعة، وغنى أبو صدقة لمعبد: [البسيط]

بانَ الخَليطُ على بُزْلٍ مُخَيَّسَةٍ هُدْل المشافِر أدنى سيرِها الرَّمَلُ[4]

ثم تغنى بعده لمعبَد أيضاً: [البسيط]

بانَ الخليطُ ولو طُووِعْتُ ما بانا وَقطَّعوا مِنْ حِبالِ الوَصْلِ أقرانا

فأقام فيهما جميعاً القيامة، فطرب الرشيد حتى كاد أن يخرج إلى المجلس طرباً فقال له الحارث: أحسنت والله يا أبا صدقة ـ فديتك ـ وأجملت، فقال أبو صدقة: فكيف ترى ـ فديتك ـ الحال تكون لو كانت عَلَى هذه الدراعة نُقَيْطات؟ يعني الوشي، فضحِك الرشيد حتى ظهر ضحكه، وعلِموا بموضعه، وعرف علمَهم

(١) غَلَّس: جاء بغلس، وهو ظلمة آخر الليل.
(٢) الطاروني: نوع من الخز.
(٣) الفنك: دابة، فروها من أرفع أنواع الفراء.
(٤) المخيَّسَة: المروَّضة. والرَّمَل: الهرولة.

بذلك، فأمر بإدخالهم إليه، وأمر بأن يُخلع عَلَى أبي صدقة دراعةٌ أُخرى مبطنةٌ، فخُلِعت عليه.

أخبرني محمدُ بنُ مزيد بن أبي الأزهر، قال: حدثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، قال: سأل الحسن بن سليمان أخو عبيد الله بن سليمان الطفيليّ الفضل وجعفراً ابنَيْ يحيى أن يُقيما عنده يوماً، فأجاباه، فواعد عدة من المغنين، فيهم أبو صدقة المَدَني، فقال لأبي صدقة: إنك تُبْرم بكَثْرة السؤال؛ فصادِرْني[1] على شيء أدفعه إليك ولا تسأل شيئاً غيره، فصادره على شيء أعطاه إياه. فلما جلسوا وغنّوا أُعجبوا بغناء أبي صدقة، واقترحوا عليه أصواتاً من غناء ابن سُرَيج ومعبَد وابن محرز وغيرهم، فغنّاهم، ثم غنى ـ والصنعة له رمل ـ: [الكامل]

يا ويحَ مَنْ لَعِبَ الهَوى بحياتِهِ ... فأماتَهُ مِنْ قَبْلِ حِينِ مماتِه
مَنْ ذا كان الشَّقِيَّ بِشادِنٍ ... هاروتُ بين لسانِهِ ولَهَاتِه

وذكر الأبيات الأربعة المتقدِّمَ ذكرُها، قال: فأجاد وأحسنَ ما شاء، وطرب جعفر، فقال له: أحسنت وحياتي، وكان عليه دُوّاج[2] خزٍّ مبطن بسمّور جيد، فلما قال له ذلك شَرِهتْ نفسُه وعاد إلى طبعه، فقال: لو أحسنتُ ما كان هذا الدُّوّاجُ عليك، ولتَخلعنّه عليّ، فألقاه عليه، ثم غنّى أصواتاً من القديم والحديث، وغنّى بعدها من صناعته في الرمل: [السريع]

لَمْ يَطُلِ العَهْدُ فتنساني ... ولَمْ أَغِبْ عنك فتنعاني
بَدّلتَ بي غيري وباهتَّني ... ولم تَكُنْ صاحِبَ بُهتانِ[3]
لا وَثِقَتْ نَفْسي بإنسانٍ ... بَعْدَكَ في سِرٍّ وإعْلانِ
أَعْطَيْتني ما شِئْتُ من مَوْثِقٍ ... منك ومِنْ عَهْدٍ وأَيْمانِ

فقال له الفضل: أحسنت وحياتي! فقال: لو أحسنت لخلعت عليّ جُبّة تكون شكلاً لهذا الدُّوّاج، فنزع جبته وخلعها عليه، وسكروا وانصرفوا. فوثب الحسن بن سليمان، فقال له: قد وافقتُك على ما أرضاك، ودفعتُه إليك على ألا تسأل أحداً شيئاً، فلم تَفِ، وقد أخذتَ مالك! والله لا تركتُ عليك شيئاً مما أخذتَه، ثم انتزعه

(١) صادرني على شيء: حَدُد لي شيئاً وطالبني به أدفعه إليك.
(٢) الدُّوّاج: الدِّثار، لباس فوق الملابس.
(٣) باهتني: افتريت عليّ الكذب والبهتان.

منه كرهاً وصرفه، فشكاه أبو صدقة إلى الفضل وجعفر، فضحكا منه، وأخلفا عليه ما ارتجعه الطفيلي منه من خِلعهما.

[نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الغناء]

صوت

[البسيط]

بانَ الخليطُ على بُزْلٍ مُخَيَّسةٍ هُدْلِ المشافرِ أدنى سيرها الرملُ
مِنْ كُلِّ أعْيَسَ نضَّاحِ القفا قَطِمٍ ينفِي الزمامَ إذا ما حَنّتِ الإبلُ[1]

الغناء لابن عائشة، خفيفُ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشامي، وقال الهشامي خاصة: فيه لابن محرز هزج، ولإسحاق ثقيل أول، ووافقه ابن المكيّ. وما وجدْتُ لمعبَد فيه صنعةً في شيء من الروايات، إلا في المذكور.

وأما:

بانَ الخَليطُ ولو طُووِعْتُ ما بانا

فقد مضى في المائة المختارة، ونُسب هناك وذُكرتْ أخباره.

[كان أكثر الناس إلحاحاً]

أخبرني رضوان بن أحمد، قال: حدثنا يوسف بن إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ، قال: كان أبو صدقة أسأل خلق الله وألَحّهم، فقال له الرشيد: ويلك ما أكثر سؤالك! فقال: وما يمنعني من ذلك، واسمي مسكين، وكنيتي أبو صدقة، واسم ابني صدقة، وكانت أمي تلقَّب فاقة، واسم أَبي صدقة، فمن أَحق مني بهذا؟

وكان الرشيد يعبَث به عَبثاً شديداً، فقال ذات يوم لمسرور: قُلْ لابنِ جامع وإبراهيم الموصلي وزبير بن دحمان وزلُزل وبرْصُوصا وابنِ أبي مريم المديني: إذا رأيتموني قد طابت نفسي، فليسألني كل واحد منهم حاجة، مقدارُها مقدارُ صلته. وذكر لكل واحد منهم مقدار ذلك، وأمَرهم أن يكتموا أمرهم عن أبي صدقة، فقال

(١) الأعيس: الجمل الآدم. (فيه أُدمة).

لهم مسرور ما أمره به، ثم أذِن لأبي صدقة قبل إذْنه لهم، فلما جلس قال له: يا أبا صدقة، قد أضجرْتَني بكثرة مسألتك، وأنا في هذا اليوم ضَجِرٌ، وقد أحببتُ أن أتفرّج وأفرح، ولست آمن أن تنغّص عليّ مجلسي بمسألتك، فإمّا أنْ أعفيتَني من أن تسألني اليوم حاجة وإلا فانصرِف. فقال له: يا سيدي لستُ أسألك في هذا اليوم، ولا إلى شهرٍ حاجةً، فقال له الرشيد: أما إذ شَرطتَ لي هذا على نفسك، فقد اشتريت منك حوائجَك بخَمسِمائة دينار، وها هي ذه فخذها هنيئة مُعْجَلة، فإن سألتَني شيئاً بَعدها في هذا اليوم، فلا لَوْم عَلَيّ إن لَم أصِلْك سَنَةً بشيء. فقال له: نَعم، وسنتين. فقال له الرشيد: زِدْني في الوثيقة فقال: قد جعلْتُ أمْرَ أُمّ صدقة في يَدك، فطلِّقها متى شئت، إن شئتَ واحدةً، وإن شئتَ ألْفاً إن سألتُك في يومي هذا حاجة. وأشهدَ الله ومَن حضر عَلَى ذلك، فدفع إليه المال، ثم أذن للجلساء والمغنين فحضروا، وشرب القوم.

فلما طابت نفس الرشيد قال له ابن جامع: يا أميرَ المؤمنين، قد نِلْتُ منك ما لم تبلُغْه أُمنيتي، وكثُر إحسانك إليّ حتى كَبَتَّ أعدائي وقتلْتهم. وليستْ لي بمكة دار تُشْبِه حالي، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لي بمال أبني به داراً، وأفرشُها بباقيه لأفْقأ عيون أعدائي وأُزهقَ نفوسهم، فعل. فقال: وكم قَدّرتَ لذلك؟ قال: أربعة آلاف دينار، فأمر له بها. ثم قام إبراهيم الموصليّ فقال له: قد ظهرَتْ نِعمتُك عَلَي وعَلَى أكابر ولَدي، وفي أصاغرِهم مَن قد بَلَغ، وأريد تزويجه، ومِن أصاغرهم من أحتاج إلى أن أُطهره، ومنهم صغار أحتاج إلى أن أتخذ لهم خدماً، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُحْسِنَ معونتي عَلَى ذلك فعل، فأمر له بمثل ما أمَرَ لابن جامع، وجعل كلّ واحد منهم يقوم فيقول من الثناء ما يحضره، ويسأل حاجة على قدر جائزته، وأبو صدقة ينظر إليهم وإلى الأموال تُفرَّق يميناً وشِمالاً، فوثب على رِجليه قائماً، وقال للرشيد: يا سيدي، أقلني، أقال الله عثْرتك! فقال له الرشيد: لا أفعل، فجعل يستحلفه ويضطرب ويلحّ، والرشيد يضحك ويقول: ما إلى ذلك سبيل، الشرط أَمْلَك. فلما عِيل صبره أخذ الدنانير فرمى بها بين يدي الرشيد، وقال له: هاكها قد رددتُها عليك وزدتُك فرجَ أُمِّ صدقة فطلّقها إن شئتَ واحدة، وإن شئت ألفاً. وإن لم تُلحقني بجوائز القوم فألحقني بجائزة هذا البارد ابن الباردة عمرو الغزّال، وكانت صلتُه ألف دينار. فضحك الرشيد حتى استلقَى، ثم رَدّ عليه الخمسمائة الدينار، وأمر له بألف دينار معها. وكان ذلك أكثرَ ما أخذه منه مذ يومِ

خَدَمه إلى أن مات، فانصرف يومئذ بألفٍ وخمسمائة دينار.

[بعض أخباره]

أخبرني رضوان بن أحمد، قال: حدثني يوسف بنُ إبراهيم، قال: حدثني أبو إسحاق، قال: مُطِرْنا ونحن مع الرشيد بالرّقة مطراً مع الفجر، واتصل إلى غد ذلك اليوم، وعَرَفنا خبر الرشيد، وأنه مقيم عند أُمِّ ولده المسماة بِسحر، فتشاغلنا في منازلنا. فلما كان مِن غَدٍ جاءنا رسول الرشيد، فحضرنا جميعاً، وأقبل يسأل واحداً واحداً عن يومه الماضي ما صنع فيه فيخبره، إلى أن انتهى إلى جعفر بن يحيى، فسأله عن خبره، فقال: كان عندي أبو زكّار الأعمى وأبو صدقة، فكان أبو زكار كلما غنّى صوتاً لم يفرغ منه حتى يأخذه أبو صدقة، فإذا انتهى الدور إليه أعاده، وحكى أبا زكار فيه وفي شمائله وحركاته، ويفطن أبو زكار لذلك فيجن ويموت غيظاً، ويشتم أبا صدقة كلّ شَتم حتى يَضجر، وهو لا يجيبه ولا يدع العبث به، وأنا أضحك من ذلك إلى أن توسطنا الشراب وسئمنا من العبث به، فقلت له: دع هذا وغنّ غِناءك، فغنّى رمَلاً ذكر أنه من صنعته، طربت له ـ والله يا أمير المؤمنين ـ طرباً ما أذكر أني طربتُ مثله منذ حين، وهو:

صوت

[الخفيف]

فَتَنَتْنِي بفاحمِ اللَّوْنِ جَعْدٍ ... وبِثَغرٍ كأَنَّهُ نَظْمُ دُرِّ
وبِوجهٍ كأَنَّهُ طَلعةُ البَدْ ... رِ وعَينٍ في طَرفِها نَفْثُ سِحْرِ

فقلت له: أحسنتَ والله يا أبا صدقة، فلم أسكت عن هذه الكلمة حتى قال لي: إني قد بنيتُ داراً حتى أنفقت عليها حَرِيبَتي[1]، وما أعددت لها فرشاً، فافرشها لي، نجَّد الله لك في الجنة ألف قصر. فتغافلتُ عنه، وعاود الغناء، فتعمدت أنْ قلتُ له: أحسنت، لِيعاود مسألتي وأتغافل عنه، فسألني وتغافلت، فقال لي: يا سيدي هذا التغافل متى حدث لك؟ سألتك بالله، وبحق أبيك عليك إلا أجبتَني عن كلامي ولو بشَتْم! فأقبلتُ عليه وقلت له: أنت والله بَغِيض، اسكتْ يا بغيض، واكفف عن هذه المَسألة المُلحّة، فوثب من بين يدَيّ، وظننت أنه خرج

(١) حريبتي: مالي الذي سلبته.

لحاجة، وإذا هو قد نزع ثيابه وتجرد منها خوفاً من أن تَبْتلّ، ووقف تحت السماء، لا يواريه منها شيء والمطر يأخذه، ورفع رأسه وقال: يا ربِّ أنت تعلم أني مُلْهٍ، ولست نائحاً، وعبدُك هذا الذي رفعتَه وأحوجتني إلى خِدْمته يقول لي: أحسنت، لا يقول لي: أسأت، وأنا منذ جلستُ أقول له: بَنيتُ، لم أقل: هدمت، فيحلف بك جرأة عليك أني بَغيض، فاحْكُمْ بيني وبينه يا سيدي، فأنت خير الحاكمين.

فغلبني الضحك، وأمرتُ به فتنحّى، وجَهدت به أن يغني، فامتنع حتى حلفت له بحياتك يا أمير المؤمنين أني أفرش له داره، وخدعتُه فلم أُسَمِّ له ما أفرشها به، فقال الرشيد: طيِّبٌ واللهِ! الآن تَمَّ لنا به اللهو، وهو ذا أدعو به، فإذا رآك فسوف يقتضيك الفرش، لأنك حلفت له بحياتي، فهو يتنجّز ذلك بحضرتي ليكون أوثق له، فقل له: أنا أفرشها لك بالبواري[1]، وحاكمْه إليّ. ثم دعا به فأُحضر، فما استقرّ في مجلسه حتى قال لجعفر بن يحيى: الفرش الذي حلفتَ لي بحياة أمير المؤمنين أنك تفرش به داري، تقدَّمْ فيه، فقال له جعفر: اختر، إن شئتَ فرشتها لك بالبواري، وإن شئتَ بالبَرْدِيّ من الحصر، فضج واضطرب. فقال له الرشيد: وكيف كانت القصة؟ فأَخبره، فقال له: أخطأتَ يا أبا صدقة، إذ لم تُسَمِّ النوع ولا حدّدتَ القيمة، فإذا فرشها لك بالبواري أو بالبَرْدِيّ أو بما دون ذلك فقد وفى بيمينه، وإنما خدَعك، ولم تفطن له أنت، ولا توثقت، وضيَّعت حقك. فسكت، وقال: نوفِّر البرديّ والبواريّ عليه أيضاً، أعزه الله. وغنى المغنون حتى انتهى إليه الدور، فأخذ يغني غناء الملاحين والبنائين والسقائين وما جرى مجراه من الغناء، فقال له الرشيد: أَيْشٍ هذا الغناء ويلك! قال: مَن فُرِشت دارُه بالبواري والبردي فهذا الغناء كثير منه، وكثير أيضاً لِمَنْ هذه صلته، فضحك الرشيد والله وطرب وصفَّق، ثم أمر له بألف دينار من ماله وقال له: افرش دارك من هذه، فقال: وحياتك لا آخذها يا سيدي أو تحكمَ لي على جعفر بما وعدَني، وإلاّ متُّ والله أسفاً لِفَوات ما حصل في طمعي ووُعدت به، فحكم له على جعفر بخمسمائة دينار، فقبِلها جعفر، وأمر له بها.

أخبرني محمد بن مزيد، قال: حدّثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه، قال: كان سبب وصول أبي صدقة إلى السلطان أنَّ أبي لما حج مَرَّ بالمدينة، فاحتاج إلى قَطْع ثياب، فالتمس خياطاً حاذقاً، فدُلَّ على أبي صدقة، ووُصف له بالحِذق في الخياطة

(١) البواري: جمع باريّة، وهي الحصير المنسوج.

والحذق في الغناء وخفة الروح، فأَحضره فقطع له ما أراد وخاطه، وسمع غناءه فأَعجبه؛ وسأله عن حاله، فشكا إليه الفقر، فخلَّف لعياله نفقة سابغة لِسَنة، ثم أخذه معه وخلطه بالسلطان.

قال حماد: فقال أبو صدقة لأبي: قد اقتصرت بي على صنعة أبي إسحاق أبيك، رحمه الله عندي، وأنت لا، رُبَّ[1] ذلك بشيء، فقال له: هذه الصينيَّة الفضةُ التي بين يديّ لك إذا انصرفت، فشكره وسُرّ بذلك، ولم يزل يغنيه بقية يومه، فلما أخذ النبيذ فيه قام قَوْمة ليبول، فدعا أبي بصينية رصاص فحول قِنِّينَته وقَدَحه فيها، ورفع الصينية الفضة، فلما أراد أبو صدقة الانصراف شد أبي الصينية في منديل، ودفعها إلى غلامه، وقال له: بِتِ الليلة عندي واصطبح غداً، وارْدُد دابتَك. فقال: إني إذاً لأحمق، أَدفع إلى غلامي صينية فضة، فيأخذها ويطمع فيها أو يبيعها، ويركب الدابة ويهرب، ولكني أبيت عندك، فإذا انصرفْتُ غداً أخذتها معي. وبات وأصبح عندنا مصطبحاً، فلما كان وقت انصرافه أخذها ومضى، فلم يلبث من غد أن جاءنا والصينية معه، فإذا هو قد وجَّه بها لِتُباع، فعرّفوه أنها رصاص، فلما رآه أبي من بعيد ضحك، وعرف القصة وتماسك، فقال له أبو صدقة: نِعْم الخلافةُ خلفتَ أباك، وما أحسن ما فعلت بي! قال: وأيَّ شيء فعلت بك؟ قال: أعطيتني صينيةَ رصاص، فقال له أبي: سخُنَتْ عينك! سخرَت امرأَتُك بك، وأنا مِن أين لي صينية رصاص؟ فتشكك ساعة، ثم قال: أظن والله أن ذلك كذلك، فقام، فقال له أبي: إلى أين؟ قال: أضع واللّهِ عليها السوط فأَضربُها به حتى تَرُدَّ الصينية، فلما رأى أبي الجِدَّ منه قال له: اجلس يا أبا صدقة، فإنما مزحْتُ معك، وأمر له بوزنها دراهم.

صوت

[مجزوء الرمل]

إنّ مَــــنْ يَـــمْـــلِـــكُ رِقّـــي مـــالِـــكُ رِقّ الـــرِّقـــابِ
لـــم يَـكُـــنْ يـــا أحـــســن الـعـــا لـــمِ هـــذا فـــي حـــســـابـــي

الشعر لفضل الشاعرة، والغناء لعَرِيب خفيف ثقيل بالوسطى، عن ابن المعتز.

---

(١) رَبَّ: زاد.

أخبار فضل الشاعرة

[توفيت نحو سنة ٢٥٧ هـ/ نحو سنة ٨٧١ م]

كانت فَضْل جاريةً مولَّدة من مولّدات البصرة، وكانت أُمها من مولّدات اليمامة. بها وُلِدَت، ونشأت في دارِ رجل من عبد القيس، وباعها بعد أن أَدّبها وخرّجها، فاشتُريت وأُهدِيت إلى المتوكل. وكانت هي تزعم أن الذي باعها أخوها، وأن أباها وطىء أمها فولدتها منه، فأدّبها وخرّجها معترفاً بها، وأنّ بنيه من غير أُمها تواطأوا على بيعِها وجَحْدها، ولم تكن تُعْرف بعد أن أُعتقت إلا بفضل العبدية. وكانت حسنة الوجه والجسم والقوام، أديبة فصيحة سريعة البديهة، مطبوعة في قول الشعر. ولم يكن في نساء زمانها أشعرُ منها.

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بن المَرْزبان، قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر، قال: كانت فضل الشاعرة لرجل من النخّاسين بالكَرْخ يُقال له: حُسْنَوَيْه، فاشتراها محمد بن الفَرَج أخو عمر بن الفرج الرّخَّجِيّ، وأهداها إلى المتوكل، فكانت تجلس للرجال، ويأتيها الشعراء، فألقى عليها أبو دُلَف القاسمُ بن عيسى: [الكامل]

قالوا عشِقْتَ صغيرةً فأجبتُهمْ ... أشهى المَطيِّ إليّ ما لم يُرْكَبِ
كم بَيْنَ حبّةِ لؤلؤ مثقوبةٍ ... نُظِمتْ وحبةِ لؤلؤٍ لم تُثْقَبِ

فقالت فضل مجيبة له: [الكامل]

إن المَطِيَّةَ لا يَلَذُّ رُكوبُها ... ما لم تُذَلَّلْ بالزِّمام وتُركَبِ
والدُّرُّ ليس بنافعٍ أصْحابَهُ ... حتى يُؤلَّفَ للنِّظامِ بِمِثْقَبِ

[شعرها في المتوكل]

حدثني عمِّي ومحمدُ بنُ خلف، قالا: حدّثنا أبو العيناء، قال: لما دخلَتْ فضل الشاعرة على المتوكل يوم أُهدِيتْ إليه قال لها: أشاعرةٌ أنت؟ قالت: كذا

زَعم مَن باعني واشتراني، فضحك وقال: أنشدينا شيئاً من شعرك فأنشدَتْه: [السريع]

اسْتَقْبَلَ المَلِكُ إمامُ الهدى ... عامَ ثلاثٍ وثلاثينا

- تَعني سنة ثلاث وثلاثين ومائتين من سِنِي الهجرة -

خِلافةٌ أفْضَتْ إلى جَعْفَرٍ ... وهو ابنُ سَبْعٍ بعْدَ عِشرينا

إنّا لَنَرْجو يا إمامَ الهدى ... أن تَمْلِكَ النّاسَ ثمانينا

لا قدَّسَ الله امرأً لم يَقُلْ ... عند دُعائي لك: آمينا

فاستحسن الأبيات، وأمر لها بخمسة آلاف درهم، وأمر عَرِيبَ فغنت فيها.

حدثني عمِّي، قال: حدثني أبو عبد الله أحمدُ بن حَمدون، قال: عُرِضَتْ على المعتمد جاريةٌ تباع في خلافة المتوكل، وهو يومئذٍ حديث السنّ، فاشتطّ مولاها في السّوْم، فلم يشترها، وخرج بها إلى ابن الأغلب، فبيعت هناك. فلما وليَ المعتمد الخلافة سأل عن خبرها، وقد ذكرها فأُعْلم أنها بيعت وأوْلَدها مولاهَا، فقال لفضل الشاعرة: قولي فيها شيئاً، فقالت: [مجزوء الكامل]

عَلَمَ الجمَالِ تَرَكْتِني ... في الحُبِّ أَشْهَرَ مِنْ عَلَمْ

وَنَصَبْتِنِي يا مُنْيَتي ... غَرَضَ المَظِنَّةِ والتُّهَمْ

فارَقْتِنِي بَعْدَ الدُّنوِّ ... فصِرْتِ عندي كالحُلُمْ

فَلَوَ انَّ نَفْسي فارَقَتْ ... جسمي لِفَقدِكِ لم تُلَمْ

ما كان ضرّكِ لو وَصَلْتِ فخفَّ عن قَلْبي الألَمْ

بِرِسالةٍ تُهْدينها ... أو زَوْرَةٍ تحْتَ الظُّلَمْ[1]

أَوْ لاَ فَطيفي في المنا ... م فلا أقلَّ مِنَ اللَّمَمْ

صِلَةُ المُحبِّ حَبِيبَهُ ... اَللَّهُ يَعْلَمُهُ كَرَمْ

[بعض أخبارها وشعرها]

حدّثني محمدُ بنُ العباس اليزيديُّ، قال: كتب بعض أهلنا إلى فضل الشاعرة: [السريع]

أَصْبَحْتُ فَرْداً هائِمَ العَقْلِ ... إلى غزالٍ حَسَنِ الشَّكْلِ

---

(١) الزورة: الزيارة.

أَضْنَى فؤادي طولُ عهدي بِه ... وبُعْدُه منِّي ومِنْ وَصْلي
مُنْيةُ نفسي في هَوَى فَضْلِ ... أنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بها شَمْلي
أهْواكِ يا فَضْلُ هَوًى خالصاً ... فما لِقَلْبي عنكِ مِنْ شُغْلِ

قال فأجابته:

صوت

[الكامل]

الصَّبْرُ يَنْقُصُ والسَّقامُ يَزيدُ ... والدَّارُ دانيةٌ وأنتَ بَعيدُ
أَشْكُوكَ أَمْ أشكو إليكَ فإنه ... لا يَسْتَطيعُ سِواهما المجهودُ
إني أَعُوذُ بحُرْمتي بكَ في الهَوى ... مِنْ أن يطاعَ لديكَ فِيَّ حَسودُ

في هذه الأبيات رمَل طُنْبُوري. وأظنه لجَحْظة.

أخبرني محمد بنُ خلف بنِ المرْزُبان، قال: حدّثني الحسنُ بنُ عيسى الكوفيّ، قال: حدثنا أبو دهمان، وأخبرني أيضاً به عبد الله بن نصر المَرْوَزيّ، قالا: كانت فضل الشاعرة من أحسن الناس وجهاً وخَلْقاً وخُلُقاً وأرقِّهم شعراً، فكتب إليها بعضُ مَن كان يجمعه وإياها مجلسُ الخليفة، ولا تطلعه على حبها له:

[الطويل]

ألا ليت شِعري فيكِ هل تَذْكرينَني ... فذِكراكِ في الدُّنْيا إليَّ حبيبُ
وهل لي نَصِيبٌ في فؤادِكِ ثابتٌ ... كما لكِ عندي في الفؤادِ نَصيبُ
وَلَسْتُ بمَوْصولٍ فأحيا بِزَوْرَةٍ ... ولا النَّفْسُ عند اليَأْسِ عنكِ تَطيبُ

قال: فكتبت إليه: [الطويل]

نَعَم وإلٰهي إنني بكَ صَبّةٌ ... فهل أنتَ يا مَن لا عَدِمتُ مُثيبُ؟
لِمَنْ أنتَ منه في الفؤادِ مُصَوَّرٌ ... وفي العَينِ نُصْبَ العَيْنِ حين تَغيبُ
فَثِقْ بودادٍ أنت مُظهرُ مِثْلِهِ ... عَلَى أنّ بي سُقْماً وأنتَ طبيبُ

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة، قال: حدثني يحيى بنُ عليِّ بن يحيى المنجِّم، قال: حدثني الفضلُ بنُ العباس الهاشميّ، قال: حدثتني بنانُ الشاعرة، قالت: اتكأ المتوكل على يَدِي ويدِ فضل الشاعرة، وجعل يمشي بيننا، ثم قال: أجيزا لي قول الشاعر:

تَعَلَّمْتُ أَسْبابَ الرِّضا خَوْفَ عَتْبِها ... وعَلَّمها حُبِّي لها كيف تَغضَبُ

فقالت له فضل:

تَصُدُّ وأدْنو بالمودةِ جاهداً ... وتَبعُد عني بالوصالِ وأَقْرُبُ

فقلت أنا:

وعندِي لها العُتبى على كلِّ حالة ... فما مِنْه لي بُدٌّ ولا عنه مَذْهبُ

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان، قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر، قال: ألقى بعض أصحابنا على فضل الشاعرة: [الطويل]

ومُسْتَفْتِحٍ بابَ البلاءِ بنَظْرةٍ ... تَزوَّدَ منها قلبُه حسْرةَ الدَّهْرِ

فقالت:

فوالله ما يَدري أتَدْري بما جَنَتْ ... عَلَى قلْبِهِ أو أهْلَكَتْهُ وما تَدْري؟

أخبرني محمدُ بنُ خلفٍ، قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي طاهر، قال: ألْقيْت أنا على فضل الشاعرة: [مجزوء الكامل]

عَلَمَ الجمالِ تَرَكْتِني ... بِهواكِ أشْهَرَ مِنْ عَلَمْ

فقالت على البديهة:

وأبحتَني يا سيِّدي ... سَقَماً يجلّ عَنِ السّقَمْ
وتَرَكْتَني غَرَضاً - فَدَيْتُكَ - للعوَاذلِ والتّهمْ
صِلَةُ المُحِبِّ حَبيبَهُ ... اللّهُ يَعْلَمُهُ كَرَمْ

أخبرني محمدُ بنُ خلف، قال: حدثني محمدُ بنُ الوليد، قال: سمعت عليّ بنَ الجَهْم يقول: كنت يوماً عند فضل الشاعرة، فلحظتها لَحْظة استرابت بها، فقالت:

يا رُبَّ رامٍ حَسَنٍ تَعرُّضُهْ ... يَرْمي ولا يُشْعِرُ أنّي غرضُهْ

فقلت: [الرجز]

أيُّ فتى لَحْظُكِ ليس يُمْرِضُهْ ... وأيُّ عَقدٍ محكَمٍ لا يَنْقُضُهْ!

فضحكت، وقالت: خذ في غير هذا الحديث.

حدثني عمّي، قال: حدثنا محمدُ بنُ القاسِم بنِ مَهْرُويه، قال: حدثني إبراهيم بن المدبّر، قال: كتَبتْ فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُمَيدَ أيامَ كانت بينهما محبة وتَواصل: [الطويل]

وعيشِكَ لَو صَّرحتُ باسمِكَ في الهوى لأقصَرْتُ عن أشياءَ في الهزْلِ والجِدِّ
ولـكـنـنـي أُبـدِي لـهـذا مَـوَدَّتـي وذاك، وأخلو فيكَ بالبَثِّ والوَجْدِ
مـخـافَـة أن يُـغْـرِي بـنـا قَـوْلُ كـاشِـحٍ عدُوّاً فيسعَى بالوِصالِ إلى الصدِّ[1]

فكتب إليها سعيد: [الطويل]

تـنـامِـيـن عـن لَـيْـلَـي وأسْـهَـرُهُ وَحْـدي وأنـهـى جُـفُـوني أن تـبُـثَّـكِ مـا عِـنْـدي
فـإنْ كُـنْـتِ لا تَـدْرِيـنَ مـا قـد فَـعَـلْـتِـهِ بنا فانْظُري ماذا على قاتِلِ العمدِ؟

قال عمي: هكذا ذكر ابن مهرويه.

وحدثني به عليُّ بنُ الحسين بنِ عبد الأعلى، فذكر أن بيتيْ سعيد كانا الابتداء، وأن أبيات فضل كانت الجواب. وذَكر لهما خبراً في عِتاب عاتبها به، ولم أحْفظه، وإنما سمعتُه يذكره، ثم أخرج إليّ كتاباً بعد ذلك فيه أخبار عن عليِّ ابنِ الحسين، فوجدت هذا الخبر فيه، فقرأته عليه.

قال علي بن الحسين بنِ عبد الأعلى: حضر سعيدُ بنُ حُمَيد مجلساً حضرَته فضل الشاعرة وبنان، وكان سعيد يهواها وتُظْهر له هَوىً، ويتهمها مع ذلك ببنانٍ، فرأى فيها إقبالاً شديداً على بُنانٍ، فغضب وانصرف، فكتبت إليه فضل بالأبيات الأُوَل، وأجابها بالبيتين الآخرين، فاتفقت رواية ابنِ مَهْرُويه وعليِّ بنِ الحسين في هذا الخبر.

أخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان، قال: حدثني أبو يوسف بنُ الدقاق الضرير، قال: صِرْتُ أنا وأبو منصور الباخَرْزِيّ إلى منزل فضل الشاعرة فحُجِبنا عنها وانصرفنا، وما علمتْ بنا، ثم بَلَغها مجيئنا وانصرافنا فكرهَت ذلك وغمّها، فكتبت إلينا تعتذر: [الطويل]

ومـا كُـنْـتُ أَخْـشَـى أن تَـروْا لـيَ زَلّـةً ولـكـنّ أَمْـرَ الـلَّـهِ مـا عَـنْـه مَـذْهَـبُ

---

(١) الكاشح: العدوّ الذي يبطن العداوة.

أَعُوذ بحُسنِ الصَّفْحِ منكمْ وقَبْلَنا … بِصَفْحٍ وعَفْوٍ ما تَعَوَّذَ مُذْنِبُ

فكتب إليها أبو منصور الباخرزيّ: [الطويل]

لَئن أُهدِيَت عُتباكِ لي ولإخوتي … فمِثلُك يا فَضْلَ الفضائلِ يُعتبُ
إذا اعْتَذَرَ الجانِي محا العُذْرُ ذَنْبَهُ … وكُلُّ امْرِىءٍ لا يَقْبَلُ العُذْرَ مُذْنِبُ

حدثني عليُّ بنُ هارون بن عليِّ بنِ يحيى المنجّم، قال: حدثني عمِّي عن جدِّي، قال: قال لي المتوكل يوماً ـ وفضل واقفة بين يديه: يا عليّ، كانَ بَيني وبين فضل موعد، فشربْت شُرْباً فيه فضْل، فسكِرْت ونمت، وجاءتني للموعد، فحركَتْني بكل ما ينتبه به النائم من قَرْص وتحريك وغَمْز وكلام، فلم أنتبه. فلما علمَتْ أنه لا حيلة لها فيّ كتبَتْ رُقعة ووضَعَتْها على مخَدّتي، فانتبهت فقرأتها، فإذا فيها:

[مجزوء الرمل]

قَدْ بَدا شِبْهُكَ يامَوْ … لايَ يَحْدُو بالظَّلامِ
قُمْ بِنا نَقْضِ لُبانا … تِ الْتِزامٍ والْتِثامِ
قَبْلَ أنْ تَفْضَحَنا عَوْ … دةُ أرواحِ النِّيامِ

أخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان، قال: حدثني أحمدُ بن أبي طاهر، قال: كانت فضل الشاعرة تُهاجِي خنساء جاريةَ هشام المكفوف، وكانت شاعرةً، وكان أبو شِبْل عاصمُ بنُ وهبٍ يعاون فضلاً عليها، ويهجوها مع فضل. وكان القصيديّ والحفصي يُعينان خنساء على فضل وأبي شبل، فقال أبو شبل على لسان فضل: [السريع]

خَنْساءُ طِيري بِجَناحَيْنِ … أصبَحْتِ مَعْشوقَةَ نَذْلَيْنِ
مَن كان يَهْوَى عاشقاً واحداً … فأنتِ تَهْوَيْنَ عَشِيقَيْنِ
هذا القَصيديّ وهذا الفتى الـ … حَفْصي قد زاراكِ فَرْدَيْنِ
نَعِمْتِ من هذا وهذا كما … يَنْعَمُ خِنزيرٌ بحُشَّيْنِ(١)

فقالت خنساءُ تجيبها: [السريع]

ما ذا مَقالٌ لَكِ يا فَضْلُ بَلْ … مَقالُ خِنْزيرَيْنِ فَرْدَيْنِ

---

(١) الحُشّ: البستان في الأصل ثم أطلق على موضع قضاء الحاجة.

يُكْنَى أبا الشِّبلِ ولو أبصَرَتْ عيناهُ شِبلاً راثَ كُرْزَدَيْنِ

وقالت فضل في خنساء: [الخفيف]

إن خَنْساءَ لا جُعِلْتُ فِداها اشْتَراها الكَسَّارُ مِنْ مولاها
ولها نَكْهَةٌ يقول محاذيـ ـها أهذا حَديثُها أم فُساها!

وقالت خنساء في فضل وأبي شبل:

تَقولُ له فَضْلٌ إذا ما تخوَّفتْ ركوبَ قبيحِ الذُّلِّ في طَلَبِ الوَصْلِ
حِرُ امِّ فَتًى لم يَلْقَ في الحُبِّ ذِلةً فَقُلْتُ لها لا بَلْ حِرُ امِّ أبي الشِّبلِ

وقالت خنساء تهجو أبا شبل: [الكامل]

ما يَنْقَضِي فِكْري وطولُ تعجُّبي مِن نعجةٍ تُكْنَى أبَا الشِّبْلِ
لَعِبَ الفحولُ بسُفْلها وعِجانها فتمرّدَتْ كتمرّدِ الفَحْلِ
لما اكتَنيْتَ بما اكتنيتَ به وتَسَمَّتَ النقصانُ بالفَضْلِ[(١)]
كادَتْ بِنا الدُّنْيا تَمِيدُ ضحى ونَرَى السماءَ تَذُوبُ كالمُهْلِ[(٢)]

قال: فغضب أبو شبل لذلك، ولم يجبها، وقال يهجو مولاها هشاماً:

[الخفيف]

نِعْمَ مَأْوَى العُزَّابِ بَيْتُ هشامٍ حين يَرْمِي اللِّئامَ باغي اللِّئامِ
مَن أرادَ السُّرورَ عند حَبيبٍ لِينالَ السُّرورَ تَحْتَ الظَّلامِ
فهشامٌ نَهارُه ودُجى اللَّيْـ ـلِ سَواءٌ نَفْسِي فِداءُ هشامِ
ذاك حرّ دواتُه ليس تخلو أبداً مِنْ تَخَرُّقِ الأقْلامِ

حدثني عمي، قال: حدثني ميمونُ بن هارون، قال: زارت فضل الشاعرة سعيدَ بنُ حُمَيد ليلةً على موعد سَبَق بينهما، فلما حصلت عنده جاءتها جاريتُها مبادرة تُعْلمها أن رسول الخليفة قد جاء يطلبها، فقامت مبادرةً فمضت، فلما كان من غد كتب إليها سعيد: [الكامل]

ضَنَّ الزَّمانُ بها فلما نِلْتُها وَرَدَ الفِراقُ فكان أقْبَحَ وَارِدِ
والدَّمْعُ يَنْطِقُ للضَّميرِ مُصَدِّقاً قَوْلَ المُقرِّ مُكَذِّباً للجاحد

---

(١) تَسَمَّتَ: تَزَيَّن.
(٢) المُهْل: كل فلز مذاب.

حدّثني الحسن بن عليّ، قال: حدّثنا ابنُ أبي الدنيا، قال: حدّثني ميسرةُ ابن محمد، قال: حدثني عُبيد بن محمد، قال: قلت لفضل الشاعرة: ماذا نزل بكم البارحة؟ - قال: وذلك في صبيحة قَتْل المنتصِر المتوكل - فقالت وهي تبكي:

[البسيط]

إنَّ الزَّمانَ بذَحْلٍ كان يَطْلُبنا ... ما كان أَغْفَلَنا عنه وأَسْهانا!

ما لي ولِلدَّهْرِ قد أَصْبَحْتُ هِمَّتَهُ ... مالي ولِلدَّهْرِ ما لِلدَّهْر لا كانا!

أخبرني محمدُ بنُ خلف بن المَرْزُبان، قال: حدثني محمدُ بنُ الفضل، قال: حدثني أبو هفّان، قال: حدثني أحمدُ بنُ أبي فَنَن، قال: خرجت قبيحةُ إلى المتوكل يوم نَيْروزٍ وبيدها كأس بَلُّورٍ بشراب صافٍ، فقال لها: ما هذا فديتُك؟ قالت: هَدِيّتي لك في هذا اليوم، عرّفك الله بركته! فأخذه من يدها، وإذا على خدِّها: جَعْفَرٌ، مكتوباً بالمسك، فشرب الكأسَ وقبَّل خدها، وكانت فضل الشاعرة واقفة على رأسه فقالت:

صوت

[الطويل]

وكاتِبةٍ بالمِسْكِ في الخَدِّ جَعْفَرا ... بنَفْسي سَوادُ المِسْكِ مِنْ حيثُ أثَّرا

لئن أثّرتْ بالمِسْكِ سَطْراً بِخَدِّها ... لقد أَودعَتْ قلبي مِنَ الحُزْنِ أسطُرا

فيا مَن مُناها في السريرةِ جعفرٌ ... سقى الله من سُقيا ثناياكِ جعفرا

الغناء لِعَريبَ، خفيفُ رملٍ. قال: وأمر عريب فغنّت فيه. وقالت فضل في ذلك أيضاً:

[السريع]

سُلافةٌ كالقَمَرِ الباهرِ ... في قَدَحٍ كالكوكب الزَّاهرِ

يُدِيرها خَشْفٌ كبَدْرِ الدُّجَى ... فَوْق قضيبٍ أهيفٍ ناضرِ[1]

على فَتًى أَرْوَعَ مِنْ هاشِمٍ ... مِثْلِ الحُسامِ المُرهَفِ الباتِرِ

وقد رُويت الأبيات الأُول لمحبوبة شاعرةِ المتوكل، ولها أخبار وأشعار كثيرة قد ذكرتُ بعضها في موضع آخر من هذا الكتاب.

أخبرني محمدُ بنُ خلف، قال: أخبرني أبو الفضل المَرْوروذيّ، قال: كتبتْ

(١) الخشف: ولد الظبي أول ما يمشي، أو أول ما يولد.

فضل الشاعرة إلى سعيد بن حُميد: [الوافر]

بَثَثْتُ هواكَ في بَدَني ورُوحي ... فألَّفَ فيهما طَمَعاً بِيَاسِ

فأجابها سعيد في رقعتها: [الوافر]

كفانا اللَّهُ شَرَّ اليَأسِ إني ... لِبُغضِ اليَأسِ أَبْغَضُ كُلَّ آسي

[فضل وبنان]

حدثني عمِّي قال: حدّثني ابنُ أبي المُدور الوراق، قال: كنت عند سعيدِ بن حُميد، وكان قد ابتدأ ما بينه وبين فضل الشاعرة يتشَعَّب، وقد بلغه ميلُها إلى بُنان وهو بين المصدق والمكذب بذلك، فأقبل على صديق له فقال: أصبحْتُ والله من أمر فضل في غُرور، أُخادع نفسي بتكذيب العِيانِ، وأُمنّيها ما قد حِيل دونه. والله إنَّ إرسالي إليها بعد ما قد لاح من تغيرها لَذُلّ، وإنَّ عدولي عنها وفي أمرها شبهة لعَجْز، وإنَّ تصبُّري عنها لَمِنْ دواعي التلَف، ولِلَّهِ دَرُّ محمدِ بنِ أمية حيث يقول:

[الكامل]

يا ليت شِعْري ما يكونُ جوابي ... أمَّا الرسولُ فقد مضى بكتابي

وتعجّلتْ نفسي الظُّنونَ وأَشْعِرَت ... طمعَ الحريصِ وخِيفَةَ المُرْتابِ

وتروعُني حركاتُ كُلِّ محرِّكٍ ... والبابُ يَقْرَعُهُ وليس ببابي

كَمْ نحوَ بابِ الدَّارِ لي مِن وَثْبةٍ ... أرجو الرَّسولَ بمَطْمعٍ كذّابِ

والوَيْلُ لي مِن بعدِ هذا كلِّه ... إن كان ما أَخْشاهُ ردَّ جَوابي

حدثني جحظة، قال: حدثني عليُّ بنُ يحيى المنجّم، قال: غضب بُنَانٌ على فضل الشاعرة في أمر أنكره عليها، فاعتذرت إليه، فلم يقبل معذرتها، فأنشدتني لنفسها في ذلك: [السريع]

يا فَضْلُ صَبْراً إنها مِيتَةٌ ... يَجْرَعُها الكاذبُ والصادقُ

ظنَّ بُنانٌ أنني خُنتُه ... رُوحي إذاً مِن بَدَني طالقُ

أخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان؛ قال: حدّثني أبو العباس المَرْوزِيّ، قال: قال المتوكل لعليّ بن الجَهْم: قُلْ بيتاً، وطالِب فضلَ الشاعرةَ بأن تُجِيزه، فقال عليّ: أجيزي يا فضل:

لاذَ بها يَشْتكي إليها ... فلم يَجِدْ عندها ملاذا

قال: فأطرقت هُنيهة ثم قالت: [مخلع البسيط]

فلم يَزَلْ ضارعاً إليها تَهْطِلُ أجفانُهُ رَذَاذَا
فعاتَبوهُ فزادَ عِشْقاً فماتَ وَجْداً فكانَ ماذا؟

فطرب المتوكل، وقال أحسنتِ وحياتِي يا فضل، وأمر لها بمائتي دينار، وأمر عريب فغنَّت في الأبيات.

قال مؤلف هذا الكتاب: أعرف في هذه الأبيات هَزَجاً لا أدري أهو هذا اللحن، أم غيره؟ ولم أره في أغاني عَريب، ولعله شَذّ عنها.

صوت

[مجزوء الوافر]

أُمامةُ لا أراكِ اللّهُ ذُلَّ معيشةٍ أبدا
ألا تَسْتَصْلِحينَ فَتًى وقاكِ السُّوءَ قد فسدا
غلامٌ كان أَهْلُكِ مَرَّةً يَدْعونَهُ ولَدا

الشعر لعبد الله بنِ محمدِ بن سالم الخياط، والغناء للرّطّاب الجدي، ثاني ثقيلٍ بالوُسطى عن عمرو، وفيه ليحيى المَكي ثاني ثقيلٍ بالْخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق وأحمدَ بنِ المكي.

وذكر عبد الله بنُ موسى بن محمد بنِ إبراهيم الإمام عن قلم الصالحية أنها أخذت اللحن المنسوب إلى الرّطّاب عن تينة، وسألته عن صانعه فأَخبرها أنه له.

تم الجزء التاسع عشر من كتاب الأغاني ويليه إن شاء الله تعالى الجزء العشرون وأوّله: نسب ابن الخياط وأخباره

فهرست تراجم الجزء التاسع عشر من الأغاني

